رسالة إلى حواء

المجموعة الكاملة

(١ - ٦)

محمد رشيد العويد

دار الوطن

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)

رسالة إلى حواء

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الرابعة

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

١٠١٤
٤ م ر

رسالة إلى حوّاء

المجموعة الكاملة

(١ - ٦)

محمّد رشيد العويّد

دار الوطن
الرياض ـ شارع المعذر ـ ص. ب ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

اقترح الإخوة في دار الوطن جمع الأجزاء الستة من «رسالة إلى حواء» في كتاب واحد، بدلاً من الأجزاء الستة المتفرقة، تسهيلاً لمطالعتها، وحفظها، والرجوع إليها.

وهذه هي الأجزاء الستة معًا، في كتاب واحد، يصدر عن دار الوطن، التي تميزت في إصداراتها العلمية والفقهية والدعوية وغيرها.

ولعل هذا الكتاب الجامع لهذه السلسلة؛ تتبعه كتب أخرى تجمع السلسلات التي صدر منها بعض الأجزاء من مثل «حوار مع صديقي الزوج»، «حوار مع أختي الزوجة»، «حوار مع ابنتي»، «حوار مع صديقي الخاطب»، لتجمع ـ إن شاء الله ـ في كتاب يحمل عنوان «حوارات».

وكذلك «إلى مؤمنة» بأجزائه الثلاثة الصادرة عن دار الوطن، وقد يمكن جمعها في كتاب واحد إن شاء الله.

وإني لأرجو من كل قارئة كريمة ألا تتردد في إبداء أي ملاحظة، أو اقتراح، أو رأي، سواء في إخراج هذا الكتاب، أو محتواه، أو في غيره من الكتب.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وتقبل منا، إنك أنت السميع العليم.

محمد رشيد العويد

١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله تعالى فى الأولى والآخرة. الحمد لله تعالى أن وفق إلى صدور ستة أجزاء من كتاب «رسالة إلى حواء» وأرجو ألا أكون مبالغًا إذا قلت: إن عدد النسخ التي ستكون قد طبعت منها حتى نهاية العام الهجري الحالي هو نصف مليون نسخة، بما فيها هذه الطبعة الجديدة التي تصدر عن «دار الوطن» في المملكة العربية السعودية الشقيقة.

إن الفضل في إصدار هذه السلسلة، وغيرها، هو لله وحده. فهو سبحانه الذي هدى إليها، وهو سبحانه الذي وفّق فيها، وهو سبحانه الذي يسّر انتشارها وهو سبحانه الذي نفع بها، وإني لأدعوه سبحانه أن يتقبلها مني ويجعلها من العلم الذي لا ينقطع الأجر عنه بعد الموت.

ولهذا فإني أطمع من كل قارئة لهذه السلسلة ألا تنساني من دعوة بظهر الغيب، دعوة بالعفو والمغفرة والرحمة، وسينالها ـ بإذن الله ـ مثل ما دعت لي، مصداقًا لما أخبرنا به النبي ﷺ من أن الملائكة تقول لمن يدعو لأخيه بظهر الغيب: ولك بمثل ما دعوت له. أو كما قال ﷺ.

وحتى تعم الفائدة الأخوات اللواتي يتحدثن بالإنجليزية، ولا يعرفن العربية، فقد تمّ، حتى الآن، ترجمة جزأين من «رسالة إلى حواء» إلى اللغة الإنجليزية. وصدرا مؤخراً.

ولعل ترجمة هذه السلسلة إلى الإنجليزية، يسهم في دعوة غير المسلمات

إلـــى ديـــن الله الخاتم، وشرعته السمحاء، التي لن تجد المرأة في العالم كله.. سعادتها وأمنها، في الدنيا والآخرة، إلا باتباعها.

اللهم قوّنا فإنا خلقنا ضعفاء، واهدنا فإنا بغير هداك ضالون أشقياء، وارحمنا فإن رحمتك خير لنا من كل الأشياء.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد.

محمد رشيد العويّد

١٤١٣هـ-١٩٩٣م

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ﷺ.

وبعد:

فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب «رسالة إلى حواء»، الذي أقبل عليه المسلمون عامة، والمسلمات خاصة، إقبالاً طيبًا.. وذلك أكد ثلاثة أمور:

١ ـ إن المرأة المسلمة مهما أبعدوها عن دينها فإنها عائدة إليه، ومهما حاولوا تزيين الغواية لها فإنها لابد صادرة عن فطرتها التي فطرها الله عليها.

٢ ـ إن المكتبة الإسلامية ما زالت تحتاج إلى الكتب التي تهتم بالمرأة المسلمة اهتمامًا خاصًا، توليها عناية بعينها.

٣ ـ إن دعوة المرأة يجب أن تكون أكثر رفقًا مما هي عليه الآن.. وأن تُبصَّر بحقوقها في الوقت الذي تُطالَب فيه بأداء واجباتها.

ولقد كان من مظاهر انتشار هذا الكتاب ـ بحمد الله ـ أن نسخه العشرة آلاف نفدت تقريبًا، وأن إخوة في الجزائر طلبوا الإذن بترجمته إلى الفرنسية. كما طلب ترجمته إلى أكثر من لغة في الهند إخوةٌ علماء هناك.

وأدعو الله أن يوفقني إلى إصدار المجموعة الثانية من الرسائل قريبًا.. إن شاء الله تعالى، إنه هو السميع العليم.

محمد رشيد العويِّد

جمادى الأولى ١٤٠٦هـ ـ شباط فبراير ١٩٨٦م

مقدمة الطبعة الأولى

هذه الرسائل إلى حواء، نشرت جميعها في صحيفة «الرأي العام» اليومية، في زاوية حملت الاسم نفسه: «رسالة إلى حواء». وكان قصر الرسائل، كما رأيت، مناسبًا لجريدة يومية، لا يصبر المرء على قراءة طويلة فيها، فكيف بالمرأة التي لا تهتم بالجريدة قدر اهتمامها بالمجلة الأسبوعية المصورة!.

ولئن رأيت قصر الرسائل مناسبًا في الجريدة اليومية، فإني أراه مناسبًا كذلك في هذا الكتاب الصغير؛ لأن المرأة، وفي هذا العصر بصورة خاصة، تشغلها أمور كثيرة أخرى، ويشدّها «التليفزيون» والمذياع أكثر مما يشدّها الكتاب، وبخاصة إذا كان ذا بحث علمي، فيه أبواب وفصول، ومناقشات عقلية وعلمية.

ولهذا أيضًا، كان أسلوب هذه الرسائل يعتمد الجمل القصيرة، والأفكار الواضحة الممزوجة بالعاطفة.

ثم إن هذه الرسائل ليست متصلة، فكل واحدة منها تعالج فكرة بذاتها، وقراءة الواحدة منها لا تأخذ من الوقت أكثر من دقيقتين، مما يتيح للمرأة، بنتًا أم سيدة، أن تقرأه في أوقات متفرقة.

وإذا كنت قد وجهت هذه الرسائل إلى المرأة غير الملتزمة بما أمر به دينها،

فإن هذا لا ينفي أثرها ـ إن شاء الله ـ في الفتاة أو المرأة المتمسكة بأهداب دينها، المطيعة لربها ورسولها، فهو يزيدها طمأنينة فيما هي فيه، وثباتًا على ما هي عليه.

والتنوع أقرب صفة لهذه الرسائل، فبعضها عرض لجوانب من إكرام الإسلام للمرأة، وبعضها الآخر عرض لصور ولمحات من سير الصحابيات والتابعيات، وغيرها أشار إلى ما تعانيه المرأة في الغرب من شقاء ونكد لا يعلم به كثير من نسائنا، وهكذا..

وأحب أن أشير إلى أن بعض هذه الرسائل كان اقتباسًا من بعض الكتب، أشرت إليها في نهاية الرسائل، فإذا كان قد فاتني أن أشير إليها في بعضها، فليسامحني أصحابها.

وهل لي أن أختم هذه المقدمة العجلى، بغير الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى، أن يتقبل هذا العمل وينفع به، إنه هو السميع العليم.

محمد رشيد العويد

تمهيد

بقلم: الأستاذ عبد الله العقيل

مدير الشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف بالكويت

مما عرفته عن الأخ المؤلف الأستاذ محمد رشيد العويد أنه من الشباب المرهف الحس، الدمث الخلق، الذي يكتب على سجيته دونما تصنع أو تكلف، وبأسلوب سلس وعبارة تنساب انسيابًا وتدخل إلى النفس حاملة أجمل المشاعر، عارضة للمشكلات بأسلوب العصر، محاكمة القضايا إلى منهج الله، داعية الناس إلى طريق الحق والخير بأرق العبارات وأقوى الاستشهادات وأصدق التحليلات، وسالكًا في مقالاته طريقة العرض المشخِّص للعلل، الواصف للعلاج، المقارن بين المناهج، الكاشف لعوار الباطل، المظهر لجمال الحق، المترفق بجماهير القراء من الرجال والنساء، بحيث يطرح القضية المعضلة ويرد الأسباب إلى عواملها المؤثرة فيها، حتى تشخص أمام القارئ وكأنه يعايشها ويرى أحداثها ثم يقدم العلاج الناجع المستقى من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ .

وكثيرًا ما يلجأ المؤلف إلى الاستشهاد على إفلاس الحضارة الغربية وقبحها من أقوال القوم أنفسهم في مجلاتهم وصحفهم ومحطات إذاعاتهم المرئية والمسموعة، ومن خلال الإحصائيات التي تصدرها المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية، والجامعات والمعاهد المتخصصة، بل ومن أفواه وأقلام المصابين أنفسهم بأمراض هذه الحضارة المادية الخاوية من الروح . . المتجرِّدة

من الخلق .

فهو ينقل عن مجلة فرنسية تكتب فيها النساء الفرنسيات مطالبات بالعودة إلى حياة البيت والاستقرار فيه والقيام بأعبائه . . لأنهن سئمن الحياة خارج المنزل حيث الذلّ والمهانة . ويعرض لأسباب انتحار ممثلة مشهورة حصلت على كل ما تتمناه المرأة من المال والجمال والشهرة ، حيث شعرت أنها سلعة رخيصة تباع في سوق النخاسة كالرقيق .

ويروي المؤلف إحصائيات الطلاق في الغرب ، وكيف ارتفت إلى أرقام قياسية لا يتصورها العقل ، كما يسرد حوادث الخيانات الزوجية ، وحوادث الإجهاض ، وزوال العفة من الفتيات الصغيرات في المدارس ، والحوادث المتكررة عن حرمات البيوت ، والفوضى الجنسية التي لا ضابط لها ولا وازع ، فضلاً عن أندية العراة وعلب الليل ، والسيل المتدفق من البغايا والفاجرات في الفنادق والنوادي والحدائق والميادين العامة والشوارع . . مما يهبط بكرامة المرأة وإنسانيتها إلى درك الحضيض .

هذه الحالة المزرية للمرأة في الغرب . . يقابلها في الجانب الآخر المرأة المسلمة في الشرق ، وما تلقاه من التقدير والاحترام والعطف والحنو ، سواء أكانت أما أم أختًا أم زوجة أم ابنة أم غير ذلك .

وحين نستعرض فصول الكتاب ، وهي مقالات كنت أحرص على قراءتها إبّان نشرها ، نجد الكاتب قد تناول قضايا الاختلاط والسفور والحفلات الماجنة التي يقيمها بعض السفراء وغيرهم ، ويجبرون زوجاتهم على حضورها والمشاركة في آثامها . كما أشار إلى دور بعض المسلسلات التليفزيونية والإذاعية والمسرحيات ، وما يجري فيها من إفساد لروابط

العلاقات الزوجية، وهدم لمقومات الأسرة وإهدار للقيم الفاضلة والأخلاق الحسنة. كما تناول من يسمين أنفسهن بسيدات المجتمع من المتبرجات اللواتي يتبارين بالمظاهر الزائفة في المناسبات وحفلات الزواج.. وغيرها.

ثم يعرج المؤلف على بعض المتزمتين من الرجال، وبخاصة الآباء الذين يكونون عقبة في زواج بناتهم، بوضع الشروط والعراقيل أمام الراغبين في الزواج، رغم كفاءتهم واستقامتهم، وبهذا تكثر العوانس في البيوت ويعم البلاء في كل مكان. ثم يورد بعض النماذج المشرقة من مواقف السلف حين زوج سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاريته لشاب رغب فيها وعلق قلبه بها ولكن حبه كان عفيفًا ولم يرد إلا الزواج الحلال.

ويتناول المؤلف دور المرأة ورسالتها كأم في بناء الأسرة وتربية الأجيال، وكزوجة تحنو على زوجها وتقوم بأموره وتعينه على متاعب الحياة ومصاعبها وتشاركه آلامها وآمالها، وتملأ البيت بشراً وسعادة.

والكتاب يعتبر من الكتب الهادفة التي تعنى بقضايا المرأة ودورها في الحياة، ومهمتها في تربية الأجيال المؤمنة من الشباب والشابات وما لها من حقوق وما عليها من واجبات.

نسأل الله أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن ينفع القراء بما كتب، ويبارك في جهود العاملين المخلصين. والله الموفق.

عبد الله العقيل

زوجة السفير

«. . زوجي يعمل سفيراً لـ «. . .» في مدينة «. . .»، وأعيش معه في سعادة، لأننا متفاهمان. ولكنني مختلفة معه منذ مدة، فهو - على تديُّنه - يطلب مني أن أنزع عن رأسي غطاءه، وكان قد أقنعني، بعد ندبه سفيراً، بمشاركته حضور الحفلات، والقيام بالزيارات، واستقبال من يزورنا من الرجال مع زوجاتهم، إنه يقول لي: هذا الغطاء على رأسك لا يتناسب مع كونك زوجة سفير، إنك الوحيدة بين زوجات السفراء الذين نزورهم ويزوروننا، التي تضع هذا الخمار.

إنني الآن حائرة. . هل أطيع زوجي؟ أم ماذا أفعل. . ؟ وهل يجوز لي شرعًا نزع الحجاب؟».

التوقيع

زوجة سفير

أولاً، لست عالمًا حتى أفتيك بجواز نزع الحجاب شرعًا أم لا يجوز. وإن كان الأمر واضحًا لا يحتاج إلى فتوى، واضحًا. . وتعرفينه أنت حين غطّيت شعرك، فلا داعي لأن تبحثي الآن عن فتوى تبرّرين بها خروجك عن طاعة الله.

والأمر، لم يبدأ من هنا، يا زوجة السفير، لكنه بدأ منذ أن سايرت زوجك، ورضيت بمشاركته حضور الحفلات، والذهاب إلى السهرات.

أما أنت أيها السفير، فلا أدري كيف تصفك زوجتك بأنك «متديِّن»؟.

كيف توفق بين سلوكك وتديّنك؟ . . ألا تمثل بلادك؟ . .

لماذا لا تطبق دين بلادك في سلوكك مع الغربيين الذين تقيم بينهم؟ . . هل تخجلون من الناس ولا تخجلون من الله ؟ . .

لا أريد أن أحكي لك قصة صحابي أو تابعي، فتقول لي: زماننا وزمانهم. ولكني سأحكي لك قصة واحد من زماننا، درس في بريطانيا يوم كانت عظمى، ونال منها شهادة الدكتوراه، ولم يمنعه هذا من طاعة ربه. إنه الشاعر المسلم محمد إقبال، فقد أرادت الحكومة الهندية ذات يوم، أن تبعثه إلى أفريقيا الجنوبية، ممثلاً لها، وعرضت عليه المنصب رسميًا شريطة أن لا تحافظ زوجته على الحجاب، وترافقه في جميع المناسبات الرسمية سافرة، ولكن «إقبالاً» رفض هذا المنصب، وصرح للحاكم الإنكليزي «ولفندن» قائلاً: **«إنني رجل مذنب ولا شك، مقصر في أداء أحكام الشريعة، غير أنني لا أبلغ من الوقاحة حدًا، أتجاوز فيه حدود الشريعة، لمجرد أن تقلدوني منصبًا من مناصب الدنيا»**.

ولعل هذا يكفي.

* * *

سيدة المجتمع!

يصفونها تارة «بنت الذوات»، ويطلقون عليها تارة أخرى «سيدة المجتمع». أخبارها في صفحات الأسرة والمجتمع، تسريحة شعرها «موضة» تتبعها البنات، وتفصيل ثوبها نموذج تقلده النساء.

وتسألونني: من تكون سيدة المجتمع هذه؟

وأقول لكم: لم أكن أعني امرأة بعينها؛ لأن سيدات المجتمع كثيرات هذه الأيام، زوجة «فلان» المحترم، وابنة «علان» المبجل!.

وتعتريني هزة حين أذكر ابنة الرسول ﷺ: فاطمة الزهراء، وزوجته عائشة بنت أبي بكر، ثم أسألكم: ألم تكن كل واحدة منهما جديرة بأن تكون، بمقياس عصرنا، سيدة من سيدات المجتمع، بل سيدة المجتمع الأولى؟!.

هل تعرفون أين كانت ابنة الرسول ﷺ وزوجته في أثناء غزوة أحد؟.. هل كانتا في مقصورة ضمن سرادق تحيط به القوات المدججة بالسلاح؟.. لا. لا يا سادة، لقد كانتا تعملان بين طعنات الرماح، وضربات السيوف، وتساقط النبال، تنقلان الطعام والسقاء للمقاتلين!.

يا قوم: أفيقوا من غفلتكم، وأصلحوا حال نسائكم، واحفظوهن واتقوا الله فيهن، وجنبوهن مساخط الله، وعلموهن كيف يربين الأجيال ويخرجن من بيوتهن الرجال.

* * *

لا أحب زوجي!

القـارئة ليلى م. قـالت في رسـالة لهـا: «... وصـدِّقني أني لا أحب زوجي هذا الحب العاطفي الذي أراه في مسلسلات التليفزيون، وأسمعه في تمثيليات الإذاعة. نعم أحسّ بشيء من التقدير والود نحوه، لكنه إحساس جاد لا تسري فيه الحرارة والتأجج..».

سـامـحك الله يا ليلى، ومَن مِن النساء اليوم تحب زوجها حب العشق والهيام، وتميل إليه ميل الصبابة والغرام، إلا قليلات يستطعن ذلك وينجحن فيه، عن طريق التحبب الدائم، والتكلّف فيه، حتى ينقلب مع مرور الأيام حبًا حقيقيًا يعمر القلب، ويملأ النفس.

ينبغي لكلا الزوجين أن يتكلّف التحبب إلى الآخر بأكثر مما يجده له في قلبه، فإن التطبع يصير طبعًا، ورحم الله «علية بنت المهـدي» أخت هارون الرشيد حيث قالت: «تحبّبْ.. فإن الحب داعية الحب».

لكن الذنب ليس ذنبك، إنما ذنب هذه المسلسلات التي تجسم الخلافات بين الزوجين، وتظهر صديق الأسرة أو ضيفها أو أحد معارفها، بصورة مثالية تتوق إليها الزوجة، فتجد في هذا الإنسان ما تظن أنها تفقده في زوجها، فتخرب بيتها بيدها.

رحـــم الله الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب حين قال لامرأة خاصمت

زوجها إليه، وصرّحت له بأنها لا تحبه، قال لها: **إذا كانت إحداكن لا تحب الرجل منا، فلا تخبره بذلك، فإن أقلّ البيوت ما بني على المحبة**، و**إنما يتعاشر الناس بالحسب والإسلام**.

فما عليك يا أخت ليلى، إلا أن تنمّي هذا التقدير لزوجك، حتى ينقلب حبًا يملأ قلبك إن شاء الله.

* * *

وداعًا عصر الحرية

عزيزتي حواء:

قد لا تقنعين إذا حدّثك رجل من شرقنا عن البيت والزوج والأطفال، وترين في حديثه تجنيًا على المرأة وظلمًا، وتصرّين على رفض هذا الكلام.

الدراسات التي تقوم في الغرب الآن توفر عليك القيام بالتجربة التي قامت بها المرأة هناك. إن هذه الدراسات تعطيك النتائج التي وصلت إليها المرأة عندهم بعد تحررها وانطلاقها.

لقد قامت مجلة «ماري كير» الفرنسية باستفتاء للفتيات الفرنسيات، من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية، شمل (٥, ٢) مليون فتاة عن رأيهن في «الزواج من العرب ولزوم البيت». فكانت الإجابة لـ٩٠ بالمائة منهن بـ«نعم».. والأسباب كما قالتها النتيجة هي الآتي:

١ ـ ملّت المساواة مع الرجل.

٢ ـ ملّت حالة التوتر الدائم ليل نهار.

٣ ـ ملّت الاستيقاظ عند الفجر للجري وراء القطار.

٤ ـ ملّت الحياة الزوجية التي لا يرى الزوج زوجته فيها إلا عند اللزوم.

٥ ـ ملّت الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلا حول مائدة الطعام.

ولقد كان عنوان الاستفتاء «وداعًا عصر الحرية وأهلاً بعصر الحريم».

* * *

حواء.. كم أنت عظيمة

تظن حواء، خطأ، أن مهمتها التي خلقت لها.. أقل شأنًا من مهمة الرجل. فنراها تنادي بمساواتها بالرجل، وكأن الرجل في مرتبة أعلى، ومكانة أسمى. مع أن نظرة تأملية منا.. تظهر لنا أن الرجل ما وصل إلى هذه المكانة، وما حصل على تلك المرتبة، إلا بفضل المرأة، سواء أكانت أمًّا أنشأته وربّته ووجّهته، أم زوجة وقفت بجانبه ودفعته وشجعته.

ولو قلّبنا صفحات التاريخ، نقرأ سير رجاله العظماء، لوجدنا للمرأة نصيبًا أوفى، ودورًا أكبر في انتصار هذا القائد، وتفوّق ذلك السياسي، وإبداع ذاك الأديب.

يقول الرئيس الأمريكي الأسبق «تيودور روزفلت»: «**إن أي عمل يقوم به الرجل مهما كان شاقًا أو عظيم المسؤولية لا يمكن أن يصل إلى مرتبة امرأة تنشئ أسرة من أولاد صغار**، إنها تهب وقتها وطاقتها لأولادها. وإنني أرى أن دور المرأة أهم، وأكثر صعوبة، وأكثر فخرًا من دور الرجل. وبصفة عامة فإنني أحترم المرأة التي تبذل جهدًا في سبيل بناء أسرة».

فلماذا يا حواء، تتخلين عن هذه المهمة العظيمة، التي خلقك الله تعالى لها، وأقرّ بها الرجل لك، من أجل شارع وشمس وغبار..؟!.

* * *

أعيش عندكم ٦ أشهر ثم اقتلوني

تمتاز أحاديث الشيخ علي الطنطاوي بأسلوبها السهل الممتع. وقد أحببت اليوم أن أنقل مقتطفات من حديث له قال فيه:

«حدثني الأستاذ بهجت البيطار، أنه كان يتكلم عن المرأة المسلمة، في إحدى محاضراته في أمريكا، وذكر فيها استقلال المرأة المسلمة في شؤون المال، لا ولاية عليها في مالها لزوجها ولا لأبيها، وأنها إن كانت معسرة كُلِّف بنفقتها أبوها أو أخوها، فإن لم يكن لها أب أو أخ، فأي واحد من أقربائها الذين يرثونها، ولو كان ابن عم عمها، وأن هذه النفقة تستمر إلى أن تتزوج، أو يكون لها مال، وأنها إن تزوجت كُلِّف زوجها بنفقتها، ولو كانت تملك مليونًا وكان زوجها عاملاً لا يملك شيئًا. إلى غير ذلك مما نعرفه نحن ويجهلونه هم عنّا.

فقامت سيدة أمريكية من الأديبات المشهورات وقالت: «إذا كانت المرأة عندكم على ما تقول، فخذوني أعيش عندكم ستة أشهر ثم اقتلوني».

وعجب من مقالها، وسألها عن حالها.. فشرحت له حالها، وحال البنات هناك، فإذا المرأة الأمريكية تبدو حرة وهي مقيدة، وتُرى معززة وهي مهانة.. **إنهم يعظمونها في التوافه ويحقّرونها في جسيمات الأمور.**

يمسكون بيدها عند النزول من السيارة، ويقدمونها قبلهم عند الدخول للزيارة، وربما قاموا لها في الترام لتقعد، أو فسحوا لها في الطريق لتمر..

ولكنهم في مقابلة ذلك يسيئون إليها إساءات لا تحتمل . . إذا بلغت البنت هناك سن الرشد، قبض أبوها يده في وجهها، وقال لها: اذهبي فتكسّبي وكلي، فلا شيء لك عندي بعد اليوم.

فتذهب المسكينة، تخوض غمرة الحياة وحدها، لا يبالون أعاشت بجدّها أم بجسدها؟ ولا يسألون هل أكلت خبزها بيديها أم بثدييها؟ وليس هذا في أمريكا وحدها، بل هو شأن القوم في ديارهم كلها».

* * *

المرأة.. وحبّة الدراق!

لقد كان يخيّل إليّ، في كل مرة أجوز فيها طريقي أنني في معرض للحوم البشرية، إن لم أتوهم أنني في مسلخ كبير، أكوام من اللحوم، أعمدة من اللحوم، تتحرك بكاملها على امتداد الشارع غدواً ورواحًا!!.

لم تكن تلك اللحوم محملة على عربات البلدية، ولا على أكتاب القصابين، إنها محمولة على سوق الغواني، وتتحرك على أقدامهن. إنها معروضة للجميع دون استثناء، وبلا ثمن، فليس عليها «تسعيرة» فجميع الأعين تلتهمها مجانًا، وبلا حساب!.

ولم أتمالك لساني ذات مرة عندما أخذ يردد: (يا بلاش) ما هذا الرخص؟ ما هذا الهبوط في الأسعار؟ ما هذه المضاربة المسعورة الهائلة في العرض؟.

من ذا يقول إن أسعار اللحوم في ارتفاع؟ من ذا يدّعي ذلك؟ إنه إذن لجهول، أو أنه يعني لحوم الحيوانات والبهائم من أمثال الأبقار والأغنام. أما لحومهن الغضة، أما لحوم بنات حواء، فأسعارها في هبوط منقطع النظير!!.

ما ذا أبقت حواء المعاصرة لفتاها المنتظر؟ ما ذا تركت لزوجها؟ بماذا احتفظت لليلة عرسها إذا ما قُدِّر لها الزواج؟ أنا لا أحسب أنها ستفاجئه بشيء. ولا أحسب أن منصفًا يخالفني في أن الخطيب والعريس وبائع الفول والحمّال وماسح الأحذية، جميعًا أصبحوا شركاء في أية امرأة تطرح مفاتنها

هذا الطرح الرخيص، وتعرض جسدها هذا العرض الصارخ، لكل قائم وقاعد، أو سابل أو عابر، أو بر أو فاجر، يتمشى في شارع، أو يتنقل في حي، أو يبيع في حانوت، أو يجلس على قارعة طريق.

إلى أين يا حواء؟ أما لهذا الانحدار من آخر؟ أما لهذا التبذل من نهاية؟ أعبثًا والأمر جد؟ ألهواً والعدوّ متربص؟ أمزيدًا من العري والتهتك والانفساخ برخص وأنت تدفعين الثمن باهظًا غاليًا؟!.

في تصوّري: أن أرقى مستوى تحلمين به أو تتوقين إليه، وأن المجتمع الأمثل الذي تدغدغك الآمال في بلوغه، هو مجتمع باريس مثلاً أو لندن، أليس كذلك؟

اسمعي إذن ما كتبته واحدة من بنات جنسك - وهي محررة في مجلة بيروتية واسعة الانتشار - لقد كتبت من فرنسا إلى مجلتها ذات مرة تقول فيما تقول: **إن ثمن حبة الدراق في لندن، أو عنقود العنب في باريس، يفوق ثمن امرأة.. يا للرخاء!.**

عزيزتي حواء:

هذه كلمات كتبها الأستاذ إبراهيم عاصي في كتابه «همسة في أذن حواء» أنقلها إليك لتري رأيك فيها.

الطريق إلى السعادة

كثير من الخلافات الزوجية، تنشأ عن أشياء صغيرة، لا تلقي المرأة إليها بالاً، ولا يكترث بها الرجل، فتتجمع وتتجمع، حتى تكون في مجموعها شيئًا كبيرًا، يقوِّض أركان بيت الزوجين السعيد.

يعود الرجل إلى بيته وهو متعب من عمله فيبخل بابتسامة يضعها على وجهه، وتستقبله الزوجة وهي ضجرة من عبث أطفالها، فتنسى كلمة ترحيب بمقدمه. وكان على الزوج أن يرسم الابتسامة رسمًا وإن لم تكن تعبيرًا عما في داخله من ضيق، وكان على الزوجة أن تنطق بالترحيب ولو مثّلتها تمثيلاً، ولم يكن ما في داخلها يساعدها على نطقها.

فحين تجد الزوجة وجه زوجها مشرقًا بالابتسامة، تنسى كثيرًا من ضيقها وضجرها، وتصبح مستعدة لسماع شكوى زوجها من عمله فتخفف عنه، وتهوّن عليه، وتجعل مشكلاته صغيرة في عينيه.

وحين يسمع الزوج كلمة الترحيب من زوجته، يصغر همه، وتتضاءل أتعابه، وتغيب مشكلاته، ويكون أكثر استعدادًا لتلقي شكاوى زوجته عن الأطفال، وعن الغسّالة القديمة التي ما عادت تغسل جيدًا، والمكواة التي تحتاج إلى تبديل.

إن الزواج لا يكون جنّة إلا بأيديكم، ولا يكون جحيمًا إلا بأيديكم،

ولكم أن تختاروا بعدها كيف تريدون أن يكون زواجكم.. نعيمًا أم جحيمًا؟!.

وقد قرأت كلمة كتبتها إحدى الأمهات اليابانيات إلى ابنتها قبيل زواجها، وأحببت أن أنقلها إلى حواء المقبلة على دخول عش الزوجية.. علّها تعمل بها. تقول الأم اليابانية في وصيّتها إلى ابنتها:

«هذه يا بنيتي «وصفتي» للسعادة في الحياة الزوجية: ضعي زوجك في «قدْر» من العناية والرعاية، واحكمي سدّ هذه القدر بغطاء من الشفقة والمرح والمشاركة الوجدانية، ثم ضعيها قريبًا من نيران الحب الهادئة المستمرة، التي لا تتأجج ولا تخبو، وبذلك يجود طبخ محتوياتها وتصبح «طبقًا» شهيًا رائعًا».

* * *

الغريبة.. وتوفيق الحكيم

قال الشيخ علي الطنطاوي:

حدثنا أستاذنا الدكتور محيي الشماع قبل أكثر من خمسين سنة، إثر عودته من دراسته في باريس؛ أنه ذهب إلى منزل أسرة دلّوه عليها ليستأجر غرفة لديها، فقابل وهو داخل إلى الدار بنتًا خارجة منها في عينها أثر الدموع، فسأل أن ما لها؟ قالوا له: هذه بنتنا، ولكنها انفصلت عنا لتعيش وحدها، قال: إنها تبكي. قالوا: لقد جاءت تستأجر غرفة عندنا، فلم نؤجرها. قال: ولم؟ قالوا: لأنها دفعت أجرة لها عشرين فرنكًا، وغيرها يدفع ثلاثين!.

قال الطنطاوي: وإذا شككت في هذه القصة، ومن حقك الشك فيها، لأنها بالنسبة إليك وإلى كل عربي، شيء يكاد يدخل في باب المستحيل. إذا شككت فيها؛ فاسألي الدكتور الشماع يؤكد لك أنه رآها وسمعها. ولقد قصّ علينا إخواننا الذين ذهبوا إلى أوروبا وأمريكا وخالطوا أهلها؛ كثيرًا من أمثالها.

لقد ابتُذلت المرأة هناك وذلّت، حتى صارت تبذل ما نراه نحن أعز شيء عليها وهو العرض، في سبيل ما نراه أهون شيء علينا وهو الخبز.

أما قرأت ما كتبه توفيق الحكيم عن الفتاة التي فرضت نفسها عليه،

وساكنته في الدار، وعاشرته معاشرة الأهل، لا تريد من ذلك إلا أن تجد سقفًا يكنّها، ومائدة تشبعها، ثم كيف ملّها فطردها.

إن الفاسق عندنا، الفاسق يا سيدتي، يتبع هوى المرأة، ويبذل لها الغالي والثمين؛ لأنه لا يجدها إلا بمشقة، ولا يصل إليها إلا بنصب. استترت المرأة الشرقية فعزّت، وتمنّعت فطُلبت، وعرضت الغربية فهانت؛ لأن كل معروض مهان.

❁ ❁ ❁

امرأة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات

أختنا حوّاء:

قلّبي ناظريك فيما حولك، وتتبّعي الشهيرات من النساء في بلادنا، ستجدين المرأة مغنية، وممثلة، وراقصة.. وقلّما تجدين المرأة كاتبة ومثقفة وأديبة.

تصفّحي المجلات والجرائد.. تجدي صور الممثلات والراقصات تملأ صفحاتها. ثم ابحثي عن كلمة لامرأة، أو قولة حق لفتاة؛ فلن تظفري إلا بالنزر اليسير. الممثلات نصف عدد الممثلين، والمغنيات نصف عدد المغنين، والراقصات خمسة أضعاف الراقصين.

أما الأديبات فسُبْع عدد الأدباء، والشاعرات عُشْر عدد الشعراء! أترضين لنفسك يا حواء، أتقبلين أن يجعلك الرجل أداةَ لَهْوٍ لَهُ، وتتركي له الصدارة في الثقافة والأدب والفكر.

لماذا لا تقلّدين جدّاتك العظيمات، اللواتي كن يقلن كلمة الحق للرجال لا يخشين فيها إلا الله؟.

لن أحكي لك قصة المرأة التي ردت على عمر بن الخطاب في قضية تحديد المهور، فقال عمر قولته المشهورة: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

لن أحكي لك هذه القصة، فهي معروفة لكل الناس، لكثرة ترددها

وذكرها حتى ظن القوم أن ليس هناك غيرها في تاريخ المسلمات المجيدات .

إنها قصة خولة بنت مالك ، يلقاها عمر أمير المؤمنين في الطريق ، فيسلّم عليها ، فتردّ عليه السلام وتقول : «هيها يا عمر ، عهدتك وأنت تسمّى عميراً في سوق عكاظ تروع الصبيان بعصاك ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمرَ ، ثم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين . . فاتّق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت» . فقال الجارُودُ : قد أكثرتِ على أمير المؤمنين أيتها المرأة ، فقال عمر : دعها . . أما تعرفها؟ هذه خولة امرأة أوس بن الصامت ، قد سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، فعمر أحق والله أن يسمع لها .

* * *

حين تكونين عظيمة

ما أعظمك يا حواء:

حين تكونين واحة لزوجك في صحراء حياته.

حين تكونين سكنًا له في تقلبات حياته اليومية المختلفة.

وحين تكونين سندًا تقفين إلى جانبه فيما يمر به من شدائد ومحن.

وحين تكونين حكيمًا ترشدين زوجك إذا حار في أمره، ولم يدر ما يفعل في مأزق أو معضلة. هل يمكننا أن ننسى أم سلمة، زوج النبي ﷺ، وأم المؤمنين، التي ردعت بحسن رأيها فتنة كان يمكن أن تنقلب فجيعة؛ حين أشارت على رسول الله ﷺ وقد استشارها في غزوة الحديبية، عندما تأخر أصحابه عن طاعته، بعد أن أمرهم ثلاث مرات بالنحر والهدي والحلق والإحلال، فما قام أحد منهم ولا تحرّك ولا قام من مجلس.. وهم غضاب منكرون، فأشارت عليه بأن يخرج هو ويصنع ذلك بنفسه أولاً، ففعل، فوثبوا إذ ذاك إلى هديهم فنحروه، وأكبّ بعضهم يحلق بعضًا حتى كادوا أن يغمّوا بعضهم من شدة الزحام.

هكذا ضربت أم سلمة مثلاً أعلى في أصالة الرأي وبعد النظر.

وهكذا نريدك يا حواء دائمًا، ناصحة مرشدة، لا تبخلين برأيك ومشورتك.

❁ ❁ ❁

لقاء الخطيب والخطيبة بين الإفراط والتفريط

فريق من الأولياء، من أمهات وآباء، يضعون بين الخطيبين الحواجز والعقبات، يحولون بين الشاب وبين رؤية خطيبته، دون أن ينظروا بعين الحكمة أو يستنوا بهدي الدين، وإنما هو التقليد الذي ندّد به القرآن ونهى الله عباده عنه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [لقمان: ٢١].

والحقيقة أن مسلك هؤلاء، فيه ألوان من المخاطر الدينية والاجتماعية؛ لأن أكثر الناس يخال ذلك الصنيع من لبوس الدين، وشعار المتقين. وذلك جهل بشرع الله وسنَّة رسول الله ﷺ، يبعد بعض الناشئة عن فهم الإسلام، وإدراك مراعاته للمصالح الاجتماعية في أحكامه الحكيمة.

ومن المفارقات العجيبة، لدى فئة من هؤلاء الجامدين على تقليد يخالف الشرع؛ تلك التناقضات التي يتذبذبون بينها. فأنت ترين الواحد منهم، يسمح لابنته أن تخرج على الملأ سافرة، أو شبه سافرة، لا يرى في تطلّع الناس إليها حرجًا، حتى إذا جاءه الشاب الشريف العفيف، يريد رؤيتها للخطبة الشرعية، نكس على رأسه، ورفض أن يسمح بما شرعه الله وأذن به.

وفريق آخر من الأولياء من أولئك استعبدتهم التقاليد الأجنبية، فخنعت لها نفوسهم الضعيفة، وانحنت هاماتهم الخاوية أمامها، فلا يبالون أن يذهب

الشاب بخطيبته حيث أراد، ويخلو بها كما يشتهي، بحجة التعارف، وتوطيد التآلف بين الخطيبين.

وهكذا، **يضيع الآباء بين التفريط والإفراط**، في هذه القضية الحساسة التي عرض لها بتلك الكلمات الجميلة الدكتور نور الدين عتر في كتابه «ماذا عن المرأة»؟.

امرأة.. وأية امرأة!

تعجبني الأم التي تدفع ابنها، فلذة كبدها، إلى الجهاد دفعًا، وتحثّه عليه، وتجمّله في عينيه، وهي تدافع في الوقت نفسه حب ابنها في قلبها، وتعلّقها به، فليس أشد على الأم من أن تفقد ابنها. لكنه الإيمان: صانع الأعاجيب.

اقرؤوا معي قصة هذه الأم، وأنتم تعرفونها، فهي نموذج قلما نظفر بمثله هذه الأيام

لما مات معاوية، دعا عبد الله بن الزبير إلى الخلافة في الحجاز، فلما صار الملك إلى عبد الملك بن مروان، بعث إليه الحجاج لقتاله فحاصره في مكة، وطال الحصار حتى يئس ابن الزبير من النجاح، ورأى نفسه بين أمرين لا ثالث لهما: إما الأنفة ومصيرها الموت، وإما الحرص على الحياة ويعني الرضوخ والاستسلام.

وهنا رجع إلى أمه أسماء بنت أبي بكر يستلهمها الرأي، ويستشيرها في القتال أو التسليم. وماذا عسى أم أن تجيب ابنها في مثل هذا الموقف؟ هل تؤثر حياته وإن خالطتها ذلة؟ أم تخالف طبيعة الأمهات فتضغط على عواطفها وتسوقه للموت؟.

لقد اختارت أسماء الشق الثاني، وهي ترى الموت ماثلاً أمام عينيها حينما نصحت ابنها بأن يثابر على المقاومة، وهي تترقب له سوء المصير قالت لابنها

عبد الله :

«إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه فامض عليه، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية فيلعبوا بك. وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت. أهلكت نفسك ومن معك. وإن قلت: إني كنت على حق ولما وهن أصحابي ضعفت نيتي، فليس هذا فعل الأحرار، وليس فيه خير. كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير. والله لضربة بالسيف في عزّ.. أحب إليَّ من ضربة بسوط في ذل».

عاد عبد الله إلى الحرب بتحريض أمه فقتل. أجل قتل، ولو لم يقتل يومئذ لما فاته الموت بعدئذ. غير أنه أحيا بيسالته هذه ذكراً خالداً أبد الدهر، كما سجلت أسماء بنصيحتها له شرفًا لم يدركه سواها، بل سجلت شجاعة لم يدركها الشهداء في ساحة الجهاد. فلقد يبلغ الحماس بالمقاتل حداً يصعب معه التفكير بالموت، بينما يظل التفكير على أشده حينما تستشار أم فتفضّل موت ولدها على الحياة الذليلة.

إنها أم.. وأية أم..!.

* * *

مفتاح القلوب!

القارئة نهاد م. كتبت في رسالة لها تقول: «. . أحب الحق والخير، وأسعى دائمًا في دعوة النساء من القريبات والصديقات إليهما. ولكني قلّما أنجح في ذلك، ونادراً ما يستجبن لي، على الرغم من أن ما أدعوهن إليه هو الحق والخير! فماذا يعني هذا. . ؟ هل يعني أن الحق غير مقبول، والخير مرفوض. . ؟ أم أن الدعوة إلى الحق والخير تحتاج إلى فن لا أملكه؟».

يا أخت نهاد: لا يكفي أن تكون الكلمة التي ندعو الناس إليها حقًا، حتى تجد القبول لديهم. ولا يكفي أن توصف بعض الأعمال بالخير، حتى يفعلها الناس. إن الحق وحده، لا يمكن أن يقنع به الناس، وندفعهم للتمسك به واتّباعه، إذا كان مجرّدًا من أمر هو في غاية الأهمية والحساسية والخطورة. هذا الأمر هو. . «الحب». الحب، يا أخت نهاد هو مفتاح القلوب التي نريد لها أن تتبع الحق. لا يمكن لإنسان أن يتبع الحق، ويتمسّك به، ويعمل تحت لوائه؛ إذا لم يتعشق قلبه الحق ويحبه.

ماذا تقولين في القرآن الكريم. . أليس حقًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ ومع هذا، فلو كان الرجل الذي يدعو إلى اتّباع القرآن، رجلاً مجردًا من الحب، لما تبعه أحد.

لست أنا من يقول هذا. . الله سبحانه وتعالى يذكره في قوله مخاطبًا نبيه

عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهكذا يمكنك الدعوة إلى الحق بالحب، وبالحب وحده، تفتحين قلوب الناس لك، ولدعوتك لهم.

إذا مرضت صديقتك أو جارتك، فاتّصلي بها، واسألي عنها، وزوريها. وإذا نجحت، أو رزقت بغلام، أو أصابها أي خير، فاذهبي إليها، وقدمي لها هدية، وأشعريها بمشاركتك لها في فرحتها. وإذا وقعت في مأزق أو تعرضت لمشكلة، فساعديها مخلصة على الخروج من المأزق وحلّ المشكلة.

إذا فعلتِ هذا كله، وغيره من السلوكيات الأخلاقية المشابهة نجحتِ أيّما نجاح، في دعوة الناس إلى الحق والخير.

الحجاب..

قالت: أراك كتبت في كل شأن من شؤون حواء إلا في حجابها! . .

قلت: أوثر إرجاء الحديث عن الحجاب الآن.

قالت: وما رأيك أنت في الحجاب؟.

قلت: ليس الأمر رأي فلان أو فلان، إنما هناك حكم نلتزم به.

قالت: وما هو هذا الحكم؟.

قلت: كما أخبرتك فإني أوثر أن أرجئ الحديث عنه الآن.

قالت: وهل أنت راضٍ عن لباس المرأة اليوم، والصورة التي تظهر فيها؟.

قلت: ما لست راضيًا عنه هو ضعف الغيرة لدى الرجال على نسائهم. فهم لا يتحرّجون من ظهور نسائهم بأية صورة كانت، ولا يتحرَجون من نظرات الرجال إليهن.

وأحب أن أحكي لك قصة جرت مع موسى بن إسحاق قاضي الري والأهواز، حين جلس ينظر في قضايا الناس، وكان بين المتقاضين امرأة ادّعت على زوجها أن عليه خمسمائة دينار مهراً لها، فأنكر الزوج أن لها في ذمته شيئًا، فقال له القاضي: «هات شهودك ليشيروا إليها في الشهادة». فأحضرهم. فاستدعى القاضي أحدهم وقال له: «انظر إلى الزوجة لتشير

إليها في شهادتك». فقام الشاهد وقال للزوجة: «قومي». فقال الزوج: «ماذا تريدون منها»؟. فقيل له: «لابد أن ينظر الشاهد امرأتك وهي مسفرة لتصح معرفته بها». فكره الرجل أن تضطر زوجته إلى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس، فصاح: «إني أشهد القاضي على أن لزوجتي في ذمتي هذا المهر الذي تدّعيه.. ولا تسفر عن وجهها..!».

فلما سمعت الزوجة ذلك.. أكبرت في رجلها أن يضنّ بوجهها عن رؤية الشهود، وأنه يصونه عن أعين الناس، فصاحت تقول للقاضي: «إني أشهدك على أني قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة»!.

تفرح لموت ابنها!

سمعت أن امرأة علمت باستشهاد ابنها على ثرى فلسطين .

هل تدرون ماذا فعلت؟

لقد فرحت أليست أمًّا عظيمة؟

بلى . ولكن أمثالها قليل هذه الأيام .

هذه المرأة التي فرحت مؤمنة بقلبها وسلوكها . وتعلم أن ابنها انتقل إلى حياة أخرى في الجنة . والأمهات المؤمنات حق الإيمان نادرات هذه الأيام .

مرّ رسول الله ﷺ ، بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ . فلما نعوا لها (أي أخبرت باستشهادهم) قالت : فما فعل رسول الله ؟قالوا : خيراً يا أم فلان . هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أروني حتى أنظر إليه . فأشير لها إليه . حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل (أي صغيرة) .

مَن منا يحب الله ورسوله كما تحبهما هذه المرأة المؤمنة التي فقدت زوجها وأباها وأخاها في معركة واحدة . فما خافت ولا قلقت عليهم مثلما خافت وقلقت على رسول الله ﷺ ؟! .

يا أم ، يا أخت ، يا بنت ، يا زوجة ، املئي قلبك ، بحب الله ورسوله ، فتهون المصائب عليك ، وتصغر الدنيا في عينيك ، وتشعرين بالرضا يملأ قلبك .

حواء تكتب إلى حواء!

الأخت ر. هي. كتبت تقول:

«أختاه.. لقد حانت الساعة التي ينساب فيها شعاع جهدك في هذا المجتمع المتخبط عامة.. وفي ميادين المرأة خاصة.

حانت الساعة التي تنفضين فيها عنك غبار الخمول والغفلة، وحان الوقت الذي تبذرين فيه بذورك الخيرة الصالحة في حقلك الصغير والكبير على السواء.

وسيحمل النسيم البذور التي نثرتها يداك بعيداً عن ظلك.. بعيداً عن خطواتك.

حان الوقت الذي تكونين فيه خليفة خديجة وعائشة وفاطمة وسمية وأم سلمة. وليملأ صوتك الإسلامي أسماع الدنيا، أعنف وأقوى من هذه الجوقات الصاخبة التي يتعالى صوتها.. هنا وهناك.. تزعم أنها تطالب بحقوق المرأة.

وأية حقوق ستعطى بعد أن أعطاها الله حقوقًا عادلة تناسب طبيعتها الفزيولوجية وفطرتها النسوية.

أعطاها حق الحياة كالرجل بعد أن كانت تُوأد في التراب: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

أعطاها حق الأمومة بعد أن كانت تعامل معاملة العبيد: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

فهلمّي معي يا أختاه، واحفظي إيمانك وإسلامك بقلبك وجهدك وسَيرك ومظهرك.. قلبًا وقالبًا يا أختاه. لتدحضي بشخصك الإسلامي أفكار المغرضين. وعمل الهدّامين. وليكن الحق رائدَك وهدفَك».

• • •

الرجال مساكين!

«كانت تختلف عن كل النساء اللواتي ينادين بتحرير المرأة. فقد كانت تؤمن بما تقول، وتقرن القول بالعمل!.

أقنعت زوجها بأن مكانه في البيت، وأنها هي رب الأسرة وعليها إعالتها والإنفاق عليها. واقتنع الزوج المسكين، وقدم استقالته من التدريس، ووضع حول عنقه سترة العمل المنزلية، وانصرف للكنس والغسيل، والطبخ، وتربية أطفالهما الأربعة.

وذات يوم ضاق الرجل ذرعًا، فقد رفضت الطفلة «ماريش» أن تتناول زجاجة الحليب، ولم تنفع معها كل خبرته وتجاربه في تربية الأطفال. لاعبها، وهمهم في أذنها بكل ما وعته ذاكرته من أهازيج. ثم هددها بأنه سيشكوها لـ«ماما».. ولكن عبثًا..

وثار «بايرون إيفانز» فصفع ماريش، فبكت.. وأهاجه بكاؤها، فدق رأسها في الطاولة، ثم أمسكها وقذف بها أرضًا بكل ما يملك من قوة.

وسكتت «ماريش».. سكتت إلى الأبد.. وهدأت ثورة بايرون، فنزع السترة المنزلية، وتناول الهاتف وأبلغ زوجته بما فعل، وقال لها إنه تحول من أب مثالي في لحظة غضب إلى أب قاتل.

وعادت «دوت» إلى منزلها، وذهب «بايرون» إلى السجن، ولم تنفع

دموع الزوجة في إقناع قاضي مقاطعة «بيتر بورو» البريطانية بتعديل القانون. قالت له: إنها تعتبر نفسها شريكة في الجرم، وتوسّلت إليه أن يعيده إليها رأفة بأطفالها.

وحكم عليه القاضي بالسجن المؤبد، وهو أقصى عقوبة في القانون.. لأب قاتل.

لقد خسرت حركة تحرير النساء امرأة واحدة، ولكن الأمهات كسبن أمًّا واحدة اقتنعت **بأن مكانها هو إلى جانب أطفالها**، **فذلك هو واجبها، ونضالها الحقيقي، وحريتها الأساسية**.

إن كلام المرأة كالشعارات السياسية، تتحمّس لها ولكن لا تؤمن بها، والويل للرجال عندما تتحول ثرثرة النساء إلى مبادئ وأفعال».

أختي حواء.. هذا ما قرأته في مجلة «الوطن العربي» أنقله إليك.. دون تعليق.

* * *

الرسول والمرأة!

لولا يقيني بأن الإسلام ينصف الناس جميعًا، ويعدل بينهم، لقلنا إن الإسلام ينحاز إلى المرأة.. ويقف في صفِّها.. ويؤثرها على الرجل.

قال الرسول ﷺ: «**ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وألطفهم بأهله**». وقال: «**خيركم.. خيركم لأهله**».

وقال عليه السلام، في آخر حجة وهي حجة الوداع: «**اتقوا الله في النساء**».

ووقفت أسماء بنت يزيد الأنصارية عند رسول الله ﷺ، وهو بين أصحابه فقالت: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وافدة النساء إليك:

إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك إننا معشر النساء مقصورات محصورات، قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجل فُضِّلتم علينا بالجُمَع والجماعات وشهود الجنائز والحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وإن أحدكم إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفنشارككم في هذا الأجر والخير؟.

فالتفت النبي ﷺ، إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: «**هل سمعتم**

مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها؟» فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ، إليها فقال: «**افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء: أن حسن تبعّل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله**».

(يعني أن قيام المرأة بواجبات زوجها على الوجه الأكمل وطاعته؛ يكسبها أجرًا يعادل أعمال الرجل كلها؛ فلولا أنها قامت بشؤون البيت وأراحته من همومه؛ لما استطاع أن يقوم بما قام به من عمل، فهما متساويان في الأجر).

فانصرفت المرأة وهي تهلّل حتى وصلت المرأة إلى نساء قومها، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله ﷺ، ففرحن جميعهن».

حيرة ووحشة!

ف. ل. كتبت تقول:

«.. في بيتي كل ما تتمناه امرأة في بيتها: تليفزيون ملون، جلاية، ثلاجة وغسالة حديثتان، وكل وسائل الرفاهية والراحة، وخادمة تأتيني كل يوم لتجعل البيت في غاية الترتيب والنظافة. وزوجي رجل ثري لا يقصر نحوي بأي شيء، ولا يردّ لي طلبًا، وعندنا غلام وحيد أحبه كثيرًا. ورغم هذا كله أحس بوحدة قاتلة، وأشعر بوحشة خانقة، لا تنفع معهما كل هذه الزيارات التي نقوم بها أنا وزوجي، أو استقبالنا لمن يقوم بزيارتنا من المعارف والأصدقاء. أحاول أن أتصل بجاراتي في فترة الصباح ليزرنني أو أزورهن.. ولكن هذا كله بلا فائدة تذكر، فما زالت الوحدة تحيط بي وتقلقني. فما المخرج من هذه الوحدة والوحشة.. دلّني..».

ما تعانينه أيتها السيدة الكريمة، تعانيه كثيرات من نساء اليوم، بل من رجاله أيضًا، والسر في هذا الإحساس بالوحشة والوحدة يشرحه لك الشاعر ت. س. إليوت في كلماته التي يقول فيها:

«أقسى ما يعانيه إنسان القرن العشرين هو الوحدة.. أليس غريبًا أن يشعر المرء بأنه يعيش وحده وسط هذا الزحام، وتحت كل هذه الأضواء حتى التليفزيون، هذا الجهاز الذي ينقل إلينا الدنيا كلها، إلى بيوتنا، وغرف

نومنا . . ! إنه أحدث وأعظم وسيلة للترفيه . وإن كان لا سبيل إلى الخلاص من هذا الشعور ، كما يقول إليوت ، فلا أقل من محاولة التخفيف منه ، ولتخففي من هذا الشعور ، عليك أن تحبي من حولك ، جيرانك وزوجك وابنك ، وصحيح أنك تحبين ابنك ، ولكن لا تكتفي بحبه من قلبك ، بل من عقلك أيضًا ، اجعليه همّك ، علِّميه ووجِّهيه ودرِّبيه ، حتى قبل دخوله المدرسة ، علِّميه القراءة والكتابة ، حققي فيه نفسك ، ليكون فيه ما تمنيت أن يكون فيك ذات يوم .

ولا يكفي أن تحبي هؤلاء جميعًا حتى تخففي من شعورك بالوحدة ، بل لابد من أن يحبك هؤلاء أيضًا ، قد تقولين إنك لا تملكين قلوبهم حتى تجعليهم يحبونك ، وهذا صحيح ، ولكن ، بحبك لهم ، وحسن تعاملك معهم ، ستنجحين في استمالة قلوبهم نحوك . ثم لا تنسي قبل هؤلاء جميعًا ، أن تحبي الله سبحانه ، وتذكريه دائمًا ، فلابد أن تجدي لهذا أثرًا في نفسك ، واطمئنانًا في قلبك : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

* * *

هل المرأة.. إنسان؟!

كانت المرأة في «أثينا» سلعًا تباع وتشترى، وتسمى رجسًا من عمل الشيطان، وحرم عليها كل شيء سوى الخدمة في البيت وتربية الأطفال.

وجاء في شرائع الهند: «أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار.. خير من المرأة».

وفي التوراة - التي حرّفها اليهود: «وجدت أمرَّ من الموت: المرأة التي هي شِباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود..».

وفي روما اجتمعت هيئة كبيرة من العلماء والفلاسفة تبحث عن شؤون المرأة، فقررت أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ولا نفس، ولن ترث الحياة الأخرى، ويجب ألا تأكل اللحم ولا تضحك ولا تتكلم، بل جعلوا على فمها قفلاً من الحديد ليمنعوها الكلام، وعليها صرف أوقاتها في العمل والخدمة دون استراحة، والقفل في فمها.. هذا عدا العقوبات البدنية التي تتعرض لها المسكينة باعتبارها أداة للإغواء يستخدمها الشيطان في إفساد العقول والقلوب.

وفي سنة (٥٨٦) ميلادية انعقد في فرنسا اجتماع هام دار البحث فيه عن المرأة: أتعدّ إنسانًا أم غير إنسان؟ وفي النهاية قرروا أنها إنسان، ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل.. ليس إلا!.

وفي إنكلترا، أصدر الملك (هنري) الثامن أمراً بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على النساء. وكانت النساء طبقًا للقانون الإنكليزي العام - حوالي عام ١٨٥٠م - غير معدودات من المواطنين، ولم يكن لهن حقوق شخصية، ولا حق لهن في تملك ملابسهن والأموال المكتسبة بعرق جبينهن.

وبعد.. أختنا حواء..

فهذه اللمحات عن أوضاع المرأة في فترات مختلفة من التاريخ أنقلها لك كما هي؛ لأنها في غنى عن كل تعليق.

* * *

النوم على حكايا التاريخ

قرأت في مجلة شهرية، كلمات لسيدة مسلمة، أحببت نقلها في رسالة اليوم إلى حواء.

تقول هذه السيدة:

«أدعو أخواتي المؤمنات الصادقات في كل مكان، إلى أن نستأنف ماضينا الجليل، الذي انقطع منذ زمن طويل، أدعوهن إلى أن يكون لنا كرّة أخرى، في هذه الأيام المقفرة من البطولات، والنماذج الملهمات. خديجة وسمية وفاطمة وأسماء أخرى..

يجب ألا يقتصر دورنا على رواية التاريخ، ولكن يجب أيضًا أن نصنع التاريخ..

يجب ألا نكتفي بالحديث عن دور أمهاتنا الكبير في الماضي. ولكن يجب أن نؤدي دورنا الكبير في الحاضر والمستقبل..

يجب ألا نقف عند حدود الإعجاب ببطولات الأمهات الخالدات ولكن يجب أن نرد على الدنيا تلك البطولات.

يجب أن نكون مع سائر المؤمنين في الميدان، وأن نربح لأنفسنا ومجتمعنا وعالمنا معركة الحق والحياة معركة الإسلام العظيم.

هذا هو ما يفرضه علينا الدين.

هذا هو ما يحفزنا إليه التاريخ.

هذا هو ما يطالبنا به الواقع.

هذا هو هتاف الأجيال، ونداء الحاضر والمستقبل.

وهذا ما سيسألنا عنه الله عز وجل كما يسأل عنه الرجل.

فيا أخواتي المؤمنات:

هيا بنا إلى القيام بواجبنا الكبير الخطير..

فإن المستقبل يرتبط بموقفكن إلى حد بعيد».

ترى هل تجيبين يا حواء.. نداء هذه السيدة؟.. آمل ذلك.

* * *

لا تعجبوا.. إنه الإسلام

فتاة دنمركية، شرح الله صدرها للإسلام، وزارت جمعية الشباب المسلم بالدانمرك، وأعلنت إسلامها، وعلم أهلها بإسلامها، فقاطعوها، وما عاد أحد من أهلها يزورها، وما عادوا يسمحون لها بزيارتهم. وكانت مقاطعة لا لين فيها، أراد أهلها من ورائها إجبارها على العودة إلى دين آبائها وأجدادها، لكنها ثبتت، وحافظت على عقيدتها وإيمانها، ليقينها أنها على حق.

وأعجب بالفتاة الدنمركية المسلمة شاب عربي من الأردن، فتزوجها وعاش الاثنان عيشة سعيدة معًا ثلاث سنوات ونصف السنة، قرر أهل الفتاة بعدها إنهاء المقاطعة التي نفذوها طوال الفترة الماضية، وقرروا زيارة ابنتهم وزوجها، فاشترطت ابنتهم عليهم ألا يحضروا معهم أي طعام محرّم كلحم الخنزير، والمشروبات الكحولية، وألا يقدموا لهما ولطفلتيهما - وكانت قد رزقت بطفلتين - أي طعام أو شراب محرّمين. وعمل الأهل بما اشترطت عليهم ابنتهم، ومضت الأيام، والأهل يلاحظون هذا السموّ في سلوك ابنتهم وزوجها المسلم، فصاروا يحبونها أكثر من إخوتها وأخواتها جميعًا، وباتت أثيرة لديهم.

ولقد وصل إعجابهم بزوجها حدًا جعلهم يعرضون عليه السكن عندهم، وتمليكه بيتهم؛ ليعيشوا مع ابنتهم.. وابنهم الجديد.

* * *

الحق..والحب

رسالة صريحة وصلتني من القارئة رقية م. قالت فيها:

«جميل هذا الكلام الذي تكتبه، ولكن أي تناقض فظيع، وأية ازدواجية عجيبة، هذين اللذين نجدهما في الكلام الذي تقوله، والصور التي تنشرها في الصفحة نفسها؟! تدعو إلى الستر والحشمة وإلى جانب كلامك هذا تنشر صور نساء سافرات، بل نصف عاريات أحيانًا!!».

يا أخت رقية.. سامحك الله من قال لك بأني من يقوم بنشر هذه الصور في الصفحة التي أكتب فيها رسالتي إلى حواء؟ لا يا رقية.. لست أنا من ينشر هذه الصور، ولا أملك حق منع ما ينشر في الصفحة. فليس هناك من حل إذن، لإلغاء هذا التناقض وهذه الازدواجية، سوى أن أكف أنا عن الكلام، فلا أدعو إلى ما أدعو إليه، ولا أحسبك تطلبين هذا.

فليبق الأمر كما هو، محققين بذلك عكس المثل القائل: (يدسّون السمّ في الدسم)، لندس نحن الدسم في السم، إذا صح التعبير، وما أظنه يصح، لكنه توضيح لصورة الأسلوب المتبع.

وكلمة الحق لا تقال وسط الحق والخير والفضيلة فحسب، وإلا بقيت كلمة ميتة، ولا تكتسب الحياة إلا حين تقال لكل الأطراف، وحين يسمعها كل الناس، حين نكسب إلى صفها أنصارًا وأتباعًا.

إن كلمة الحق يجب أن ترفض العزلة، وتأبى العيش فيها، وتختلط بكل الكلمات لتصبغها بصبغتها، صبغة الحق.

وهذا كلام الله ينزل إلى أقوام بعيدين عن الحق والخير والفضيلة لينشر بينهم الحق والخير والفضيلة.

فلنجعل قول كلمة الحق همّنا، ونرسلها في كل الأنحاء والأبعاد حتى يكثر أتباعها، ويزيد أنصارها. وقول كلمة الحق فن يجب أن يتقنه صاحبه، بحيث تخرج كلمة الحق منه وهي زاخرة بالحب، فيحبها الناس، ويتمسكون بها، تدفعهم إليها عقولهم وقلوبهم.

* * *

من حقوق المرأة في الإسلام

قرر الإسلام أن للمرأة ولاية على نفسها، وإذا كان للوالي شأن في زواجها، فليس له أن يجبرها، وإنما الأمر إليها أولاً، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**الأيِّم أحقُّ بنفسها من وليِّها**».

وصلة الوليّ بالمرأة صلة أدبية، لصيانتها ومنعها من السقوط ومعاونتها في اختيار الزوج. فإذا اختارت الكفء ولم يرض هو، لا يُلتفت لاعتراضه بل يزوجها القاضي.

وبعد الزواج ليس للزوج ولاية عليها إلا بمقدار ما ينظمه عقد الزواج من حقوق بين الزوجين.

والمرأة إذا كانت بالغة عاقلة رشيدة لها الولاية الكاملة على مالها من غير تدخل من أبيها أو غيره من قرابتها، وإذا تزوجت كانت ذمتها المالية منفصلة عن ذمة زوجها، فلها أموالها، وله أمواله، وكل يدير ماله من غير تدخل من الآخر.

ولها أن تتبرع من مالها بما تشاء كما يتبرع الرجل.

وخلاصة القول أن الرجل والمرأة على سواء بالنسبة لإدارة كل منهما ماله، وليس للزوج أي حق في التصرف بمال زوجته إلا بتوكيل حر يكون لها الاختيار الكامل والرضا التام فيه. وإن أساء الزوج الإدارة كان لزوجته عزله

في أي وقت تريد، وعقد الزواج في الشريعة الإسلامية لا يقتضي أية ولاية مالية، ولا شركة في المال.

وازني، عزيزتي حواء، بين هذا وبين القوانين الأوروبية فيما يتعلق بالزواج.

القوانين الأوروبية تجعل الزوج شريكًا ووليًا للزوجة في مالها، وليس لها أي تصرف في أي قدر من مالها إلا بإذنه، وليس لها أن تودع مالها في المصارف على ذمّتها؛ لأن ذمّتها غير منفصلة عن ذمّة الزوج، بينما الزوج له ذلك، وآخر تعديل فرنسي في القانون المدني الفرنسي سوّغ للمرأة أن تودع أموالها باسمها.

هذه هي حقوقك يا حواء في الإسلام، فهل ترغبين بعد هذا شريعة غير شريعته؟.

* * *

اعرفي حقك هذا!

كثير من الآباء هذه الأيام يردون شبابًا ذوي خلق ودين، يتقدمون لخطبة بناتهم، طمعًا في مال، أو رغبة في نسب.

ثم يزوجون بناتهم لآخرين لا ترضى بهم بناتهم دون أن يستمعوا لآرائهن في الخاطب، أو يطلبوا مشورتهن فيه.

وهذا استبداد غير جائز ويتعارض مع حرية الفتاة في الرفض أو القبول، ويسلبها حقًا من حقوقها.

وقد جاء في السنّة أن خنساء بنت خدام الأنصارية زوّجها أبوها وهي ثيِّب ممن تكرهه، فأتت رسول الله ﷺ، فردَّ نكاحه. أخرجه البخاري.

وروى أحمد والنسائي من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: إن أبي زوّجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. فجعل ﷺ الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أنه ليس للآباء من الأمر شيء. فقال عليه السلام: «لا **تُنكح الأيِّم حتى تستأمر، ولا البكر حتى تُستأذن**».

فاعرفي يا حواء حقك هذا وتمسكي به، ولا تتخلي عنه أبدًا.

حق إعطاء الأمان

كلما بحثت في أحكام الإسلام، ودرست شريعته، وتأملت أموره وجدت تقديراً ما بعده تقدير، وإكرامًا لا يعدله إكرام، وحقوقًا لم تنلها المرأة في أية شريعة من الشرائع، أو قانون من القوانين.

ولقد عرضت في رسائل سابقات، بعضًا من هذه الحقوق، ولمحات تصور تلك المكانة التي نالتها المرأة ووصلت إليها في الإسلام.

ولعل ما أعرضه اليوم، قد غاب عن أذهان كثير من نسائنا، بل من رجالنا أيضًا. وهو حق المرأة في إعطاء الأمان لمن تشاء من المشركين، فإذا أمّنت أحدًا وجب على المسلمين أن ينفذوا جوارها، ويحترموا وعدها.

وقد ثبت ذلك في السنة الكريمة، حيث ورد أن أم هانئ بنت أبي طالب جاءت النبي ﷺ، يوم فتح مكة فقالت: إني أجرتُ رجلين من أحمائي. فقال الرسول ﷺ: «**أجرنا من أجرت أم هانئ. ثم قال: إن المرأة تجير على المسلمين**». وقد أجار ﷺ أبا العاص بن الربيع لما أجارته ابنته زينب.

* * *

عندما تشارك المرأة في معركة الحق

السيدة أم «أم أيمن» كتبت تقول:

يجب أن نبرهن بالواقع الحي لا بسرد النماذج التاريخية القديمة، أن المرأة يمكن أن تكون مسلمة ملتزمة الالتزام كله بالإسلام، ومتعلمة قادرة ذات دور فعّال في الوقت ذاته، وأن الإسلام نفسه هو الذي يجعلها عالمة قادرة فعّالة في مختلف الميادين التي يريدها أن تعمل فيها.

وليس الأمر أمر برهان للآخرين فحسب، بل الأمر بالدرجة الأولى أمر واجب تقوم به المرأة بصرف النظر عن الآخرين.

إن الإسلام هو للمرأة كما هو للرجل، وإنه ليعز على المرأة المسلمة أن ترى الإسلام ينحسر في مجتمعها، بل عن بيتها أحيانًا وأولادها. وهي تقف موقف العجز والسلبية، موقف المتفرج الذي ينتظر دوره ليجرفه أو يجرف أبناءه - على الأقل - دور الفساد أو الإلحاد والمذاهب المنحرفة.

أنا شخصيًا أرفض هذا الموقف كل الرفض، واعتبره خيانة لله وللرسول وللإسلام، وخيانة لنفسي وأسرتي ومجتمعي.. وأدعو أخواتي المؤمنات في كل مكان إلى رفض هذا الموقف الذي لا ينسجم مع الإيمان ومع كرامة الإنسان، وتبعة الإنسان.

إن العمل للإسلام، ولإنقاذ الإنسان والمجتمع بالإسلام، هو في هذه

الظروف فريضة على الرجل والمرأة، ومسبار لحقيقة الإيمان وعمقه في النفوس.

فيجب أن نتحرك أيتها الأخوات بكل ما نستطيع، وأن نعبِّر عن إيماننا بالعمل الواقعي الملموس الذي يريده الإسلام، كما يريده الإسلام.

يجب أن نقوم بواجبنا كما يقوم الرجل، وأن نضحي كما يضحي الرجل، وأن نربح بالعمل والتضحيات معركة الإسلام.. ومعركة الحق والإنسان.

وبعد، أختنا حواء، هذا حديث واحدة من بنات جنسك تدعوك فيه إلى العمل من أجل قضيتنا جميعًا، رجالاً ونساء، فهل تعملين؟.

حافظات للغيب..

قالت:

- هل يحق لي أن أخرج من بيتي دون إذن من زوجي أو علمه؟.

- وهل يعدّ حديثي لرفيقاتي، عن علاقاتي بزوجي، نوعًا من الخيانة؟.

- وهل تصرفي بماله حق من حقوقي؟.

قلت: لقد أثرت قضايا ثلاثًا، كل واحدة منها، تحتاج إلى بحث مسهب. على كل حال، فإن أسئلتك الثلاثة يمكن أن تسلك في خلق الوفاء أو الأمانة، فليكن الحديث عامًا، موجزًا عن الوفاء والأمانة. ولنأخذ الوصف الذي جمع به الله سبحانه، هاتين الخصلتين، وهو «حفظ الغيب» وأثنى به الله، سبحانه على الزوجة التي لها منزلة التكريم عنده، فقال: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ [النساء: ٣٤].

والحق أن حفظ الغيب، ليس واجبًا على الزوجة وحدها، بل هو واجب على الزوج أيضًا، لكنه في حق المرأة أكبر وأقوى؛ لأن الخطر في تساهلها عظيم جدًا، يهدد بنتائج ليست هينة، منها القضاء على الأسرة.

وقد تعددت أقوال العلماء في الغيب الذي يجب حفظه، فقيل: المال. وقيل: ما يكون بينها وبين الزوج من القضايا الخاصة بالزوجية، وقيل: الحفظ من الزنا.

ويمكننا أن نقول: إن هذه الأمور جميعًا، داخلة تحت معنى هذا النص القرآني، فهي، وما شابهها، من الغيب الذي يجب حفظه.

فالمرأة أمينة على مال زوجها، وما يودعه في البيت من نقد أو مؤونة أو غير ذلك، فلا يجوز أن تتصرف فيه بغير رضاه.

وفي الحديث الشريف: «... **والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها**».

وأما حفظ النفس من جناية الزنا، فأعظم مسؤولية يلقيها هذا الميثاق الذي يؤكد أن خيانته تستوجب أشد العقوبات؛ لأن المرأة بهذا تدخل على الرجل من ليس في صلبه.

وربما تسوّل لبعض السفهاء - من رجال أو نساء - نفوسهم، فيلوكون بألسنتهم أمورًا مما يحدث من علاقات زوجية، يتفكهون الحديث عنها، ولقد أعلن النبي عليه الصلاة والسلام حرمة هذا الصنيع فقال: «**إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**». أخرجه مسلم.

فهل تكونين يا حواء من الحافظات للغيب؟.

قوامون على النساء!

يخطئ كثير من الناس في فهم قوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا ﴾ [النساء: ٣٤]، فليس من هدف القوامة السيطرة على المرأة سيطرة تنمحي معها شخصيتها في البيت أو المجال الإنساني؛ لأن هذا الفهم خاطئ من غير شك.

وآية ذلك أن المرأة في الشريعة، تتمتع تمتعًا ملحوظًا بحقوقها كاملة من غير نقصان، سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة، فهي حرة في حقوقها المدنية، بعد بلوغها سن الرشد، إذ لها أن تقوم بإجراء العقود والتصرف كتصرف الرجل في كثير من المجالات المالية كالبيع والشراء وهلمّ جرًا.

والمرأة المتزوجة مستقلة الاستقلال كله عن زوجها في مالها وثروتها، ولا يحق له أن يتصرف في مالها دون رضاها. في حين أن المرأة في القوانين الحديثة عند الأمم «الراقية» كفرنسا، مغلولة في كثير من الحقوق المدنية. وتنص المادة ٢١٧ من القانون المدني الفرنسي على أن المرأة المتزوجة لا يجوز لها أن تنقل ملكيتها.. إلا بالاشتراك مع زوجها.

ولو تدبرت المرأة، أيّة امرأة، نظرة الشريعة إليها، والمكانة التي يرفعها إليها، لما رضيت بغير الإسلام منظمًا لشؤونها وعلاقاتها بغيرها في المجتمع والحياة.

ولو عرض وضع المرأة في الإسلام على النساء الغربيات ـ وأحسن العرض ـ لقامت الغربيات هناك بمظاهرات تطالب بالحقوق التي منحها الإسلام للمرأة.

* * *

شباب ذئاب..

كان من الشاب المتحرر من بعض مفاهيم الأخلاق والقيم، يدعو إلى انطلاق الفتاة، واختلاطها بالشباب، وحريتها في فعل ما تريد، والذهاب حيث تشاء. وكان يمضي كثيراً من أوقات فراغه في السهرات والرحلات مع كثير من النساء والفتيات.

جاءني يقول لي: لقد قررت الزواج. قلت له: حسنًا تفعل، ولكن هل خطبت؟ قال: أريد أن أعتمد عليك في هذا الأمر، لتدلّني على من تعرف من أسر عندها فتيات مناسبات. قلت: عجبًا.. إنك تعرف من الفتيات أضعاف ما أعرف..! قال: أجل.. ولكن ليس بينهن واحدة تصلح للزواج. قلت: وكيف تريدها؟ قال: أن تكون فتاة مهذبة، ذات أخلاق عالية، متعلمة، من أسرة محترمة.. وعلى قسط من الجمال.

هذا الشاب نموذج لكثير من شباب مجتمعنا، يدعون الفتاة إلى التحرر والانطلاق و«التحلل» ليعيشوا شبابهم !ويمتِّعُوا نفوسهم..! فإذا ما أرادوا الزواج.. زهدوا في من يعرفون من الفتيات، وبحثوا عن المؤدبات المحتشمات.

إنهم يناقشون الأمر مناقشة يسيرة: ما دامت هذه الفتاة تخرج معي اليوم دون أن يربطني بها رابط، فما أدراني أنها لا تخرج مع غيري غداً؟!.

وإن كان لابد من حساب الربح والخسارة، مادمنا في عصر الاقتصاد والتجارة، فإن الشاب لن يخسر شيئًا . . وتكون الخسارة كلها على حساب الفتاة المسكينة . . المغرر بها . .

احذريهم أختي الكريمة . . احذري بعض الشباب الذين هم أقرب ما يكونون . . إلى الذئاب!!.

* * *

ليست مسؤولية حواء وحدها..!

الرجال جميعهم يا حواء يقولون إنك أنزلت آدم من الجنة، ويذكرون هذا دائمًا، بمناسبة وغير مناسبة، حتى ظنّ الناس أنها حقيقة وقعت، وأن كل امرأة في هذه الدنيا تعيد ما قامت به جدتها حواء فتخرج الرجال من سعادتهم كما أخرجت حواء آدم من الجنة.

المرأة، كما جاء في الأسطورة الأغريقية القديمة «بندور» هي السبب الأصلي في آلام العالم وأحزانه، وهي «بلية العالم» كما يسميها اليونانيون، وهي «الشيطان الجميل» و«ينبوع المسرات السامة» كما يدعوها اللاتينيون. وهي التي بدأت بالخطيئة الأولى وأغوت آدم، كما جاء في العهد القديم «سفر التكوين: الإصحاح الثالث».

هكذا ينظرون إلى المرأة وهكذا يحمّلونها المسؤولية وحدها، إلا القرآن الكريم فإنه يشرك آدم معها في المسؤولية ولا يقصرها على حواء، لقد نهى الله آدم وحواء معًا عن الأكل من الشجرة: ﴿ **فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩].

وكلاهما وسوس له الشيطان وأغواه: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا** ﴾ [الأعراف: ٢٠].

وكلاهما عاتبه ربه على نسيانه العهد واتّباعه الشيطان: ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ**

أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وكلاهما أعلن توبته لله وطلب منه المغفرة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

أجل. إنها مسؤوليتكم جميعًا وليست مسؤولية المرأة وحدها.

وبعد:

فتأملي يا حواء كيف يكرمك القرآن، وكيف يرفعك إلى مكانة لم يرفعك إليها غيره. ! إنه الحق.. وهل بعد الحق إلا الضلال؟!.

* * *

ثالوث السعادة..

المال والشهرة والجمال، ثالوث أوهم الناس المرأة أن السعادة فيه، ودفعوها لتجري وراء بريقه، وتسعى لتحقيقه.

هذا الثالوث، نالته امرأة يعرفها الجميع، إنها الممثلة الشهيرة الراحلة «مارلين مونرو»، ولكن.. هل نالت السعادة معه؟.

نالت مارلين مونرو المال الذي تستطيع أن تحصل به على كل شيء، والشهرة التي جعلت اسمها وصورها تملأ صحف العالم، والجمال الذي يشد أنظار الرجال إليها، ويجذبهم نحوها.

ولكن، هل نعمت مارلين بالسعادة مع هذا كله؟!

لا؛ لأن سعادة المرأة في ثالوث آخر، لم تنله مارلين مونرو، إنه الزوج والبيت والأطفال. لقد وجد المحقق، الذي درس قضية انتحار هذه الممثلة الشهيرة، رسالة محفوظة في صندوق الأمانات في بنك «مانهاتن» في نيويورك. فتح المحقق الرسالة، وجدها مكتوبة بخط مارلين نفسها، وهي موجّهة إلى فتاة تطلب نصيحة مارلين عن الطريق إلى التمثيل. قالت مارلين في رسالتها إلى الفتاة:

«احذري المجد. احذري كل من يخدعك بالأضواء، إني أتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أمًّا. إني امرأة أفضّل البيت، الحياة

العائلية، على كل شيء، إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة. بل إن هذه الحياة لهي رمز سعادة المرأة.. بل الإنسانية».

* * *

«مارلين مونرو».. أيضًا

حدثتك البارحة عن «مارلين مونرو» الممثلة التي ملكت المال والشهرة والجمال. ونقلتُ لك ما كتبتْه في رسالة لها إلى إحدى الفتيات الراغبات في التمثيل. اليوم أنقل ما ذكرته الصحافة الغربية عن انتحار هذه الممثلة الشهيرة.

قالت النيويورك تايمز: «إن هوليود كانت تبيع روحها دون جسدها».

وقالت الأزفستيا السوفياتية: إنها ضحية هوليود التي أوجدتها ثم قتلتها.

أما الهيرالد تريبيون فقالت: «إنه الاستغلال البشع الذي لجأت إليه شركات السينما، وتميز به: الإغراق في إبراز مفاتنها بشكل لا ذوق فيه.. من أجل الأغراض التجارية».

وقالت «بيلد زايتونغ» الألمانية: إنها كانت ضحية طرق الدعاية التي تمارسها هوليود.

وصرح بعض النقاد بأن الجاني هو كل فرد في المجتمع الغربي.

وقال أحدهم في إيطاليا: «إنها لم تنتحر.. نحن الذين قتلناها، نحن الذين نشاهد الأفلام ونقرأ المجلات».

بينما اعتبرها أديب آخر إنسانة «لم تطق استمرار العيش في قاذورات تلك الحضارة فلم تجد مفراً من موتها اليومي إلا بالموت النهائي».

نعم، لقد رأت هذه الممثلة في الانتحار خلاصًا من شقاتها، وتحررا من واقعها، ونجاة من مستغليها والمثرين على حساب أنوثتها.

* * *

أتريدين الطلاق؟!

أما زلت راغبة في تقليد المجتمع الغربي، والسير في ركابه؟.

اقرئي معي نسب الطلاق الآتية في أشد بلدان العالم تحرراً.. فقد بلغت نسبة الطلاق إلى عدد الزيجات:

- في فنلندا ٢٤٪.
- وفي الاتحاد السوفياتي ٢٨٪.
- وفي ألمانيا الشرقية ٣٠٪.
- وفي الولايات المتحدة الأمريكية ٤٠٪.
- وفي السويد ٦٠٪.

وتذكر الدراسة التي نشرت هذه النسب، أن ثلثي الراغبات في الطلاق في فرنسا من اللواتي يمارسن عملاً ما أو مهنة.

وأن ٢٢٪ من حالات الطلاق في ألمانيا الشرقية نتيجة الخيانة الزوجية و١٠٪ منها لأسباب جنسية، و١٠٪ منها بسبب الإدمان على المشروبات الكحولية.

وتذكر دراسة أخرى أن ٨٤٪ من رجال أمريكا المتزوجين و٤٠٪ من نسائها المتزوجات.. لهم صلات جنسية قبل الزواج.

وأن ٤٠٪ من المتزوجين فيها و٢٥٪ من المتزوجات على صلات جنسية بغير أزواجهم!.

بقي أن تعرفي أن هذه الأرقام ليست من عندي، إنما هي منشورة في مجلة «شتيرن» الألمانية الغربية. وأرقام الدراسة الثانية منقولة عن كتاب «تاريخ العادات في العالم» الصادر في ميونخ.

• • •

حين تشرق الشمس من الغرب!

حدثتني السيدة سامية حسين، التي كانت ضمن وفد جمعية الشباب المسلم، الذي زار الكويت، عن فتاة دانمركية استمعت لشرح عن الإسلام منها ومن سيدة دانمركية مسلمة ـ وكانتا، السيدة الدانمركية وسامية ـ تضعان الحجاب، فلما شرح الله صدر هذه الفتاة للإسلام، وأعلنت إسلامها، طلبت من السيدتين إلباسها الحجاب الشرعي، فقامتا بذلك على الفور، وحَسُن إسلام هذه الفتاة.

سمعت قصة هذه الفتاة الدانمركية من السيدة سامية، فبكيت في نفسي.. وضحكت... بكيت.. تأثرًا لموقف هذه الفتاة الدانمركية التي امتثلت لكل ما يأمرها به الإسلام، بعد أن أحبته ودخلت فيه، دون أن تناقش أو تؤجل أو تسوف، فقد رأت أن الإسلام حق، والحق لا يأمرها إلا بحق.

وضحكت في نفسي.. حين تذكرت فتياتنا المسلمات العربيات حين تقرر الواحدة منهن أن تتمسك بأهداب الدين.. فهي تقول: سأبدأ الصلاة في أول رمضان ولن أتركها بعد ذلك. وسأضع الحجاب بعد أن أؤدي الحج، ولن أخرج مع الشباب بعد أن أتزوج.. وهكذا تقسم فتاتنا العربية الدين أقسامًا، وتجعله مراحل وفترات.

ميزة الغربي، والغربية، أنه إذا آمن بشيء عمل له وأخلص، وبذل من أجله جهده وماله ووقته واهتمامه كله.

أما نحن العرب، فإذا آمنا بشيء أعطيناه فضل جهدنا، وبعض مالنا، وشيئًا من وقتنا. . ونزراً يسيراً من اهتمامنا.

ألا يحق لي بعد هذا أن أقول: **إن شمس الإسلام** ستشرق هذه المرة من **الغرب**؟!.

* * *

المرأة الباريسية..

آثرت اليوم، أن أنقل لك هذه الأخبار من مفكرتي، عن المرأة الباريسية.

* عقد أول مؤتمر لبائعات الهوى في قاعة «موتاليت» بباريس، حيث تبدأ عادة المسيرات السياسية. وقد جاء هذا المؤتمر، الذي حضرته ٢٠٠٠ بائعة هوى، بعد سلسلة من الاحتجاجات قدمت ضد السلطات بسبب المضايقات التي يتعرضن لها. . وكان هدف المؤتمر تشكيل اتحاد يطالب بتحقيق مطالب بائعات الهوى، وهي الاعتراف بوضعهن، وقبولهن اجتماعيًا، مقابل دفع ضريبة.

وقد وجهت الدعوة لحضور المؤتمر إلى كافة أعضاء المجلس الوطني الفرنسي، الذي يصل عدده إلى ٤٩٠ عضواً، وإلى كبار المحامين وعلماء الاجتماع ورجال الكنيسة ورجال الأدب ونسائه وعلى رأسهن: سيمون دوبوفوار.

* أذاع الراديو الفرنسي «فرانس أنتير» في يوم الأحد ٢٥/ ٩/ ١٩٧٧م إحصائية ذكر فيها أن في فرنسا خمسة ملايين امرأة متزوجة على علاقة جنسية بغير زوجها.

* أذاع التليفزيون الفرنسي «القناة الأولى» يوم ٢٣/ ٩/ ١٩٧٧م أن المحكمة الفرنسية ردت الدعوى التي قدمها زوج بحق زوجته التي تخونه.

وبعد تقديم الدليل، قالت المحكمة: ليس من حق الزوج أن يتدخل في الشؤون الخاصة بزوجته!!.

* وفي إحصائية ذكرها التليفزيون الفرنسي أيضًا أن عدد« الأمهات العازبات» يصل إلى مليون امرأة. وأن هناك طفلاً غير شرعي بين كل ١٥ طفلاً. وأن حوادث الاغتصاب تصل إلى ٢٢ ألف حادث في السنة.

• • •

قاضية سويدية.. مفهوم الحرية

«بريجيدا أولف هامر» قاضية سويدية، طافت عواصم الشرق الأوسط وقراه. حاولت أن تدرس ـ لحساب الأمم المتحدة ـ مشكلات المرأة الشرقية العربية على الطبيعة.

ترى هذه القاضية أن المرأة الشرقية، في قطاعات كثيرة وبارزة من البلاد العربية، أكثر حرية من المرأة السويدية؛ لأن الحرية ـ كما تقول بريجيدا ـ هي أن يكون للإنسان عالمه الخاص المستقل، على العكس من حال المرأة السويدية، التي ليس لها عالم لا يشاركها فيه الرجل.

وتضيف بريجيدا: **«إن حرية المرأة الغربية حرية وهمية؛ لأنها لم تمنح المرأة ـ في الحقيقة ـ المساواة بالرجل إلا بعد أن جردتها من صفاتها الأنثوية، وحرّيتها الأنثوية، وحقوقها الأنثوية، لتجعل منها كائنًا أقرب إلى الرجل».**

«إنها حرية الغني الذي سعى للمساواة بالفقراء وحرية ساكن الجنة الذي سعى للنزول إلى الأرض».

هذا ماقالته هذه القاضية السويدية وهي تقارن بين الحرية الوهمية للمرأة الغربية والحرية الحقيقية للمرأة الشرقية. فكيف يمكن أن نقول: إن المرأة الغربية تمتلك الحرية؟ وهي أسيرة لقمة العيش، أسيرة الشقاء المقصور على الرجال، الشقاء الذي يسلب المرأة صفاتها الأنثوية، ويجعلها كائنًا أقرب إلى الرجل؟.

* * *

الاختلاط والجريمة!

مئات الآلاف من جرائم هذا العصر، هي نتاج الاختلاط، اختلاط النساء بالرجال.

آلاف عمليات الإجهاض، وآلاف جرائم الخطف والاغتصاب وآلاف الأطفال غير الشرعيين.. بسبب الاختلاط.

وكأنما أحسّت الكاتبة الإنكليزية «الليدي كوك» بهذه العواقب الوخيمة للاختلاط، فكتبت - قبل عشرات السنين - في صحيفة «الايكو» تقول:

«إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وهنا البلاء العظيم على المرأة».

ثم تقول: «أما آن لنا أن نبحث عما يخفف - إذا لم نقل عما يزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟.

أما آن لنا أن نتخذ طرقًا تمنع قتل الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب».

«يا أيها الوالدان: لا يغنكما دريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن في المعامل ونحوها، ومصيرهن إلى ما ذكرنا، علّموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد. لقد دلّتنا الإحصاءات على أن

البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال.

ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل، والخادمات في البيوت، وكثير من السيدات المعرضات للأنظار. ولولا الأطباء الذين يعطون أدوية الإسقاط، لرأينا أضعاف ما نرى الآن.. لقد أدّت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان.. وهذا غاية الهبوط بالمدنية».

* * *

أمهات + خمرة = أطفال مشوهون

نشرت مجلة «النبض» الطبية الإنكليزية دراسة عن تشوّه الأجنة عند الأمهات المدمنات على الخمر. وتذكر الدراسة أن ٤٤٪ من الأطفال المولودين من أمهات مدمنات.. مصابون بعاهات عقلية مستديمة وأن ١٧٪ منهم يموتون قبل ولادتهم.

وقد بدأ الاهتمام بهذا الموضوع عقب إحصائية فرنسية لـ (١٢٧) طفلاً مشوهًا في فرنسا لأمهات مدمنات على الكحول، حيث طالب الباحثون بعدها بضرورة منع النساء المدمنات من الحمل، بل وبإجهاضهن في حالة حدوث الحمل. وهذا يتطابق أيضًا مع الأبحاث التي قامت بها جامعتا واشنطن وكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي أكّدت أن المدمنات على الخمور ينجبن أطفالاً مشوّهين عقليًا ووظيفيًا «فيزيولوجيا» وبعاهات مستديمة.

وقد أجريت أبحاث على (٤١) من هؤلاء الأطفال المنكوبين، فتبين أن أمهاتهم مصابات بـ: فقر الدم، والتهاب المعدة الكحولي، وتشمّع الكبد الكحولي، والتهاب غدة البنكرياس، والجنون الكحولي.

أما العاهات في الأطفال فهي:

٨٧٪ اضطراب في النمو العام.

٩٣٪ صغر حجم الرأس .

٨٩٪ اضطراب في وظيفة الجهاز الحركي .

٦٥ ٪ نقص في النمو في وسط الوجه .

٩٢٪ قصر في الفرجة الجفنية .

٤٧٪ اضطرابات في تجعدات الأنف الجانبية .

٤٩٪ اضطرابات في نمو الأطراف وتجعدات اليدين .

٤١٪ تجعدات في المفاصل .

٤٩٪ تشوهات في الأعضاء التناسلية الخارجية .

٢٢٪ تشوهات في الأذن .

٤ ـ ١٠٪ تشوهات في العين، الحجاب الحاجز ، قصر الأظافر وتشوهات في الكليتين .

تلك هي الخمرة .. التي وصفها الرسول ﷺ بأنها «أم الخبائث» .

﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١] .

• • •

ماذا في السويد؟

الخط البياني لعدد سكان السويد يميل إلى الانخفاض. مع وجود الدولة التي تكفل للفتاة إعانة زواج، ثم تكفل لطفلها الحياة المجانية حتى يتخرج في الجامعة، فإن الأسرة السويدية في الطريق إلى عدم إنجاب أطفال على الإطلاق.

يقابل هذا انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين، وارتفاع مستمر في نسبة عدد المواليد غير الشرعيين. مع ملاحظة أن عشرين في المائة من البالغين الأولاد والبنات لا يتزوجون أبدًا.

وقد أجرت المعاهد العلمية عدة استفسارات عن «الحب الحر» في السويد. فتبين أن الرجل تبدأ علاقاته الجنسية -دون زواج- في سن الثامنة عشرة، والفتاة في سن الخامسة عشرة، وأن ٩٥ في المائة من الشبان في سن ٢١ لهم علاقات جنسية.

وقد ظهر أن ٧ في المائة من هذه العلاقات الجنسية مع خطيبات، و٣٥ في المائة منها مع حبيبات و٥٨ بالمائة منها مع صديقات عابرات.. وإذا سجلنا النسب عن علاقة المرأة الجنسية بالرجل قبل سن العشرين، وجدنا أن ٣ في المائة من هذه العلاقات مع أزواج و٢٧ في المائة منها مع خطيب و٦٤ في المائة منها مع صديق عابر.

وأدّت حرية الحب بطبيعة الحال إلى الزواج المتأخر وإلى الخطبة الطويلة الأجل، مع زيادة عدد الأطفال غير الشرعيين. والنتيجة الطبيعية بعد ذلك أن يزيد تفكك الأسرة، وأن نسبة الطلاق في السويد هي من أكبر النسب في العالم.

وسبب ذلك أن ٣٠ في المائة من الزيجات تتم اضطرارًا تحت ضغط الظروف، بعد أن تحمل الفتاة. والزواج بحكم «الضرورة» لا يدوم بطبيعة الحال كالزواج العادي.

والجيل الجديد ينحرف.. وهذه ظاهرة خطيرة تهدد هذا الجيل في السويد وباقي دول اسكندنافيا.

إن افتقادهم للإيمان يجرفهم إلى الانحراف والإدمان على المخدرات والخمور.

إن عُشر الذين يصلون إلى سن البلوغ في السويد يتعرضون لاضطرابات عقلية. ويقول أطباء السويد: إن ٥٠ في المائة من مرضاهم يعانون من أمراضهم الجسدية، ولا شك في أن التمادي في عدم الإيمان سيضاعف هذه الانحرافات النفسية ويزيد من دواعي تفكك الأسرة، ويقرِّبهم إلى هوة انقراض النسل.

إنها صورة من صور تداعي المدنية الغربية!.

* * *

الأطفال.. هؤلاء المساكين

يقولون إن عصرنا هذا هو عصر الطفل. شيء جميل. ولكن ما رأيك في إحصاءات تشير إلى أن الأطفال مظلومون أشد الظلم في هذا العصر؟ . . وفي الغرب خاصة! أتعرفين لماذا؟ لغياب المرأة هناك عن البيت، وتفكّك عرى الأسرة الغربية.

اقرئي معي هذا الكلام:

«في الغرب، تزداد جرائم سوء معاملة الآباء والأمهات لأطفالهم بالضرب المبرح إلى درجة القتل، فتصل التقديرات إلى معدل يتراوح بين ١٣، ١٢ حالة لكل ألف نسمة من سكان الولايات المتحدة الأمريكية، أي ما يعادل [illegible] , ٢ إلى ٤ مليون واقعة من هذا النوع في العام الواحد!.

وأما ما ثبت من هذه الوقائع قضائيًا، فقد بلغ في ألمانيا الاتحادية - مثلاً - ما يعادل ألفي واقعة سنويًا، أدى ١٠٪ منها إلى موت الأطفال، وكان ضحايا ٣٣٪ منها أطفالاً دون السادسة من العمر، وضحايا ٥٤٪ منها أطفالاً بين السادسة والرابعة من العمر. . هذا فضلاً عن قضايا إهمال تربية الأطفال ورعايتهم».

هذه الأرقام مأخوذة عن كتاب «العنف ضد الأطفال» وضعه مجموعة من الخبراء، وصدر في ألمانيا الغربية.

* * *

أكبادنا تمشي على الأرض

ألستم معي في أن كثيراً من الآباء والأمهات يؤثرون أطفالهم الذكور على أطفالهم الإناث؟ وإذا ما ثاروا على أطفالهم وغضبوا، تكون ثورتهم وغضبهم على أطفالهم الإناث أكثر من ثورتهم على أطفالهم الذكور؟ .

ألا ترون معي أن في هذا تجنِّيًا وظلمًا؟ .

وأنه يجدر بنا أن تكون معاملتنا لأبنائنا جميعًا سواء؟ لا نميّز بينهم، ولا نفضل واحداً على آخر، لا في الكلام الطيب، ولا في الهدايا، ولا في الحلوى؟.

وأرى أن على الأم أن تبدأ بذلك، وتذكِّر زوجها إذا نسي وفضّل ابنًا على آخر، وذكرًا على أنثى.

ورد في صحيح البخاري عن أبي قتادة قال: خرج علينا النبي ﷺ يحمل «أمامة» بنت أبي العاص، وأنها زينب بنت رسول الله ﷺ وهي صبية، قال: فصلى عليه الصلاة والسلام وهي على عاتقه.. يضعها إذا ركع، ويعيدها على عاتقه إذا قام، وكانت «أمامة» من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ .

• • •

همسة من أم!

رسالة وصلتني من أم، اعتذرت عن ذكر اسمها، كتبت فيها تقول: أحب أن أهمس همسة صغيرة أريح بها صدري. فأنا أم.. ويؤلمني ما أرى وأسمع في هذه الأيام من شكوى مستمرة من الأمهات.

لا أحد ينكر أن ترابط الأسرة يحفظ المجتمع من التفكك، ولكن مَن عماد الأسرة غير الأم؟ لماذا تبخلون على الأم بكلمات طيبة رقيقة تعبِّرون فيها عن تقديركم لها؟ لا تدعوها تذوب رويداً رويداً..! لا تدعوا المدنية الحديث تلعب لعبتها، وتستغني عن الأم وفضلها!.

أين أصبحت أقوال من مثل: «**الجنة تحت أقدام الأمهات**» (الأم التي تهز الوليد بيمينها.. تهز العالم بيسارها)..؟ خففوا عن الأم آلامها، أنسوها أحزانها وأوجاعها، دعوها تنسحب راضية وداعية بالخير لمن بعدها، **لا تتركوا المدنية تسرق منكم الحنان والعطف.. الشيء الوحيد الذي تطلبه الأم منكم.**

قبل أيام رأيت عدة زهرات يشترين لأمهن بضع زهرات يقدمنها هدية لأمهن في مناسبة سعيدة، واليوم سمعت أن هذه الأسرة تفرقت بانفصال الأب عن الأم. وأريد أن أسأل: ألم يكن في إمكان تلك الزهرات التأثير في أبيهن والوقوف بجانب أمهن المسكينة؟ أم أن المدنية الحديثة سرقت كل العواطف من القلوب؟ وصارت الأمهات جيلاً قديمًا؟.

شكراً يا زمن، وإلى اللقاء في مناسبات قادمة، إذا لم ينته الزيت من سراجنا. وألف تحية للأمهات.

لا تقلقي كثيراً **أيتها الأم الطيبة**، فالدنيا ما زالت بخير إن شاء الله. وستبقى الجنة تحت أقدامك.

* * *

ليس كل ما يلمع ذهبًا

من الأمثلة السائدة في الغرب: «ليس كل ما يلمع ذهبًا» . ولعل هذا المثل ينطبق على الغرب نفسه أكثر من أي مكان آخر، فقد يبدو أن المرأة هناك نالت حريتها واستخلصت نفسها من ربقة الرجال، وأنها تقدمت في مجال العلم، وأحرزت مكانة ممتازة في الثقافة العصرية، حتى استطاعت مداينة الرجال، ومجاراتهم في كل مجال من مجالات الحياة، جنبًا إلى جنب.

كما نرى مناظر الجمال والبهجة، ومشاهد الزينة والفتنة الصناعية، ترفل في حلل جميلة الظاهر متهلهلة الباطن. . ولكن . . على الرغم من هذا كله، فإن أوروبا لا تتمتع ببهجة الحياة الحقيقية، ولا تعيش في طمأنينة وهدوء، وإنما هي عيشة قلقة، وحياة مضطربة.

وربما لا نستطيع أن نقدر هذا الجانب القلق في حياة المرأة الأوروبية أو البيوتات التي تقلد الغرب في حضارته وتتبنى المدنية الغربية.

لكننا، لو درسنا الحياة الغربية المصطنعة، وعشنا مع أشقياء المدنية الغربية ومعذبيها، لرأينا سيلاً مفعمًا من عبرات الشقوة والقلق وراء تلك البسمات الصناعية، والوجوه الغارقة في المساحيق والألوان. . لرأينا حياة مريرة وراء عذوبة النغمات الكاذبة. . فما أرخص تجارة الأبدان والأرواح في الغرب، وما أسهل الجنون والانتحار في المجتمع الغربي، وإلى أي مدى انتشر مرض

الأرق فيه، حتى بلغ حد الجنون. إن المرأة فقدت كل قيمتها اليوم في أوروبا، وبلغت من الذل والشقاء حدًا لم تبلغه المرأة في أي مكان، فقد أصبحت ألعوبة تتدحرج من يد إلى يد، ويستبدل بها غيرها.

إنها تشاهد في كل مكان، خادمًا في المطاعم والفنادق، وحمالة في الأسواق والطرقات، وسائقة للعربات والعجلات، وتعلّل الرجال وتقوم بخدمتهم.

إنها توجد في جميع المناسبات متاعًا رخيصًا متوفرًا في كل دكان، وقد انعزلت عن مكانتها العالية التي خلقها الله تعالى من أجلها حتى تهلهل لباسها، وصدئ قلبها، وأصبح شعارها السأمة والكآبة والقلق والحيرة، دون أن تفكر في غاية حياتها وعلو مكانتها، ومصيرها الذي تسرع إليه.

أختي:

هذه كلمة منقولة إلى العربية كتبها الأستاذ محمد الثاني الحسني رئيس تحرير مجلة «رضوان».

• • •

المرأة والمجتمع والسياسة

آمل ألا تغضبي إذا قلت إن للمرأة الدور الأكبر في تفسّخ المجتمعات وانهيار الحضارات؛ لأن هذا يعني أن للمرأة الدور الأعظم في الحفاظ على المجتمعات وثبات الحضارات. ولا بأس من إعادة القول بأن **المجتمعات تصلح وتفسد بصلاح المرأة وفسادها**.

جاء في دائرة معارف القرن التاسع عشر:

«كانت النساء عند الرومانيين محبّات للعمل مثل محبة الرجال، وكن يشتغلن في بيوتهن، أما الأزواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب..

في ذلك الحين، حين احتجاب النساء، برع الرومانيون في كل شيء، واستبدوا بصولجان الملك والعظمة دون سواهم من الأمم، ولكن دعاهم بعد ذلك دواعي اللهو والترف، إلى إخراج النساء من خدورهن، ليحضرن معهم مجالس الأنس والطرب، فخرجن كخروج الفؤاد من بين الضلوع، وصرن يحضرن المسارح، ويغنين في المنتديات.. وساد سلطانهن، حتى كان لهن الصوت الأول في تعيين رجال السياسة وخلعهم، فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري، حتى إن القارئ للتاريخ ليدهش حينما يرى ذلك الصرح الروماني الباذخ وقد هدمته

المرأة حجراً بعد حجر بيديها الرقيقتين، لا لسوء نية منها، ولا لأنها مفطورة على الشر، بل لافتتان الرجال بها، وتناظرهم عليها».

هذه حقيقة سياسية.. لا مجال للجدال فيها.

ثبات امرأة

ليس لأحد أن يفرض وصايته عليك. إن لك **شخصيتك** المستقلة التي لها حق القبول أو الرفض، **لك الحق كل الحق أن ترفضي أوامر زوجك**، إذا **أمرك بما يخالف أمر الله سبحانه وتعالى**. والقرآن الكريم يحكي لنا قصة واحدة من هؤلاء النساء، اللواتي لم يعصين الله بطاعة أزواجهن.

إنها زوجة أطغى طغاة الأرض، وأعتى عتاتها، زوجة فرعون الذي استبد وطغى وبغى، ولكنه لم يستطع مع هذا أن يخضع زوجته لسطوته وجبروته، فآمنت بالله مع كفر فرعون، واستسلمت لله سبحانه مع تمرد فرعون وعصيانه.

لقد استطاعت امرأة فرعون أن تحرر فكرها ووجدانها من كل الأواصر والمؤثرات والقيود، فترفض أن تسير في ركاب زوجها، وأن تنساق في تيار المجتمع الذي تعيش فيه.

بل تعلن عن موقفها في ثبات وإيمان، بعد أن اتضح لها ضلال فرعون وقومه، وتبين لها الحق في دعوة موسى، رغم ضغط المجتمع وشدة وطأته، ورغم مغريات الحياة الرخية الناعمة في قصر أعظم ملوك الأرض، ورغم آصرة الزوجية التي تربطها بفرعون، فكانت مثلاً للشخصية الإنسانية المستقلة في الإيمان بالمبادئ والقيم.

قــال تعــالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١].

وليس بعد كلام الله كلام.

* * *

آباء.. وأبناء

«. . أكتب إليك هذه السطور، وأنا في حيرة وقلق عظيمين، لا أدري المخرج منهما. أنا شابة في المرحلة الثانوية، نشأت على حب الدين وأهله، وكانت تربيتي في أسرة محافظة. وأنا ـ كما يقولون ـ على قسط وافر من الجمال، ويتقدم لخطبتي كثير من الشباب المتمسك بدينه، الداعي إليه. لكن أبي ـ سامحه الله ـ يردّهم؛ لأنه ليس بينهم صاحب المال الوفير، والجاه العظيم.

فإذا تقدم لخطبتي من كان ذا مال وجاه رضي به، وعرض الأمر عليَّ، فأرفض خطبته، مبررة ذلك برغبتي في متابعة دراستي.

والدي محافظ، ولا يرض لي زوجًا إلا المحافظ، ويرى أن المحافظ هو المتديِّن، وإن لم يصل. . !.

وأنا لا أحلم بزوج لي، وأب لأطفالي، فحسب، بل أحلم أيضًا، بشريك لي في الدعوة إلى الله، وحب دعاته، والتحرّق لنصرته. أريده شابًا، يبرق في عينيه حب الله، ويدمي قلبه لما يصيب الناس في أي مكان من الأرض. هكذا أريد زوجي، لأنني كذلك.

وما أخشاه، أن يضيق والدي ذات يوم برفضي المستمر، ويجبرني على الزواج من أحد هؤلاء الذي يرضاهم لي».

عزيزتي حواء:

ماذا أقول فيك؟ وماذا أقول في أبيك؟

أنت نموذج فريد للفتاة المؤمنة الداعية، لم يصرفها جمالها إلى حب الدنيا، وحب أهل الدنيا. ولم يفتنها مال الخاطبين وجاههم فترضى بهم.

أما أبوك، فهو صورة مكررة لكثير من آباء هذه الأيام، لم يمتثلوا لأمر الرسول ﷺ القائل: «**إذا جاءكم من ترضون دينه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**».

لم يسمعوا بقصة سعيد بن المسيب، حين رفض ابن الخليفة وقد تقدم لخطبة ابنته، ثم زوّجها إلى تلميذ من تلاميذه الفقراء، وأخذ ابنته بنفسه إلى بيته.

لم يؤمنوا حق الإيمان، بأن الله هو الرزاق، يغني من كان فقيراً، ويفقر من كان غنيًا.. إذا شاء.

ألا يعلم هؤلاء، أنهم يشاركون في هذا الفساد العريض، الذي انتشر في مجتمعنا، وحذّر منه الرسول الكريم؟ وأنهم مسؤولون يوم القيامة عن ذلك: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾ [الصافات: ٢٤].

وأنا يا أختي، أدعوك إلى الثبات على موقفك، ومتابعة رفضك لمن لا تجدين فيه بغيتك، ومن حقّك في الإسلام ألا تتزوجي إلا ممن ترضين به. وثقي يا أخت، أن الله لن يضيع أجرك وجهادك، فأنت مجاهدة تجاهدين نفسك، ومجتمعك، وأسرتك التي لا تفهمك حق الفهم.

* * *

تزيّن لها، وتزيّني له

كثير من الرجال يشكون زوجاتهم، ويهجرونهن إلى المقهى، أو إلى الصحب، أو إلى العمل.. يذهب إليه صباحًا ومساءً. ويفعل الرجال هذا... لأنهم ما عادوا يجدون في زوجاتهم تلك الفتاة الجميلة، الرشيقة، الأنيقة التي كانت تشدهم إليها قبل زواجهم، وفي أيام خطبتهم.

وكثير من النساء يشكين أزواجهن؛ لأنهم يهملون مظهرهم ولا يتطيبون (يتعطرون) لهن، إما لأنهم يظنون أن هذا ـ الإهمال ـ من الرجولة، أو أنهم يزعمون أن هذا من التقوى، وأنهم من الزاهدين.

وهذا الفريق من الناس ـ رجالاً كانوا أم نساء ـ جاهل بحقيقة الحال، ومقصرٌ بحق زوجته، ولا يتبع بسلوكه هذا السبيل القويم.

قال تعالى يندد بالذين يحرِّمون ما أحلّ الله لعباده من هذه الزينة والطيبات المباحة: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وجاءت السنة النبوية تحض الناس رجالاً ونساءً على حسن الهيئة، ليكون مظهر المسلم عنوانًا لما يحمل من صحة العقيدة، وجمال العدل، وحسن الذوق والإدراك.

قال رسول الله ﷺ: «**من كان له شعر فليكرمه**».

وعن أبي قتادة قال: قلت يا رسول الله! إن لي جمّة (شعرًا مسترسلاً) أفأرجِّلها (أسرحها بالمشط؟) قال: **نعم، وأكرمها**. فكان أبو قتادة ربما دهنها في اليوم مرتين من أجل قول رسول الله ﷺ.

وقد توهم بعض الناس في عهد النبيّ عليه الصلاة والسلام أن الخلق الكريم، يدعو إلى التبذل في الثياب، وهو خطأ لا يزال يقع فيه كثير من المتديِّنين، **يحسبون فوضى الملبس واتساخه، لونًا من الزهد أو العبادة**.

وقد لفت النبي ﷺ أنظار أتباعه إلى وجه الحق في ذلك فقال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل: إن الرجل منّا، يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟! فقال عليه السلام: «**إن الله جميل يحب الجمال**» (أخرجه مسلم).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ وعليه ثوب دُون (زهيد) فقال له: **ألك مال**؟ قال: نعم. قال: **من أي المال**؟ قال: من كل المال قد أعطاني الله تعالى!! قال: «**فإذا آتاك الله مالاً فلتر نعمة الله عليك وكرامته**».

فيجب على المرأة إذن أن تتزين لزوجها، مما يشعر الرجل باتجاهها نحوه، فيعيرها انتباهه وإكرامه، لكن أكثر الزوجات هذه الأيام، لا تلبث بعد أشهر من الزواج أن تنهمك في أعمال البيت، وتولي عنايتها شطر المطبخ، وتبذل في أثاث البيت وجدرانه غاية وسعها، حتى تنصرف، من حيث لا تشعر، عن الاحتفاء بزوجها في الملبس أو الزينة، مع أنها لا تقصر فيهما حين تستقبل صديقاتها وجاراتها.

كذلك ينبغي للرجل أن يتزين لزوجته بما يتناسب مع رجولته، كما يحب

أن يرى امرأته تزدان له، فإنها يعجبها منه ما يعجبه منها، وقد فهم السلف ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال ابن عباس: «إني لأتزين لامرأتي، كما تتزين لي، لهذه الآية».

* * *

الإنفاق!!

إذا أرادتْ أن تشتري ثوبًا، أو تقيم حفلة، بسطت يدها، وأنفقت ما كان لها أن تنفق.. وإذا سألها محتاج أوفقير، أمسكت يدها، وبخلت، ومنعت.

قصة عن كرم امرأة سأحكيها لك اليوم لا لتكوني مثلها، فذاك أمر يكاد يكون مستحيلاً، ولكن لتشجعي على الإنفاق في وجوه الخير.

روي أن عبد الله بن عباس كان قادمًا من الشام إلى الحجاز، فعرج على منزل وطلب من غلمانه طعامًا فلم يجدوا، فقال لوكيله: اذهب في هذه البرية فلعلك تجد راعيًا، أو حيًا فيه لبن أو طعام.

فمضى الغلمان، ووقفوا على عجوز في حي، وسألوها: أعندك طعام نبتاعه؟ قالت: أما طعام للبيع فلا، ولكن عندي ما يكفيني وأولادي. قالوا: فأين أولادك؟ قالت: في رعي لهم، وهذا أوان عودتهم. قالوا: فما أعددت لك ولهم؟ قالت: خبزة مبتلة بالماء. قالوا: وما هو غير ذلك؟ . قالت: لا شيء. قالوا: فجودي لنا بشطرها. قالت: أما الشطر فلا أجود به، وأما الكل فخذوه. قالوا لها: تمنعين الشطر وتجودين بالكل؟ فقالت: لأن إعطاء الشطر نقيصة وإعطاء الكل كمال وفضيلة، فإني أمنع ما يضعني. فأخذوا الخبزة ولم تسألهم من هم، ولا من أين جاؤوا.

فلما وصلوا إلى عبد الله بن عباس، وأخبروه بخبرها عجب من ذلك

وأمرهم بأن يحملوها إليه. فرجعوا إليها وأخبروها بأن صاحبهم يريدها. فقالت: ومن صاحبكم؟ قالوا: عبد الله بن عباس. قالت: هو عنوان الشرف وأسماه، فما يريد مني؟ قالوا: مكافأتك. قالت: أواه. والله لو كان ما فعلت معروفًا ما أخذت له بدلاً. فكيف وهو يجب على الخلق أن يشارك فيه بعضهم بعضًا.

فلم يزالوا بها حتى أخذوها إليه. فسلمت عليه، فردّ عليها السلام، وقرّب مجلسها، ثم قال: فكيف حالك؟ قالت: أسهر اليسير، وأهجع الليل، وأرى قرة العين في شيء. فلم يكن من الدنيا شيء إلا وقد وجدته. قال: فما ادخرت لبنيك إذا حضروا؟ قالت: ادخرت لهم ما روي عن حاتم الطائي حيث قال:

ولقد أبِيتُ على الطوى وأظله حتى أنالَ به كريمَ المأكل

فازداد بها عبد الله تعجبًا وقال: لو جاءك بنوك وهم جياع فماذا كنت تصنعين؟ قالت: «يا هذا لقد عظمت عندك هذه الخبزة حتى أشغلت بها بالي. دع عنك هذا فإنه يفسد النفس، ويؤثّر في العواطف».

وليتك تحلو.. والحياة مريرة

القارئة ليلى محمد الشريف كتبت تقول: «. . وأتابع رسائلك التي تكتبها إلى حواء، وأقرؤها باهتمام وعناية، وأقول في نفسي: إنه والله يقول صدقًا وحقًا وعدلاً، ولكني، حين أريد أن أعمل بما جاء في رسالتك، وبما وجدته صدقًا وحقًا، أضعف، وأتردد، ولا أجد في نفسي قدرة كافية لتغيير ما اعتدت عليه في حياتي ولباسي ومجتمعي، وأحس بقوة ضاغطة في نفسي، تمنعني من السير في هذا الطريق الجديد، التي لم تألفها نفسي، ولم أعتد عليها في حياتي، وهذا عدا ما أجده من ضغط من حولي، من الأهل والصديقات، والمجتمع عامة، إضافة إلى إغراء الحياة الدنيا وما فيها من بهجة ومتعة. . ».

القارئة الكريمة ليلى:

هذا بعض ما جاء في رسالتك التي تصفين فيها واقعًا يضغط بكل ثقله على نساء اليوم، فتيات كن أم سيدات. وهو واقع لا يمكن إنكاره أو تجاهله في دعوتنا للمرأة، لتقوم بتغيير ما اعتادته من حياة ولباس وعلاقات اجتماعية.

ولتكن بداية التغيير من نقطة هامة وردت في رسالتك، وهي قناعتك بأن الطريق الجديد التي ندعو المرأة للسير فيها. . هي صدق وحق وعدل. ثم نأتي إلى تلك العقبات أو العوائق التي تقف حائلاً دون التنفيذ. . دون بدء السير

فعلاً في الطريق غير المألوفة اجتماعيًا. وهي عقبات كثيرة، لكننا يمكن أن نوجزها في مواقف الناس الذين يتألف منهم المجتمع: الأهل فالأقارب فالصديقات فالزميلات والزملاء في العمل، أو الجيران والمعارف، ثم كل هؤلاء الناس الذين يسيرون في الشوارع.. مواقف هؤلاء الناس في رفض عملية التغيير التي ستقومين بها.. هي العوائق الحقيقية أمام عملية التغيير. وهنا، لدفع هذه العوائق والتغلب عليها، عليك أن تقومي بهذه الموازنة الواضحة الحاسمة:

رضا الأهل أم رضا الله؟ غضب المجتمع أم غضب الله؟ إقبال الناس أم إقبال الله؟!

واقرئي معي، على مهل، هذه الأبيات الجميلة، التي تناجي فيها شاعرة من بنات حواء ربها وترجو منه وده ووصاله ورضاه، ولا تبالي بعدها ببعد الناس وغضبهم وهجرانهم:

فليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

وليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

إذا صحَ منك الودَ فالكل هيِّن وكل الذي فوق التراب تراب

* * *

مع السيدة «هارليك»

اتهامات خطيرة وجهت إلى المرأة العصرية. من هذه الاتهامات أنها تتهرب من المسؤولية، ومن الأولاد والأسرة، وأنها تتمادى في حياة الاستقلال بعيدًا عن أية مسؤولية.

هذه الاتهامات طرحت على كاتبة متخصصة في المرأة هي «الليدي هارليك» زوجة اللورد هارليك سفير إنكلترا السابق في أمريكا لتجيب عنها بوصفها امرأة وزوجة.

قالت السيدة هارليك: «حقيقة، إن أسهل شيء عند المرأة هذه الأيام هي أن تعلن استقلالها، وأنها تتساوى مع الرجل في العمل. أما منزلها وأسرتها فهما يحتلان المرتبة الثالثة أو الرابعة. وقد أزعجني جدًا، وأحرجني في الوقت نفسه، أن أجد بعض النساء يفاخرن بأنهن لا يُجدن الطهي أو الحياكة أو القيام بأعمال المنزل.

والأكثر إحراجًا، أن كثيراً من نساء هذه الأيام يعترفن بلا خجل أنهن لم يقرأن في حياتهن افتتاحية صحيفة، أو تابعن مناقشة سياسية في التليفزيون، أو لم يسمعن عن كاتب شهير.

ولاحظت أيضًا أن المأساة بالنسبة إلى المرأة أن تتخلى عن واجباتها الحيوية كامرأة، أن تتخلى عن إقامة بيت طيب وسعيد، أن تتخلى عن

الطهي والحياكة وإنجاب أولاد ظرفاء، أن تتخلى عن كل مسؤولية تجاه الأسرة مقابل أن تعيش كما تشاء».

وبعد، فما رأي حواء فيما قالته السيدة هارليك؟

شاهد من الغرب..

يقول المفكر الغربي «غوستاف لوبون»:

«تُعامَل المرأة المسلمة باحترام عظيم». وينقل في ذلك عن مسيو دي أميسيس الذي لم يكن مناصرًا للمبادئ الإسلامية في أقواله: «أن المرأة في الشرق تعامل بنبل وكرم على العموم، فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها في الطريق، ولا يجرؤ جندي أن يسيء إلى أشد نساء الشعب بذاءة لسان.. حتى في أثناء الشغب.

وفي الشرق يشمل الرجل زوجته بعين رعايته.

وفي الشرق لا تجد رجلاً يقدم على الاستفادة من كسب زوجته، والزوج هو الذي يدفع المهر، وإذا طُلِّقت الزوجة في الشرق أو هُجرت أعطاها الرجل نفقة لتعيش عن سعة، وأن هذه النفقة تجعل الزوج يخشى إساءة معاملة زوجته حذر مطالبتها بالفراق».

وقال غوستاف لوبون عن ميراث المرأة في الإسلام: «ومبادئ الميراث التي ينص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف».

ويقول: «ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنكليزية أن الشريعة منحت الزوجات حقوقًا في الميراث لا نجد لها مثيلاً في قوانيننا».

هذه شهادة من كاتب غربي أنقلها إلى حواء حتى يطمئن قلبها، ويقنع عقلها، وتميل نفسها إلى عقيدتها وشريعتها.

وإن كنا في غنى عن هذه الشهادة وأمثالها، لكن سحر الغرب، وكتّاب الغرب، وموضات الغرب آخذة بتفكير كثيرات من بنات حواء، فلا يقتنعن إلا بالكلام الآتي.. من هناك.

الاغتصاب؟!

تخيلي معي هذا المشهد: أنت تسيرين في الشارع. تقف فجأة إحدى السيارات. ينزل منها أحد الرجال. يدفعك عنوة إلى داخل السيارة.. تنطلق السيارة بك وبمن فيها من الرجال، ليتم بعد ذلك.. كل شيء رغم صياحك.

في مشهد آخر:

أنت في البيت. يدق الباب. تفتحين. يدفع الباب رجل أو أكثر.. ويتم المكروه في بيتك!.

يا حواء:

هل يمكنك أن تصفي هذا العصر الذي تتم فيه حوادث الاغتصاب بالآلاف؟، هل يمكنك أن تصفي مثل هذا العصر أنه عصر تقدم وحرية؟!.

في ألمانيا، مثلاً، تغتصب امرأة كل ربع ساعة، أي ٣٥٠٠٠ امرأة في السنة. وهذا العدد يمثل الحوادث المسجلة لدى الشرطة فقط. أما حوادث الاغتصاب غير المسجلة فتصل -حسب تقدير البوليس الجنائي- إلى خمسة أضعاف هذا الرقم.

وتذكر الإحصاءات أن ٧٠٪ من حوادث الاغتصاب مدبرة، وأن ٥٠٪ من الفاعلين هم من الأقارب والآباء والأصدقاء والجيران.. أي أن الجاني غالبًا ما يكون قد رأى ضحيته مرارًا قبل اغتصابها، وأن المجني عليهن تتراوح

أعمارهن بين ست سنين وثمانين سنة .

هذا هو الاغتصاب ، أحد ثمار المدنية الغربية ، تقطفها المرأة في الغرب . بعد أن احتال عليها الرجل ، وأقنعها بالتفلت والتحلل ، لتكون فريسة له . . هينة سهلة .

• • •

لماذا أسلمت؟

عزيزتي حواء مسلمة كنت أم غير مسلمة. إن كنت مسلمة فأدعوك لتفيقي من غفلتك، وتعودي إلى دينك، لتنعمي بما في شريعته من خير كثير لك، وإن كنت غير مسلمة فأدعوك إلى قراءة أوسع، واطلاع أشمل عن الإسلام، فلاشك أنك ـ إن فعلت هذا ـ ستعلنين إسلامك.

«مارشيلا مايكل أنجلو» ممثلة إيطالية أعلنت إسلامها، وصار اسمها «فاطمة محمد عبد الله». قالت تشرح سبب إسلامها:

«أسلمت من أجل البساطة، السماحة، مشهد الناس الطيبين يدخلون في بساطة إلى صحن المسجد المتواضع، يصلّون في خشوع. لقد فعل ذلك في نفسي فعل السحر، حرّك كوامن مترسِّبة في أعماقي، أحسست أنني مسلمة قبل أن أعلن إسلامي. لقد وجدت في دينكم العقل والمنطق. أنتم ببساطة، وكما فهمت، تؤمنون بالله ورسوله. هذا الرسول بشر مثلنا، اختاره الله لينقل رسالة إلى الناس ليؤمنوا به وبكتاب ربه «القرآن» **والقرآن ينظم حياة الناس ليعيشوا متعاونين في خير وسعادة ليعيشوا ببساطة وبلا مظاهر كاذبة.**

إنني أحس كما لو أنني قد ولدت من جديد. إنني، أنا المسلمة، قد خرجت من أعماقي لأعيش تاركة غلافي القديم. اسألوا الذين عرفوني من قبل، **كم أدهشتهم السعادة التي أرفل فيها**. آمنت بالله، **لا إله إلا الله**».

* * *

عودة.. إلى ضرب الزوجات

عُقدت أخيراً في مدينة «أمستردام» في هولندا، ندوة حول المرأة، اشترك فيها مائتا عضو، يمثلون إحدى عشرة دولة غربية.

كان موضوع الندوة: «إساءة معاملة المرأة في العالم أجمع». وأجمع المؤتمرون أن المرأة مضطهدة في جميع المجتمعات الدولية.

وتوصلت الندوة إلى أن نسبة التعيسات في العالم أكثر بكثير مما نتصور؛ لأن من طبع المرأة ألا تظهر ألمها إلا إذا بلغ بها اليأس كل مبلغ، ولذا انشئت مراكز اجتماعية معينة للهاربات من بطش أزواجهن.

والمراكز الاجتماعية هذه أسست حديثًا، وأولها كان في مدينة مانشستر في إنكلترا عام ١٩٧١م، ثم عمّت هذه المراكز أنحاء بريطانيا حتى بلغ عددها ١٥٠ مركزاً، وفي ألمانيا الغربية ١٠ مراكز من هذا النوع، وكذلك في هولندا ونيوزيلندا. وقد طرح موضع إنشاء مثل هذه المراكز في جميع أنحاء العالم.

إحدى المشتركات في الندوة قالت: إن مسألة إيذاء الزوجات متفشية في كل المجتمعات، وحتى زوجات الأطباء والقضاة يلقين الأذى على أيدي أزواجهن، والسلطات غافلة عن هذه المشكلة المأساوية.

وفي استفتاء أجرته إحدى المجلات الإنكليزية حول قضية إساءة معاملة الزوجات، ظهر أن ١٠ بالمائة من المشتركات في الاستفتاء يُضْرَبن كثيراً من

أزواجهن، وأن ٧٠ بالمائة منهن يشعرن بالمهانة في حياتهن الزوجية.

وقد درس المؤتمر إحدى القضايا المؤلمة التي تتعلق برجل في الأربعين من عمره ضرب زوجته بعصا غليظة كتب عليها العبارة التالية: «من لا تطيع زوجها تستحق العقاب».

ودرس المؤتمر قضايا مماثلة حاول من خلالها إيجاد الحلول لمشكلة عذاب المرأة حتى في المجتمعات المتحررة والكثيرة التمدن!.

وبعد، هل تدرين أين خلاص المرأة من هذا الاضطهاد الذي تلقاه في العالم أجمع؟ إنه في تطبيق شرع الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

هل تعرفين ماذا كانت الكلمات الأخيرة التي قالها الرسول الكريم وروحه ترجع إلى بارئها، ولسانه يتلجلج بالنفس الأخير؟.

لقد قال ـ وكأنه ينظر إلى حال المرأة اليوم ـ: «**الله الله في النساء. فإنهن عوان عندكم. أخذتموهن بأمانة الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله**».

وكانت آخر كلمات الرسول الكريم في الحياة الدنيا. فهل تسير حواء في الطريق الذي تجد فيه خلاصها؟ أتمنى ذلك!.

* * *

أيتها الشرقية..

أيتها الشرقية . . احذري . . احذري .

احذري وأنت النجم الذي أضاء منذ النبوة ، أن تقلِّدي هذه الشمعة التي أضاءت منذ قليل .

إن المرأة الشرقية ، هي استمرار متصل لآداب دينها الإنساني العظيم ، وهي دائمًا شديدة الحفاظ ، حارسة لحوزتها ، فإن قانون حياتها دائمًا هو قانون الأمومة المقدس .

هي الطهر والعفة ، هي الوفاء والأنفة ، هي الصبر والعزيمة ، هي كل فضائل الأم .

فما طريقها الجديد في الحياة الفاضلة ، إلا طريقها القديم بعينه؟ .

أيتها الشرقية احذري . . احذري .

احذري ويحك تقليد الأوروبية التي تعيش في دنيا أعصابها ، محكومة بقانون أحلامها .

لم تعد أنوثتها حالة طبيعية نفسية قط ، بل حالة عقلية أيضًا ، تشكّ وتجادل . . أنوثة تفلسفت فرأت الزواج نصف الكلمة فقط . . والأم نصف المرأة فقط .

ويا ويل المرأة حين تتفجر أنوثتها بالمبالغة العقلية فتتفجر بالدواهي على

الفضيلة . .

إنها بذلك حرة مساوية للرجل، ولكنها ليست بذلك . . الأنثى المحدودة بفضيلتها . أيتها الشرقية احذري . . احذري .

احذري تهوّس الأوروبية في طلب المساواة بالرجل .

لقد ساوته في الذهاب إلى الحلاق، لكن الحلاق لم يجد في وجهها اللحية .

إنها خلقت لتحبيب الدنيا إلى الرجل، فكانت بمساواتها مادة تبغيض .

العجيب أن سر الحياة يأبى دائمًا أن تتساوي المرأة بالرجل إلا إذا خسرته ! .

والأعجب أنها حين تخضع . . يرفعها هذا السر ذاته عن المساواة بالرجل، إلى السيادة عليه . احذري أن تخسري الطباع التي هي الأليق بأم أنجبت الأنبياء في الشرق .

أمّ عليها طابع النفس الجميلة، تنشر في كل موضع جوًّ نفسها العالية .

فلو صارت الحياة غيمًا ورعدًا وبرقًا، لكانت هي فيها الشمس الطالعة .

ولو صارت الحياة قيظًا وحرورًا واختناقًا، لكانت هي فيها النسيم يتخطر .

أمّ لا تبالي إلا أخلاق البطولة وعزائمها ؛ لأن جدّاتها ولدن الأبطال .

هل أعجبتك، يا حواء هذه الكلمات؟ إنها للأديب الراحل مصطفى صادق الرافعي .

* * *

رسالة إلى آدم...

يا آدم، كن رفيقًا بحواء لطيفًا معها، ولا تقسُ عليها.. مهما أخطأت تجاهك، وقصّرتْ نحوك.

ليس هناك أوقع في نفس المرأة من كلمة طيبة، وهمسة حنون، وابتسامة مشرقة.

أنت تعرف هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان التي أخرجت كبد عم الرسول - حمزة بن عبد المطلب - في غزوة أحد، ثم مضغتها ولاكتها شماتة وانتقامًا.

ولعلك قرأت عن الحزن الشديد الذي أصاب رسول الله ﷺ لاستشهاد حمزة.

إذا عرفت هذا، فكيف تتوقع أن يكون اللقاء بعدها بين الرسول وهند؟ هل يغضب الرسول ويصرخ ويثور في وجه هند؟.

اقرأ معي قصة مبايعة هند للرسول ﷺ يوم فتح مكة:

جاءت النساء يبايعن رسول الله ﷺ على الإسلام، وكانت بينهن هند بنت عتبة، وهي منتقبة متنكرة لئلا يعرفها الرسول، وهي التي فعلت بعمه حمزة ما فعلت. ولكنها كانت تتكلم عند كل جملة.

قال رسول الله ﷺ: **«أبايعهن على أن لا يشركن بالله، ولا يسرقن»**. فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فلا أدري

أيحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى، وفيما غبر فهو لك حلال.

فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: «**وإنك لهند بنت عتبة؟**» قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك. فتابع رسول الله ﷺ دلالة على عفوه فقال: «**ولا يزنين**». فقالت: أو تزني الحرة؟ فقال: «**ولا يقتلن أولادهن**» فقالت هند: ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فأنتم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه، حتى استلقى، وتبسم رسول الله .. إلى آخر القصة التي تصوّر سماحة رسول الله ﷺ تجاه امرأة فعلت ما فعلت، فما لكم معشر الرجال تقسون وتشددون وتعنفون نساءكم.. لشيء من تقصيرهن نحوكم؟! إن لكم في رسول الله أسوة، خير أسوة. ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب: ٢١].

* * *

هل يساعدك زوجك في البيت؟

من غير المعقول أن تعمل المرأة خارج المنزل ساعات طويلة، ثم تعود إلى بيتها لتجد أعمالاً أخرى تنتظرها.. وعليها أن تقوم بها وحدها.. دون أن تجد أي مساعدة من زوجها.

هذا العمل المتواصل لا يمكن أن تتحمله المرأة.

المرأة الألمانية من النساء الغربيات اللواتي يشكين من انصراف أزواجهن عن مساعدتهن في الأعباء المنزلية.

تقول إحدى السيدات الألمانيات:

«إن الرجل الألماني كسول.. لا يعرف شيئًا عن المشاركة في أعباء الحياة المنزلية مع زوجته».

وقد أقلق هذا الوضع الأسري غير المتعاون وزير الأسرة الألماني هاينر جايسلر الذي دعا معهد «علوم المجتمع التطبيقية» في بون إلى إجراء دراسة عاجلة لاستيضاح الصورة الحقيقية لتوزيع الأعباء المنزلية بين المرأة والرجل.. وإلى أية درجة يمكن للرجل أن يقبل القيام بعمل المرأة في المطبخ وأعمال التنظيف وترتيب المنزل.

وتشير دراسة أعلنها معهد دراسات في «بادن فور تمبرغ» إلى أن ٨٪ فقط من ربات البيوت يجدن مشاركة في الأعباء المنزلية من أزواجهن، وأن أقل من

٢٠٪ من الزوجات العاملات يجدن من أزواجهن رغبة في المساهمة بأعمال الغسل والنظافة وترتيب المنزل.

هل رأيت، أختنا، إلى أي حد تُستَغلُّ المرأة في الغرب من الرجل؟! أخرجوها من البيت لتعمل معهم في المعامل والمكاتب.. لتزيد من دخولهم.. ثم يتخلون عنها حين تعود إلى بيتها فلا يساعدونها بشيء. قارني هذا بما عليه المرأة في الإسلام:

يقول الرسول ﷺ: «**خدمتك زوجتك صدقة**»، وما كان عليه الصلاة والسلام يستنكف داخل بيته أن يقوم بحاجته، وأن يخدم نفسه، بل إنه كان كثيراً ما يساعد زوجاته.

فإذا كان الرسول ﷺ قدوة لكل المسلمين، فقد وجب على الرجال منهم مساعدة زوجاتهم.. أسوة به عليه الصلاة والسلام.

هذا على الرغم من أن المرأة في الإسلام ليست مطالبة بالعمل خارج البيت لتنفق عليه.

أي إن زوجها يساعدها في أعمال البيت.. وإن لم تساعده في العمل خارجه.

بينما الغربية تشقى خارج المنزل وداخله.. ثم يندر أن يساعدها زوجها في أعباء المنزل.

هل وجدت كم هو كبير الفرق بين المرأة في الإسلام.. والمرأة في غيره؟

* * *

حواء هي حواء

نشرت صحيفة «لوموند» الفرنسية مقالاً حول وضع المرأة في فرنسا خاصة وأوربا عامة، وجاء فيه أن هناك فكرة بأن المرأة بدأت تكف عن نضالها من أجل الحصول على حقوقها ومساواتها مع الرجل في كافة المجالات، وبدأت تطالب بحياة اجتماعية مكونة من أسرة سعيدة، ووظيفة ملائمة لأوضاعها الاجتماعية.

وفي دراسة قامت بها إحدى الصحف البريطانية، جاء أن الحركات النسائية لم تنجح في تغيير الطبيعة الحقيقية للمرأة ولا شعورها الأنثوي والغريزي المختلف عن شعور الرجل وغريزته.

ومن ضمن الأسئلة التي وجهتها الصحيفة إلى القارئات في الاستفتاء الذي نظمته لإجراء تلك الدراسة.. سؤال يقول: من يترك عمله ويعود إلى المنزل في حال مرض أحد الأطفال؟ كان جواب ٧١٪ الزوجة. و٨٩٪ من القارئات أجبن بأن واجب المرأة الأول - حتى ولو كانت عاملة - هو الاهتمام بالأطفال.

وفي إحصائية أجرتها إحدى المجلات الفرنسية بالاشتراك مع أحد مراكز الاستقصاء، وتناولت المرأة الفرنسية من نواحي ذوقها وأمانيها وطموحها، تبين أن المرأة الفرنسية لم تتغير، فتسع نساء من كل عشر مازلن يعتبرن الأمومة ضرورة لسعادة المرأة. وأن الحياة الزوجية هي قاعدة للسعادة في الحياة، أي

إن صورة الأم والزوجة لم تُمْحَ من بال الفرنسيات.

ويشير تقرير بريطاني حول الفروق بين الجنسين، قُدِّم إلى مؤتمر لمجالس المدارس في لندن، إلى أن الفتيات يرفضن فرص العمل التي تتهيأ لهنَّ، ويعتقدن أن العمل من شأنه أن يعطل الوظيفة الرئيسية التي خُلقن لها.. وهي الأمومة.

ويقول التقرير: إن فتيات كثيرات لا يتوقعن الاستمرار في العمل لفترة طويلة. حتى حينما تضع الفتيات الخطط للمستقبل.. فإن الوظائف التي يخترنها تكون مناسبة لاحتياجات العائلة.. سواء تلك التي تؤمن إجازات طويلة.. أو التي يمكن أداؤها في البيت. ويضيف التقرير: «إن الفتيات ينظرن إلى الأمومة كملجأ لهن.. ويتوقعن أن يتوقف العمل بالنسبة لهن عندما يصبحن أمهات».

هذه هي حواء، لم تستطع كل حركات «تحرير المرأة» ولم تنجح كل برامج الإعلام المختلفة في الغرب أن تنسى المرأة أنها امرأة ترغب في البيت والزواج والأولاد. ولم يكن العمل خارج المنزل لينسيها الأمومة، والحياة الزوجية.

حواء هي حواء

تكامل.. لا مساواة

أختنا حواء:

الذين يصرون على مساواة المرأة بالرجل، يقولون بأن الفروق بينهما إنما هي نتيجة البيئة المحيطة بهما، والعادات التي نشآ وسطها، والتربية التي تلقياها في الصغر.

لكن الدراسة والبحث والعلم، جميعها تقول غير ذلك، فقد ثبت أن الفروق بين الجنسين فروق بيولوجية، موروثة وليست مكتسبة. ومن ثم فإن محاولة المساواة بينهما محاولة فاشلة؛ لأنها مناقضة لطبيعة كل منهما.

لقد قام فريق من الباحثين بتشكيل معسكر فيه عدد من الأطفال من الجنسين، أشرف على تربيتهم مربون يتبدلون كل فترة زمنية معينة. وقد حذفت كلمة رجل وامرأة في المعسكر، وتمّ تجنب كل إشارة، أو عمل، أو سلوك فيه تفريق بين الجنسين من الأطفال الذين ترعرعوا أحراراً من كل قيد أو صفة يطلقها عليهم المجتمع. حتى إنهم تركوهم يمارسون جميع الأعمال دون الأخذ بنوع العمل.. إذا كان يخص الرجل أم المرأة.

وحين كبر سكان المعسكر، وخرجوا يمارسون الحياة العامة، آثرت المرأة القيام بدور الأم وربة البيت. وآثر الرجل التكفل بتأمين دخل الأسرة المادي ومارس الحياة بشكل عادي جداً، دون تأثير محسوس لذلك المعسكر وما بذل

فيه من جهود لمحو الفروق بين الرجل والمرأة. وثبت بذلك أن نمط الحياة التي يختارها كل من الجنسين لنفسه.. تخضع لتحكم طبيعة الجنس وتكوينه البيولوجي.

ويقول العلماء: إن أثر التكوين البيولوجي يظهر على الجنين بشكل واضح. فالجنين الذكر يحتاج إلى نسبتين من الهرمون.. أما الأنثى فتحتاج إلى نسبة واحدة.

ولو حدث عكس ذلك.. فإن أثره يبدو واضحًا في تصرفات الصبي أو الفتاة، فالصبي الذي يحمل نسبة هرمون واحدة.. يأتي بحركات وأعمال بنتية (أنثوية) بحتة. كذلك تتصرف الفتاة تصرف الصبيان لو حملت نسبتين من الهرمون المذكر.

هل بعد هذا الحديث العلمي التجريبي.. قول لمتنطع بأن البيئة والعادات هي التي فرقت بين الرجل والمرأة؟

أليست تلك الفروق طبيعة في كل جنس.. خلقها الله ـ سبحانه ـ فيه.. ليعده لأعمال تكمل أعمال الآخر.

ثم لماذا يعتبرون هذه الفروق نقصًا في القدر؟! وفي القدرة؟!

لماذا يرون في عمل الرجل خارج البيت أهمية تفوق عمل المرأة داخله؟

إذا كانت الحياة لا تسير كما ينبغي حين يترك الرجل عمله، ليجلس في البيت يعمل مع زوجته..

فكذلك هي، إذا تركت المرأة عملها في البيت وخرجت مع زوجها لتعمل معه المساواة بين الرجل والمرأة غير موجودة.

لكن عـدم المساواة . . لا يعني أبدًا أن الرجل أفضل من المرأة مطلقًا وفي كل الحالات ؛ لأن ما بين الرجل والمرأة . . تكامل .

وأفضلهما من أتقن عمله . . واتقى ربه فيه .

* * *

هل تتبدل حواء

لا أدري لماذا يصرّ بعض ممن يتكلمون بألسنتنا دائمًا على محاولة تغيير فطرة المرأة فيزعمون أنها تريد الانعتاق من البيت، ومشاركة الرجل أعماله الشاقة في الحياة العامة.

في ألمانيا، التي وصلت فيها الحضارة المادية قمتها، وارتفع فيها دخل الفرد ارتفاعًا هائلاً، ونالت المرأة في ظل هذا كل ما يبغون لها ـ لا ما تبغي هي ـ من حريات.

في ألمانيا هذه قامت إحدى الهيئات باستفتاء شمل عدة آلاف من البنين والبنات في سن الرابعة عشرة، وكان السؤال الذي وجه إلى هؤلاء جميعًا: ما أهم أمل تتمنى تحقيقه في مستقبل حياتك؟

كانت نتيجة الاستفتاء كالتالي:

٨٢ بالمائة من البنين أملهم النجاح في العمل.

٨٤ بالمائة من البنات أملهن النجاح في تكوين أسرة.

تلك هي حواء..

في قرارة الوقائع والآراء.

* * *

باروكات

يقول ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: «المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب، في شعاره، وزيه، ونحلته، وعوائده».

ويبين ابن خلدون أن الذي يقلد غيره، إنما هو الضعيف والناقص والمغلوب والجاهل، فقال: «ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدًا بالغالب في جلسته، ومركبه، وسلاحه، في اتخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله. وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم، كيف تجدهم متشبهين بهم دائمًا، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم، حتى إنه، إذا كانت أمة تجاور أخرى، ولها الغلبة عليها، فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس، لهذا العهد مع أمم الجلالقة (أي الأسبان) فإنك تجدهم يتشبهون بهم، في ملابسهم، وشاراتهم، والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر، بعين الحكمة، أنه من علامات الاستيلاء.. فالأمر لله».

وتعلق الشاعرة نازك الملائكة على كلام ابن خلدون فتقول: الله أكبر. وصدق ابن خلدون، فلقد تنبأ باستيلاء الإفرنج على الأندلس الإسلامية، وخروج المسلمين منها، قبل أن يقع ذلك بنحو مئتي سنة، ولم يكن له دليل على ذلك إلا مشاهدته تشبه المسلمين بالأعداء، في ملابسهم وشاراتهم وعاداتهم وأحوالهم! ترى ماذا كان يقول لو شاهد مسلمي هذا العصر،

وتقليدهم المستعمر، وبم كان يتنبأ؟

ترى هل يتعظ المسلمون بهذا المثل الذي حدث لأجدادهم من قبل، والتشبه بهم، أم أنهم سيصمون آذانهم، ويعمون بصائرهم وأبصارهم، حتى تقع الكارثة لا سمح الله؟

ثم إن من المؤسف والمؤلم معًا، أن تيار التقليد الأعمى هذا، لم يعد مقتصراً على النساء اللاتي من طبعهن الاهتمام بشكلهن وجمالهن، بل إنه استشرى فعم الرجال أيضًا، وهم الذي يفترض فيهم الاهتمام بأمور الحياة العظيمة، والالتفات للشؤون الخطيرة.

فقد بات من المألوف، أن يطيل الرجل أظفاره، ويصبغها، ويطيل شعره وسوالفه، ويتفنن في ذلك بأشكال غريبة وعجيبة، ويعمد إلى السراويل (البنطلونات) الضيقة، التي تبرز تفاصيل الجسم بوضوح من فوق، الفضفاضة الطويلة حتى أسفل القدمين من تحت، ويختار الألوان الزاهية، والقمصان ذات البقع المختلفة الألوان والأشكال، حتى صرنا لا نستطيع أن نميز بين الشاب والفتاة إلا بصعوبة!

كما أن الأمور المنكرة التي انتشرت وذاعت، وعمت وطمت، بين الرجال والنساء، على حد سواء، تلك الشعور المستعارة التي يسمونها (باروكات)، يشترينها بأثمان باهظة، ويضعنها على رؤوسهنّ، فترى إحداهن ذات شعر أسود طويل مسترسل اليوم، ثم إذا بك تراها ذات شعر أشقر متجعد غداً.

وبعضهن يعمد إلى قص شعورهن الجميلة الناعمة، ليصنعها لهن الحلاق

(باروكات) فظة متصنعة، باهتة ليس فيها شيء من ذوق سليم، أو جمال مقبول. وفي هذا من الغش والخداع والتزوير والتدليس المنافية للأخلاق، ما هو واضح.

فما رأيك، عزيزتنا، بما قاله ابن خلدون، وبما قالته نازك الملائكة . . ؟

* * *

فلسفة السعادة

في إحدى القرى النمساوية بالقرب من فيينا، أعلنت نتائج إحدى سحوبات اليانصيب؛ حيث فازت امرأة بجائزة مالية تقدر بسبعمائة ألف جنيه استرليني، وقد ذهب مندوب هذا اليانصيب إلى منزل هذه المرأة المجهولة التي تبلغ الخامسة والخمسين من العمر ودق جرس الباب، غير أنه لم يجد أحدًا في المنزل، واستمر البحث عن هذه المرأة عدة أيام، رابط بعض مندوبي اليانصيب بالقرب من الكوخ الذي تقيم فيه المرأة وذلك لإقناعها بضرورة الحضور لتسلم جائزتها المالية التي فازت بها.

وعندما استطاع هؤلاء العثور عليها، إثر عودتها إلى كوخها الصغير في القرية، التقوا بها والدموع في عينيها!

قالت المرأة: إنها علمت بأنها فازت بهذا المبلغ الكبير، وأنها لم تكن تتوقع إلا الفوز بعدة مئات من الجنيهات الاسترلينية لقضاء عطلة قصيرة، غير أن هذا المبلغ أصابها بالذهول، وأنها لن تتسلم هذه الجائزة؛ لأن هذه الأموال ستفسد عليها حياتها وستغير حياة السعادة والهدوء والبساطة التي اعتادت عليها!

أختنا حواء:

قد يفاجئك موقف هذه السيدة التي بلغت الخامسة والخمسين، وتعيش

في كوخ صغير في القرية: كيف ترفض تسلم جائزة مالية تصل إلى ثلاثة أرباع مليون جنيه استرليني.. تقريبًا؟!

ولكنك لو تأملت تفسيرها لرفض الجائزة، وتبريرها للإصابة بالذهول، لوجدت حكمة في تفكير هذه المرأة.. وأي حكمة..!

لقد رفضت المرأة تسلم هذه الأموال؛ لأنها «**ستفسد عليها حياتها، وستغير حياة السعادة والهدوء والبساطة التي اعتادت عليها**» كما جاء في الخبر.

وهذا صحيح.. فماذا ستفعل بثلاثة أرباع مليون جنية استرليني وهي في الخامسة والخمسين؟ تعيش حياة هادئة مطمئنة هانئة؟

سيدفعها هذا المبلغ لو امتلكته، إلى تغيير سكنها، وعاداتها، ومجتمعها، وسيثير فيها التفكير في كيفية الحفاظ عليه من الطامعين، ثم في كيفية استثماره، وتنميته، وزيادته.

ستكون هذه الثروة الجديدة سببًا في حرمانها من الاستقرار النفسي، والهدوء الفكري، والنوم المطمئن الهانئ..

ستحرمها من «البساطة» - كما قالت - التي اعتادت عليها.. وستدخلها في تعقيدات اجتماعية تقيّدها، وتضيّق عليها.. أكثر مما تحتمله.. ومما هي في غنى عنه.

ومن أجل هذا أيضًا قالت: إنها كانت تتوقع الفوز بعدة مئات من الجنيهات الاسترلينية لقضاء عطلة قصيرة.. أي إنها تأمل بمبلغ قليل تنفقه في عطلة.. **دون أن تأمل مبلغًا كبيرًا يكون لها منه رصيد من الأعباء..**

والهموم.. والمشكلات.

أليست هذه حكمة.. من هذه المرأة النمساوية؟

ثم كم ستسعد المجتمعات، وتقل فيها الشرور والآثام. الناتجة عن طمع كثير من الناس وجشعهم؟ بل كم ستتناقص الخلافات الأسرية، وتندر الصراعات على المواريث.. إذا امتلك الناس جميعهم مثل فلسفة هذه المرأة في الحياة.. وفي زهدها بامتلاك هذا المبلغ الكبير؟

ولكن.. حتى لا نذهب بعيداً.. وندعو إلى التأسي بصنيع هذه المرأة النمساوية، نذكركن - أخواتي - أن الإسلام سبق أن دعا إلى هذه الفلسفة في الحياة.. قبل هذه المرأة بأربعة عشر قرنًا.. وكانت حياة الرسول ﷺ وصحابته على هذا النهج.

اقرأن قول رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه.. فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**». رواه ابن ماجه، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن.

فلنرض بالقليل مع الأمن والعافية.

ولنسع إلى ما عند الله سبحانه، فهو خير وأبقى.

* * *

٨ نصائح من فيرجينيا

أدرك الغرب، ولو متأخرًا، أنه لابد من إعادة بناء الأسرة.

أكد أكثر علماء الاجتماع فيه.. أن تهدم الأسرة.. نتجت عنه أضرار عظيمة.. اقتصاديًا، اجتماعيًا، وصحيًا.

ففي دراسة قام بها دكتور جاك دومينيان ـ الباحث في مركز بحوث الزواج في بريطانيا ـ تبين أن حالات الطلاق تكلف بريطانيا سنويًا ألف مليون جنيه استرليني! ودعا دكتور دومينيان المجتمع البريطاني إلى تلافي أخطار الطلاق وتجنب الخسائر المادية والمعنوية الناتجة عنه. ووجه هذه الدعوة إلى السيدات؛ لأنهن أكثر عاطفية من الرجال.

وبما أن العلاقة الزوجية هي الأساس الذي تُبنى عليه الأسرة، وبما أن الزوجة هي الأقرب إلى جميع أفراد الأسرة.. فإن فيرجينيا إيروسايد ـ الخبيرة في شؤون الزواج ـ تقدم مجموعة من النصائح من أجل علاقة أفضل بين الزوجين.

والنصائح توجهها هذه الخبيرة.. إليك أنت.. عزيزتنا حواء. فما رأيك في قراءة بعضها.. ومحاولة الاستفادة منها.

ـ **ليس هناك علاقة كاملة**: فالكثير من الناس يعتقدون أن «العلاقة الجيدة» هي التي يكون فيها كل من الزوجين يحب الآخر، ويعتني به، ويبذل جهده

لإرضائه، ويصبر عليه! . . هذه ليست علاقة جيدة فقط . . ولكنها نادرة!! العلاقة الناجحة هي تلك العلاقة التي تغلب فيها الأشياء الحسنة على الأشياء السيئة . . أي أنه ليس هناك علاقة تخلو من العيوب إطلاقًا . . !

- **ابدئي الحديث**: إذا لم تدعي زوجك يعرف حاجاتك فكيف تلومينه على عدم تلبيتها؟ وإذا شعرت أنك لا تستطيعين الحديث عنها مباشرة . . فجربي أن تكتبي رسالة . . إذ من الممكن أن تقولي فيها أكثر مما يمكن أن تقوليه له وجهًا لوجه .

- **دعي الافتراضات جانبًا**: لا تفترضي أن زوجك لن يدعك تذهبين إلى زيارة أهلك مثلاً . أو أنه لن يأخذك في سفر معه إلى الخارج . حاولي أن تطلبي ما تريدين . . فقد تحصلين على ذلك .

- **شريكك ليس أحد والديك**: اتركي التفكير في زوجك وكأنه والدك أو والدتك . . فموقعك الآن في الأسرة موقع الزوجة . . وليس موقع الابنة .

- **انظري إلى نفسك كما تودين أن ينظر الآخرون إليك**: إذا رفعت من قيمة نفسك . . قدّرك غيرك، وإذا قللت من شأن نفسك . . فثقي أن غيرك سينظر إليك النظرة نفسها .

- **لا تعيدي النقاش وتكريره وبخاصة حول الخلافات** . فالجدل الذي يؤدي إلى خلاف ثم تعيدينه . . سيؤدي إلى مزيد من الخلاف والغضب . ودائمًا اسألي نفسك : ما الفائدة التي سأجنيها من ذلك؟ عندئذ ستقتنعين بعدم جدوى تكرار الأشياء غير السارة .

- **تعلمي قول كلمة «آسفة»**: أحيانًا يكون من المفيد أن تقولي : «آسفة»

حتى ولو كنت على حق. واسألي نفسك دائمًا: أيهما أهم.. أن تختصري الموضوع بكلمة «آسفة» أو تزيدي الأمر سوءًا؟

- **لا تهملي نفسك**: حافظي دائمًا على أناقتك وجمالك لتكوني جذابة أمام زوجك، واجعلي من زوجك أيضًا.. رجلاً أنيقًا.

هذه هي بعض النصائح التي تقدمها لك خبير الزواج فيرجينيا إيروسايد.

إني أراها جيدة.. فكيف ترينها أنت..؟ وما رأيك في أن تجربيها؟

* * *

الغربية المضروبة

كنت قد حدثتك في الكتاب الأول من «رسالة إلى حواء» عن ندوة عقدت في هولندا حول «إساءة معاملة المرأة في العالم أجمع»، ونقلت لك بعض ما جاء في هذه الندوة من معلومات وأرقام حول ضرب الزوجات.

ولقد وقعتْ بين يدي، فيما بعد، أرقام ومعلومات جديدة عن الإساءة إلى الزوجات وضربهن، في بلدان «الحضارة الغربية»! الحضارة التي يدعونك لتقليدها.

ما رأيك، أختنا حواء، لو نقرأ معًا هذه الأرقام والمعلومات الجديدة والمأخوذة من مصادر غربية:

في الولايات المتحدة، نشرت مجلة تايم الأمريكية تحقيقًا عن حوادث الضرب التي تتعرض لها الزوجة الأمريكية في العصر الحديث بدرجة كبيرة.

وتشير الإحصائيات إلى أن ٦ ملايين زوجة يتعرضن لحوادث الضرب من جانب الزوج كل عام، وأن عددًا يتراوح بين ٢٠٠٠، ٤٠٠٠ زوجة يتعرضن للضرب الذي يفضي إلى الموت كل عام، ويضيع ثلث وقت رجال الشرطة في الرد على مكالمات هاتفية للإبلاغ عن حوادث العنف المنزلي. كما وجد أن ضرب الزوجة بواسطة الزوج هو السبب الرئيسي الوحيد في حدوث إصابات للسيدات أكثر من حوادث السيارات أو الاغتصاب أو السرقة بالإكراه.

أما الشيء الجديد في الأمر فهو أن ضرب الزوجة في الولايات المتحدة لم يعد مقبولاً على أنه من الأمور الخاصة أو الحتمية، فقد حدث تغير في الموقف - وإن كان ليس تغيراً تامًا - خلال فترة الـ ١٠ - ١٥ عامًا الماضية كجزء من التحول العميق في الأفكار الخاصة بدور وحقوق الزوجة في المجتمع، وقد انتشرت شبكات للخدمات الاجتماعية والقانونية بتشجيع من المنظمات النسائية بدأت في إعادة تعريف حوادث العنف التي تتعرض لها السيدات على أنها مخالفة لقانون الحقوق المدنية للضحايا وعمل عدواني من أعمال التهجم تنطبق عليه عقوبة حوادث العنف.

وقد تضمن تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالية الذي نشر عام ١٩٧٩م أن ٤٠٪ من حوادث القتل بين السيدات قد تمت بفعل الزوج و١٠٪ من حوادث القتل بين الرجال بفعل زوجاتهم.

وقد كشفت دراسة جرت في إحدى المستشفيات الكبيرة بالعاصمة الأمريكية واستغرقت أربع سنوات، وتم الانتهاء منها هذا العام أن ٢٥٪ من محاولات الانتحار التي تقدم عليها الزوجات يسبقها تاريخ من حوادث الضرب بواسطة الزوج.

وجاء في مقال نشر عام ١٩٧٨م في مجلة الشرطة أن ٤٠٪ من إصابات رجال الشرطة و٢٠٪ من حوادث قتل رجال الشرطة أثناء الخدمة تقع بسبب تواجدهم في مكان حدوث نزاع عائلي:

هذا حال المرأة الغربية.. فتأملي.. تأملي.

المرأة الغربية تفتقد الأمن

ثلاثة أرباع النساء في ألمانيا الغربية يشعرن بالخوف خارج المنزل عند حلول الظلام. وفي المدن الألمانية الكبرى التي يزيد عدد سكانها عن نصف مليون نسمة.. ترتفع نسبة هؤلاء النساء اللواتي يشعرن بالفزع من الخروج ليلاً.. إلى ٨٥ في المائة.

وحسب استطلاع للآراء أجراه معهد «إنفاس» للإحصائيات بطلب من مجلة «شتيرن» الألمانية الأسبوعية: تخاف النساء بصفة خاصة من التجول في أماكن مقفرة.

أما القاطنات في المدن الكبرى فيخشى نصفهن من المرور عبر الحدائق العامة، كما تشعر ٣٣ في المائة من هذه الفئة بالخطر في محطات «المترو» ولا يشعر ٢٠ في المائة بالاطمئنان حتى أثناء السفر في وسائل النقل هذه ليلاً.

وسئلت النساء اللواتي شاركن في الاستطلاع عما يفعلنه لمقاومة هذه المخاوف فأجاب ٢٦ في المائة منهن أنهن يحاولن تجنب شوارع وأماكن معينة، بينما يطلب ٢٥ في المائة من ذويهن مرافقتهن، في حين يمتنع ٢٤ في المائة من النساء الألمانيات امتناعًا تامًا من مغادرة المنزل عند حلول الظلام. ويعني ذلك أن ستة ملايين من الألمانيات يخشين الخروج بمفردهن ليلاً.

وحسب التقرير الإحصائي فإن كل امرأة من ثلاث نساء عانت من

ملاحقة الرجال، في حين تعرض ٧ في المائة لمحاولة اغتصاب، وذهب ثلاثة في المائة ضحية اعتداءات مهينة.

وتجدر الإشارة إلى أن نتائج استقراءات الآراء في هذا المجال تكون عادة أكثر مصداقية من إحصائيات دوائر الأمن.. لأن عدداً كبيراً من النساء يفضلن عادة الكتمان، محافظة على السمعة.. أو خوفًا من استنطاق الشرطة.

ولا يختلف الحال كثيراً لدى سائر نساء الغرب (أوروبا وأمريكا).

بلدية لندن وجدت حلاً لذلك بتشغيل باصات للنساء فقط ابتداء من السادسة مساء حتى منتصف الليل، وذلك للحد من حوادث الاعتداء المتكررة عليهن، وتقوم السيدة بالاتصال هاتفيًا بمقر قيادة الباصات وتحدد لها وجهتها.. ويخطرها المسؤول بموعد حضور الباص أسفل منزلها لتوصيلها إلى المكان الذي تريده.

هكذا تفتقد المرأة الغربية الأمن.

باتت لا تأمن على نفسها من المتحرشين، والمعتدين، والمغتصبين.

وعلى الرغم من وسائل التحري الحديثة، وسرعة الاتصال، فإن رجال الشرطة وأجهزتها في الغرب لم تستطع أن تكفل حماية كاملة للمرأة توفر لها الأمن.

فهذه هي حوادث الاغتصاب ترتفع نسبها. وها هي الاعتداءات المهينة على المرأة تزداد.

وهؤلاء هن النسوة يكشفن عن خوفهن من الخروج ليلاً بمفردهن.

فأي حرية للمرأة هذه التي لا تستطيع فيها أن تخرج من بيتها متى تشاء؟!!

وأية مساواة تلك التي لا تأمن فيها المرأة على نفسها. . ويأمن الرجل؟!!

لقد أوجد الإسلام الوقاية للمرأة من هذا الضرر قبل أربعة عشر قرنًا في هذا الأمر الإلهي الحكيم: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فحين تلزم المرأة بيتها فلا تخرج منه إلا لضرورة.

وحين لا تتبرج بزينة حين تخرج لهذه الضرورة.

فهل سيلحق بها ما يلحق بالمرأة الغربية اليوم؟!

* * *

نداء الفطرة

* قالت الممثلة الإنجليزية جاكلين بيسيه للصحفيين: إنها قررت الزواج رغم أنها بلغت الأربعين لكي تنجب طفلاً؛ لأنها تريد أن تشعر بأحاسيس الأم.. بعد أن حُرمت الإنجاب.

وتضيف جاكلين: «**إنني على استعداد لهجر الأضواء والشهرة من أجل هذا الطفل**».

* وتأسف المغنية الشهيرة «داليدا»؛ لأنها لم تتمكن بعد من تأسيس حياة أسرية مع زوج وأطفال، وتقول بأسى: «**الشيء الذي آسف من أجله هو أنني لم أؤسس هذه الحياة العائلية الثابتة.. وذلك لأنني لم أفكر كثيرًا في أمر الزواج وإنجاب الأطفال، فقد كنت منهمكة في العمل انهماكًا كليًا.. وغارقة في حياتي الفنية.. لقد خُدعت بهذه الحياة**»!

وبكل بساطة تعترف «داليدا» بأنها تشعر بالوحدة القاتلة وتقول:

«**الناس يعتقدون أنني مشغولة باستمرار ولا أحد يجسر أن يتصل بي، وهذا ما يجعلني أردد أحيانًا بأن النجاح يعزل الفنان عن مجتمعه. وأنا أتألم كثيرًا لهذا الأمر**».

ثم تضيف: «**.. يزعجني أن أعيش عادات امرأة عزباء. وهذا ليس بالأمر الجيد**».

* وتقول الممثلة كلوديا كاردينالي :

«لا شيء من الحياة يساوي رضا النفس. ولا شيء في الدنيا يساوي راحة البال. قد يكون الإنسان ناجحًا في حياته الفنية.. لكنه قد يكون فاشلاً في حياته الخاصة».

وتقول: **«أنا أم وجدّة.. وأحس بإقبال طيب على الحياة أكثر.. بعدما صرت أمًا وجدة».**

* وعرضت شركة إن. بي. سي على الممثلة الأمريكية جاكلين سميث عقدًا بمليون دولار للقيام بدور البطولة في مسلسل تلفزيوني، فرفضته وقالت تشرح سبب رفضها بأن هذا العقد يعني العمل في نيويورك، بينما هي تريد لطفلها «غاستون» البالغ من العمر ثمانية عشر شهرًا أن ينشأ في جو كاليفورنيا. وأن تكون هي معه لا تفارقه لحظة واحدة. !

وقال الصحيفة التي نشرت كلامها، إنه سبق لجاكلين أن واجهت الإخفاق في الزواج مرتين. الأولى مع الممثل روجر دينيس. والثانية مع الممثل دينيس كول. وحرصًا منها على عدم مواجهة الإخفاق للمرة الثالثة ـ لاسيما أن دور الزوجة والأم كان الحلم الذي راودها طوال حياتها ـ فقد صممت على أن لا تدع عملها يدير أمور حياتها. حتى وإن كان ذلك.. مبلغ مليون دولار.

هذه أربع نداءات للفطرة، تصدر عن أربع ممثلات شهيرات، يتمتعن بالجمال، ويملكن الكثير من المال، وشهرتهن واسعة عريضة.

نداء الفطرة عند الأولى يجعلها مستعدة لتهجر الأضواء والشهرة من أجل

طفل ترزق به.

ونداء الفطرة عند الثانية يجعلها تندم على حياتها الماضية ؛ لأنها لم تؤسس حياة أسرية مع زوج وأطفال.

ونداء الفطرة عند الثالثة جعلها تقبل على الحياة أكثر بعدما صارت أمًّا وجدّة.

ونداء الفطرة عند الرابعة جعلها تزهد في مليون دولار في سبيل أن توفر لطفلها جوًا مناسبًا وبيئة ملائمة.. وأن تبقى قريبة منه.

* * *

بريجيت باردو تبحث عن الإسلام؟..

بريجيت باردو.. ممثلة فرنسية شهيرة غنية عن التعريف. تقول: «**أعرف أنني امرأة نجحت في مهنتها كفنانة، إلا أنني أعترف أنني فشلت في حياتي الخاصة، وهذا ما يدفعني إلى ترك العمل.. لأنني سأحاول أن أنجح في حياتي. لقد شغلت بفني وأفلامي فترة طويلة استنفدت فيها الجهد والوقت**».

«معارفي كثيرون.. أما أصدقائي فهم يعدّون على أصابع اليد».

«لا أحب حياة الليل والحفلات والسهرات.. لأنها تجر عليَّ كثيراً من المشكلات والإشاعات التي أنا في غنى عنها وأفضل سهراتي في بيتي».

وتقول عن شهرتها في لقاء أجري معها في عام ١٩٧٨م: «**انتهت الأسطورة، فبعد عامين أبلغ الخامسة والأربعين من عمري.. وقد لا يعود الناس يتذكرون بريجيت بعد اختفائها من على الشاشة. سأعمل على أن أعيش في هدوء.. أنتظر رجلي المناسب. وبعدها سأتحرك على طبيعتي.. بعيدًا عن عيون كاميرات الصحافة.. وسيعود لي كياني كإنسانة.. لا كشيء جميل لامع**»!!

«**لقد علمتني التجربة أن سعادتي تكمن في أن أعيش وحيدة. ورغم أني أعتقد أنه من الضروري أن أستند إلى رجل في حياتي.. فإني حتى الآن لم**

أجد هذا الرجل الذي يمكنني أن أضع فيه كل ثقتي. وبهذه المناسبة أدحض كافة التهم التي وجهت إليَّ.. وهي أنني أبحث عن الرجل الثري. والحقيقة أن باقة ورد صغيرة تسرني أكثر بكثير من هدية كبيرة تأتي من إنسان يبحث عن المصلحة».

«أعتقد أن السعادة تتكون من مجموعة من اللحظات التي تدخل المسرة إلى قلب الإنسان، وأعتقد أنه ليس في استطاعتي أن أقول: إنني سعيدة كما في إمكاني أن أقول: إنني شقراء مثلاً. إنني أسعى إلى السعادة.. ولكنني لا أستطيع أن أقول: إنني وصلت إلى السعادة».

«لا.. لا أشعر أبدًا بالحنين للعودة إلى السينما».

وظهرت على شاشة التلفزيون الفرنسي.. تروي أسرارها بصوت حزين والدموع تملأ عينيها وهي تقول: «إن العمر يمضي بالإنسان ليصبح عجوزًا وحيدًا ويموت في هدوء بعيدًا عن الأضواء والشهرة».

وحين ترددت الأخبار عن محاولة انتحارها ليلة عيد ميلادها التاسع والأربعين نقلت إحدى الصحف أن بريجيت باردو كانت تردد ما قالته مارلين مونرو قبل موتها: «نحن النجوم محكوم علينا أن نعيش وحيدين، وبرغم الشهرة والمال والجمال، وبرغم حسد الملايين لنا ورغبتهم فينا، فإننا نأوي إلى الفراش وحيدين.. لا نجد كتفًا نسند إليها رؤوسنا».

وتقول: «إنها مأساة وحدتي.. ولك أن تتصورني وحيدة في الليل أتمدد على سريري أبكي.. وصدقني إن ألف رسالة إعجاب وتأييد لا تساوي ذراع رجل تحيطني وتشجعني على مجابهة الأيام.. إنها حياة

قاسية.. ولك أن تتصور كيف تمضي أيامي ولياليَّ وأنا أبكي».

وعندما سُئلت عن الأزمة التي عصفت بها لمناسبة ميلادها قالت: «إنها مشكلتي الشخصية.. لقد استبدت بي نوبة من اليأس وشعرت أن كل شيء قد تبدد.. إنه من الصعب أن تعطي كثيرًا ثم تجد أن عطاءك لم يقابله امتنان أو تقدير أو عرفان بالجميل أو عطاء مماثل..». «كنت كثيرة الغنى وكثيرة الشهرة وكثيرة المغامرات.. وأنا الآن كثيرة التعاسة! ومن أجل هذا ابتعدت عن الناس وأصبحت قاسية في تعاملي مع البشر».

وبريجيت باردو التي كانت تتميز بأناقتها وبأناقة منزلها أخذت تهمل هذه الأشياء التي تصفها بأنها «تافهة» «فالمهم ليس الصحن.. بل ماذا في الصحن». هكذا قالت.

وتحدد مهمة المرأة في الحياة بأنها: «وجدت لتجعل حياة الرجل هانئة وسعيدة. وأفضل ما تفعله المرأة هو أن توزع الزهور في المنزل.. وأن تجعل من منزلها مكانًا يخيم فيه الهدوء والوفاق».

وعن ابنها «نيقولا» تقول بصراحة: «لم أهتم به عندما كان صغيرًا. فلذلك لا أتوقع منه أن يهتم بي وأنا كبيرة».

وعن عمليات التجميل تقول: «إنها خدعة لا أؤمن بها».

هذه هي بريجيت باردو، التي تكاد أن تكون أشهر ممثلة في العالم، ملكت من المال مالاً لا تعرف أين تنفقه، ومن الشهرة ما لا يحد، وعرفت من الرجال الكثير.

ها هي تعلن بصراحة أنها فشلت في حياتها، وأنها ستحاول الآن أن

تنجح فيها.

وأنها تؤثر السهر في البيت على حياة الليل والحفلات.

وأنها تنتظر الآن رجلها المناسب.

وأنها تسعى لتستعيد كيانها كإنسانة.. لا كشيء جميل لامع.

وأن سعادتها في أن تستند إلى رجل.. لكنها لم تجد حتى الآن هذا الرجل الذي تضع فيه كل ثقتها.

وأنها لا تحن إلى العودة إلى السينما أبداً.

وأن ألف رسالة إعجاب وتأييد لا تساوي ذراع رجل (زوج) تحيطها وتشجعها على مجابهة المستقبل.

وأنها تحيا حياة قاسية.. وتمضي كثيراً من أيامها ولياليها وهي تبكي.

وأن مهمة المرأة أن تجعل حياة الرجل هانئة وسعيدة.

وأن أفضل ما تفعله المرأة أن تجعل من بيتها مكانًا يخيم فيه الهدوء والوفاق.

وأنها لم تفاجأ؛ لأن ابنها لم يهتم بها وهي كبيرة.. لأنها لم تهتم به وهو صغير..

بالله عليكم يا أخواتي.. لو سألتكن، بعد قراءتكن هذا الكلام: عم تبحث بريجيت باردو؟

ألن تجبنني وتقلن لي: إنها تبحث عن الإسلام!

لأن كل ما شكت منه بريجيت باردو ينهى الإسلام عنه ويحذر منه؛ ولأن

كل ما تسعى إليه بريجيت باردو يأمر به الإسلام ويحث عليه.

من ينقل إلى بريجيت باردو؛ إن ما تبحثين عنه.. موجود في الإسلام.

مساواة مزعومة

السـؤال الذي أود أن أطرحـه هنا ـ ولعل بعض الأخـوات يؤيدنني في طرحه ـ هو: بعد هذا «النضال» الطويل لـ «تحرير» المرأة في الغرب، وبعد أن نجح الرجال ومن تبعهم من النساء في تحقيق ذلك، هل تغيرت نظرة الرجل إلى المرأة؟ هل صار يحترمها؟ هل أعطاها حقوقها كاملة؟

الدراسات والتقارير والاحصاءات تكاد تجيب عن هذه التساؤلات جميعها بـ: لا. ودعينا ـ أختنا ـ نختار تحليلاً قام به مكتب الإحصاء التابع لمنظمة العمل الدولية، فقد أظهر هذا التحليل أنه بالرغم من كل الحديث عن المساواة بين الجنسين.. فإنها ما تزال غائبة عن أجور النساء.

جاء في هذا التحليل: «**إن كون عالم العمل ما يزال عالم الرجل لم يكن قط أوضح منه يوم دفع المرتبات**»!

وجاء أيضًا: «**في بعض البلدان يكسب الرجال أكثر من ضعفي النساء اللواتي يعملن في القطاع ذاته**».

وقالت المنظمة: «مثلاً، تراوحت أرباح النساء مقارنة بأرباح الرجال من ٥٥,٨ بالمائة إلى ٥٣,٣ بالمائة في اليابان ومن ٧١,٩ بالمائة إلى ٦٩,٥ بالمائة في المملكة المتحدة».

«وتقاضت النساء اليابانيات العاملات في المعامل رواتب أفضل قليلاً

فقط من زميلاتهن العاملات في القطاعات غير الزراعية . . مع انخفاض أرباحهن إلى ٤, ٤٣ بالمائة من أرباح الرجال في العام ١٩٨١م . . من ٤٦ بالمائة في عام ١٩٧٧م» .

وقالت المنظمة : «كان هذا هو التناقض الملحوظ أكثر من غيره في ١٩ بلداً شملها هذا التحليل» . ثم تضيف : «إن أرباح النساء لدى مقارنتها بأرباح الرجال انخفضت أيضًا في الدنمارك واليونان ولوكسمبورج وهولندا ونيوزلندا والمملكة المتحدة» .

أي «تحرير» للمرأة هذا؟

وأية مساواة تلك؟

إذا كانوا قد أخرجوها من بيتها لتعمل مع الرجل . . فلماذا لم يعطوها أجر الرجل نفسه؟

إذن فقد دفعوها إلى العمل ليستغلوها ويروا فيها يداً عاملة رخيصة؟

أو أنهم يعتقدون أنها لا تنتج مثل ما ينتج الرجل . . وهم بهذا يتناقضون مع دعوتهم إلى المساواة؟

أو - ربما - أرادوا إخراجها من بيتها لتكون قريبة من منالهم[1]؟!

* * *

(١) لا يريد المؤلف بحديثه عن عمل المرأة الانتقاص من عمل المدرسات والطبيبات وغيرهن من اللواتي يعملن أعمالاً موجهة إلى المرأة (التلميذات بالنسبة إلى المعلمات والمريضات إلى الطبيبات) . ولكنه يتحدث عن عمل المرأة عاملة في مصنع، أو سكرتيرة في مكتب . . إلخ .

امرأة عاقلة.. وامرأة غبية

مهما شاركت المرأة في العمل السياسي . . وتقلدت مناصب في الحكم . . فإنها لا تستطيع أن تتجرد من عواطفها . . ولا يمكنها أن تتخلى عن أنوثتها . . ولهذا فإننا كثيراً ما نجدها ترجع إلى هذه الأنوثة وهي في أوج مجدها السياسي وتتغلب عليها عاطفتها وهي مسؤولة سياسية تقتضي منها هذه المسؤولية أن تكون عقلانية لا تخضع لعاطفتها.

هذه رئيسة وزراء بريطانيا . . مارغريت تاتشر يُفْقد ابنها في صحراء شمال إفريقيا بينما كان في جولة هناك . . فتظهر على شاشات التلفزيون وهي تبكي . . وتظل في حالة انهيار تام . . تعتذر بسببها عن ممارسة عملها كرئيسة للوزراء . . حتى عثروا على ابنها المفقود.

وأنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند الراحلة . . كانت عند ذكر ابنها سانجاي الذي قتل في حادث طائرة . . تعود امرأة ضعيفة . . وأمًا مثل سائر الأمهات الثكالى، فألم الفراق ما زال ينزف في فؤادها . . فقد كان سانجاي نقطة الضعف الكبرى في حياتها . . عملت في سبيله المستحيل وكادت تفقد مكانتها السياسية عندما خذلها الناخبون في الانتخابات.

وغاندي أيضًا مثل سائر النساء تهتم بمظهرها وتحرص على شكلها تقول: عندما تعلو إبرة الميزان عن سبعة وخمسين كيلو غرامًا أمتنع عن الطعام مدة أربع وعشرين ساعة.

وهي كما تصفها إحدى الصحف شأنها شأن كل امرأة في العالم . . تحن إلى حياة الأسرة وتتلهف إلى الاجتماعات الأسرية . . وتترقب بشوق السهرات برفقة ابنها راجاي وزوجته سونيا وولديهما .

وإذا كانت شهادة تاتشر وشهادة غاندي لم تأتيا على لسانيهما صراحة وإنما نطقت بها حالهما فإن غيرهما من النساء الشهيرات يعلن شهاداتهن في صراحة واضحة لا تحتاج إلى تعليق أو بيان .

أجاثا كريستي الكاتبة الإنجليزية الشهيرة وصاحبة أشهر القصص والمسرحيات البوليسية تقول في كتاب صدر عن حياتها في عام ١٩٧٨م (العام الذي توفيت فيه) :

«إن المرأة الحديثة مغفلة . . لأن مكانة المرأة في المجتمع تزداد سوءًا يومًا بعد يوم . . نحن النساء نتصرف تصرفًا أحمق . . لأننا بذلنا الجهد الكبير خلال السنوات الماضيات للحصول على حق العمل والمساواة في العمل مع الرجل .

والرجال هم غير أغبياء . . شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقًا من أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج .

إنه من المحزن أننا أصبحنا اليوم ـ بعد أن أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف ـ نتساوى في الجهد والعرق الذي كان من نصيب الرجل وحده .

لقد كانت المرأة في الماضي تعمل في الحقل . . وفي المنزل من أجل إرضاء الرجل ونجحت المرأة بعد ذلك في إقناع الرجل أن مكانها في المنزل . . وأن

ضعفها الجسماني لا يسمح لها بالجهد والنضال . . كما أقنعت الرجل أنها في حاجة دائمة لعطفه وحنانه . طالبة منه تدليلها وإرضاءها دائمًا .

وفي عهد الملكة فكتوريا . . كانت المرأة في أسعد حالاتها . . وما يقال عكس ذلك كانت المرأة في هذا العهد تحترم الرجل ورجولته ومسؤوليته تجاه منزله العائلي . . واضطرت المرأة إلى الاعتراف بتفوق الرجل حتى لا تهينه أو تجرح كرامته .

كانت الحياة سعيدة عندما كان الرجل سيد البيت والمسؤول الأول عن رفاهية الأسرة . . أما اليوم . . فالمرأة تطالب بحريتها . . وحصلت على حريتها وأصبحت مضطرة إلى العمل المضني ولتنافس الرجل في جميع الميادين وبذلك فقدت سعادتها المنزلية . . وفقدت أنوثتها التي كانت تسحر الرجل في الماضي» .

شهادة واضحة . . من امرأة أديبة . . مثقفة . . عرفها كثيرون من خلال روايتها البوليسية تصف المرأة الحديثة بأنها مغفّلة . . فقدت أنوثتها . . وسعادتها المنزلية .

ماذا يعني هذا؟ ألا يعني - من جهة مقابلة - أن المرأة التي لزمت بيتها واحتفظت بأنوثتها وألقت بعبء العمل خارج المنزل على زوجها . . امرأة عاقلة؟

* * *

متى تقلدك الغربية؟

مجلة «لوبوان» الفرنسية، نشرت في عددها الصادر في بداية شهر آب (أغسطس) ١٩٨٣م، تحقيقًا حول الجنس في فرنسا تحت العناوين التالية: «الجنسيون مُتْعَبون ـ الثورة الجنسية لم تحمل السعادة إلى أصحابها ـ الرجال والنساء قد تبادلوا الأذى لأنفسهم.. ويشعرون اليوم بحاجة ماسة إلى فترة راحة».

وجاء في التحقيق أن مؤسسة «كوفرمكا» ـ وهي مؤسسة تبحث في العلوم الاجتماعية التطبيقية ـ قالت في بحث لها: **«لقد اجتاحت الحرية الجنسية ثمانية ملايين من الرجال والنساء خلال ثماني سنوات ـ بين عامي ١٩٧٤ و ١٩٨٢م»**.

ولاحظت هذه المؤسسة النجاح الذي حققته موسوعة بعنوان: «من أجل أحسن العلاقات العاطفية» أصدرتها دار هاشيت واعتبرتها دليلاً على ظهور إرادة لتنظيم هذه العلاقات لا إلى انتهاكها، وقد بيع من هذه الموسوعة مليون نسخة.

ومنذ ذلك الوقت ظهرت علامتان أخريان تؤكدان رأي هذه المؤسسة.. وهما: الإقلاع عن تناول حبوب منع الحمل.. ثم العودة إلى العفاف والاحتشام.

الطبيبة النسائية ميشال بارزاك التي لا تخلو عيادتها من المترددات عليها تقـــول: «**إن ظاهرة الامتناع عن تناول حبوب منع الحمل تتسع بصورة مطردة، وتعود إلى ظهور حالة تعب شديد، كما تتحدث في الوقت نفسه عن نوع من نفور النساء من مقاومة قوانين الطبيعة**».

«وهذا الموقف هو في نتيجته البدهية.. التفكير في الخطر الناجم عن العلاقة الجنسية الحرة.. كما يعني تشجيعًا على الالتزام بالعفة.. وربما الامتناع وقتيًا عن ممارسة الجنس».

وتمضي صحيفة «لوبوان» فتنقل أقوال بعض أولئك النسوة، ومنهن الفتاة فرانسوازف «موظفة في الواحدة والثلاثين من عمرها» امتنعت عن تناول حبوب منع الحمل، واختارت الامتناع عن ممارسة الجنس. والسبب هو إحساسها بالتعب من تلك النشوات القصيرة.. ورغبتها في الحصول على شريك موثوق تطمئن إليه.

وهكذا، تثوب النساء في الغرب إلى الصواب.. بعد أن أدركن وَهْمَ تلك الحرية الجنسية المطلقة من أي ضابط.. أو تنظيم.

وبعبارة أخرى.. فإنهن يملن إلى تلبية هذه الحاجة مع رجل واحد تثق به المرأة وتطمئن إليه. أي إلى زوج.. في إطار أسرة.. وفي توازن مع الحاجات الأخرى.. ومتفق مع أصل الخِلْقة البشرية.

ولك أن تفخري، أختي المسلمة، بأنك ناحية من تلك المعاناة التي تعيشها المرأة الغربية. المعاناة التي بدأت تثيبها إلى رشدها.. وتعيدها إلى فطرتها.

وإذا كان بعض نسائنا يقلدن الغربية اليوم.. فلعل اليوم الذي تقلد المرأة

الغربية فيه المرأة المسلمة . . بات قريبًا .

وليس غريبًا أن تشير الإحصائيات . . إلى أن النساء في الغرب أكثر اعتناقًا للإسلام من الرجال . . من حيث العدد .

وستظل المرأة الغربية تبحث عن راحة نفسها ، وطمأنينة بالها وسعادتها . . حتى تكتشف الإسلام .

* * *

المرأة.. أقوى من الرجل؟

هل الرجال هم الجنس الأقوى؟ وببساطة أجيب فأقول: لا!!

قد يكون الرجال أقوى من النساء في عضلاتهم، وفي قيامهم ببعض الأعمال التي خلقهم الله سبحانه لها.. ولكن.. هل هذه هي كل القوى؟

أليست هناك قوة إرادة؟ وقوة احتمال؟ وقوة مقاومة؟

٢٨ طبيبًا أمريكيًا قرروا فكرة علمية ثابتة وأكدوها، وهي أن المرأة أقوى جسديًا وأقدر على مقاومة الإرهاق والآلام والأمراض من الرجل..!

والإحصاءات تثبت ذلك، فمتوسط عمر المرأة، في مختلف أقطار العالم تقريبًا، يزيد بمعدل ٨سنوات عن متوسط عمر الرجل. وهذا ما يفسر كثرة عدد الأرامل من النساء.

والثابت علميًا أن المرأة أقدر من الرجل، بما لا يقاس، على الصمود في وجه الأمراض، والمؤكد علميًا أيضًا أن المرأة متفوقة تفوقًا بيولوجيًا واضحًا على الرجل. وهذا التفوق هو ما يسميه بيولوجيان أمريكيان (د. ديفيد بوريتللو. جون سيللفيان): «الانتقاء الطبيعي». أي أن الله سبحانه زوّد المرأة بجهاز خلقي يضمن لها الصمود أمام الإرهاق المفرط ومقاومة الأمراض العضال.

وإذا كان الخالق - جل شأنه - قد ميّز الأنثى بهذه القدرة؛ فلأنه تعالى - أسند إليها، بالمقابل، مهمات بيولوجية مرهقة لم يسند مثلها إلى الذكر، من مثل الحمل والولادة.. وما يسبق ذلك ويليه من متاعب كالوحم والنفاس..

ناهيك بالتغييرات البيولوجية والهرمونية التي تتعرض لها المرأة كل شهر في فترة الطمث . . وما يسبقها وما يليها.

وقوة الأنثى تبدأ قبل الولادة، فعند لحظة العلوق (التقاء الحيوان المنوي بالبويضة المؤنثة) تتكون بويضات مذكرة أكثر من البويضات المؤنثة (١٤٠ مقابل ١٠٠)، ولكن لدى الولادة تزيد النسبة عن ١٠٦ إلى ١٠٠، وهذا يعني، بلغة العلم، أن البويضة المذكرة هي أصلاً هشة. . معرضة للموت قبل أن تبصر النور. . فإذا لم تمت وكوّنت الجنين المذكر، فإنه يكون، وهو في رحم أمه، سريع العطب إذا ما قيس بالجنين المؤنث.

ماذا بعد؟

تقول الإحصائيات العلمية: إن ١٥ صبيًا من أصل كل ألف صبي يموتون في الشهور الأولى من حياتهم. . مقابل ١١ بنتًا فقط. !

ويستمر هذا التفوق في سن البلوغ مجسدًا بالأمراض القلبية الوعائية؛ حيث تبدو المرأة، وبخاصة قبل سن اليأس، محصنة ضدها تحصينًا قويًا.

هل تأملت يا حواء هذا؟

إن هذه القوة التي منحك الله إياها. . أهم وأعظم من قوة العضلات.

والقضية - من ثم - ليست قضية مساواة المرأة بالرجل. القضية قضية تكامل. . المرأة تكمل الرجل. . والرجل يكمل المرأة، مثل الليل والنهار.

كلاهما يكمل الآخر. وكلاهما يشكلان اليوم الكامل.

في الرسالة المقبلة، نتحدث عن قوة أخرى. . من قوى المرأة.

قوة أخرى للمرأة

قال البروفسور الألماني المعروف في جامعة برلين رودولف باوماشن إن المرأة قادرة على تحمل الإرهاق والصدمات النفسية أكثر من الرجل.

وأضاف استنادًا إلى نتائج سلسلة من التجارب الطبية والعلمية أن جسم المرأة يتفاعل بسرعة عنيفة وسريعة مع حالات الإرهاق النفسي ويفرز كميات كبيرة من هرمونات الإرهاق كمادة الادرينالين والنورادنالين وأسيدات دهنية متحركة.

إلا أن هذه الهرمونات تتقلص بسرعة كبيرة لدى المرأة بعد الإرهاق أو الانفعال النفسي.

واستخلص البروفسور من هذه التجارب أن المرأة تنفعل بصورة أسرع من الرجل إلا أنها تهدأ بنفس السرعة.

وخلافًا لذلك فإن جسم الرجل يفرز هذه الهرمونات الناجمة عن الإرهاق بشكل بطيء مما يجعلها تستقر لفترة أطول في الدورة الدموية.

ومن هنا فإن الإرهاق يفعل مفعوله أكثر على الرجال بالمقارنة مع النساء كما أكد البرفسور البرليني أن أسيدات الإرهاق التي يفرزها جسم الرجل تتألف من مواد مؤثرة سلبيًا على القلب والدورة الدموية مما يزيد من خطر الجلطة الدموية في القلب لدى الرجال نتيجة للإرهاق الجسدي والنفسي.

هل رأيت يا حواء؟

هذه قوة أخرى من القوى التى تتفوق بها المرأة على الرجل، والتي جباها الله إياها؟

ولكن . . هل لنا أن نسأل لماذا؟

لماذا خلق الله سبحانه المرأة أقدر من الرجل على تحمل الإرهاق والصدمات النفسية؟

إذا أردنا أن نجيب إجابة بسيطة . . فإننا نقول:

لأن الله سبحانه خلق المرأة لمهام . . وخلق الرجل لمهام أخرى .

والمهام التي خلق ـ تعالى ـ المرأة لها . . تتطلب منها هذه القدرة الأكبر على تحمل الإرهاق والصدمات النفسية .

التعامل مع الطفل، والصبر على العناية المستمرة به، وتلبية طلباته المتكررة والمختلفة، أمور تحتاج إلى مثل هذه القدرة المتوفرة لدى المرأة أكثر من الرجل .

معايشة الأطفال طويلاً ـ ويعلم هذا جيداً معلمو المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ـ سبب في إثارات متعددة للانفعالات النفسية، الانفعالات التي تهدأ سريعًا لدى المرأة ـ كما قرأنا في مقدمة الرسالة ـ بينما يستمر أثرها طويلاً على الرجل .

ومن هنا نجد، أن المرأة أصبر في تربية الأطفال من الرجل .

ولعلك ـ أختنا حواء ـ قرأت في الجزء الأول من رسالة حواء قصة تلك

المرأة التي أقنعت زوجها بأن مكانه البيت، وأنها هي رب الأسرة التي تعمل خارج البيت. وكيف أن طفلتهما بكت ذات يوم وأمها في العمل، فضاق أبوها ذرعًا بها، فقد رفضت أن تتناول زجاجة الحليب، ولم تنفع معها كل خبرته، ثم أنه صفعها، فبكت، وأهاجه بكاؤها، فدق رأسها في الطاولة، ثم أمسكها وقذف بها أرضًا بكل ما يملك من قوة، فماتت. ثم عادت المرأة إلى بيتها، وذهب زوجها إلى السجن، ولم تنفع دموع الزوجة في إقناع القاضي بتعديل القانون.

لم يكن الزوج يملك هذه القدرة على احتمال بكاء طفلته.. بينما كانت الزوجة ـ الأم ـ تمتلكها.

فلا شك أن الطفلة بكت مرارًا، ولكن أمها لم تكن ليصل ضيقها بها إلى حد أن تدق رأسها بالطاولة ثم تلقي بها على الأرض.

وتأملوا صورة أبسط في المقارنة:

هل وجدتم أمًا تضيق ليلاً بطفلها أو طفلتها.. فتغادر الغرفة إلى غرفة أخرى لتواصل نومها.. تاركة طفلها يبكي؟!

إننا نجد كثيرًا من الآباء.. يضيقون ببكاء أطفالهم ليلاً.. فيغادرون إلى غرف أخرى.. ليواصلوا نومهم فيها.

عزيزتي

مَن أقوى الرجل أم المرأة؟

* * *

حين تضرب الأم طفلها

حين يكون على المرأة عبء العمل خارج المنزل. . وعبء العمل داخله. . فإنها تتحمل ضغوطًا: فعليها أن ترضي مسؤوليها في عملها، وزوجها وأطفالها في بيتها. وهذه الضغوط لابد أن تترك آثارها على أعصابها.

ولما يصعب عليها أن تخفف من هذه الضغوط بالثورة على مسؤوليها في العمل، كما يصعب عليها أحيانًا كثيرة أن تثور على زوجها، فإن أطفالها المساكين سيكونون هم الضحية. . وستكون ثورتها الدائمة عليهم.

هذا حال كثير من النساء اللواتي يعملن خارج البيت وداخله.

وكذلك الرجل الذي يجد زوجته مشغولة بعملها الصباحي خارج البيت، ثم تعود لتتابع أعمالها داخل البيت، وتنشغل بأطفالها، يتولد في نفسه ضيق عصبي يضاف إلى ضغوط العمل والحياة. ومن ثم فلا يجد من يفرغ فيه ضيقه إلا أطفاله المساكين.

وهذا حال كثير من الأزواج الذين تعمل نساؤهم خارج البيت أيضًا. ولعل هذا أظهر ما يكون في الغرب، وإليكم هذه الإحصائيات التي تضمنها تقرير صدر مؤخرًا في الغرب عن سوء معاملة الوالدين لأبنائهما:

ـ زادت حالات تعذيب الوالدين لأطفالهم بنسبة ٤٠٪ عما كان عليه

الأمر منذ العامين الماضيين.

- يموت طفلان كل أسبوع متأثرين بأحداث العنف في منازلهم.

- يموت طفل واحد من كل عشرة أطفال يلاقون العذاب والضرب من والديهم.

- طفل من كل سبعة أطفال يعاني من إصابات مزمنة في المخ بسبب سوء المعاملة من والديه.

- حوالي ٥٠٪ من الأطفال الذين عُذبوا من والديهم وأعادتهم المحكمة مرة أخرى إلى والديهم.. أعيد تعذيبهم من جديد.

اسمعي قصة واحدة من هؤلاء الأمهات.

السيدة بات ستيفنز أم من لندن، تبلغ الأربعين من عمرها، أنشأت رابطة تدعى (أسر مجهولة)، واستطاعت عن طريق الرابطة أن تساعد كثيرًا من الأمهات على الكلام عما يعانينه مع أطفالهن الصغار.. ثم توجيه النصح لهن. وكانت «بات» قد أنشأت هذه الرابطة منذ بضع عشرة سنة.. بعد أن مرت بتجربة مماثلة مع طفلها «بن» الذي كان يبلغ الرابعة من عمره حينما ضربته ضربًا مبرحًا ترك كدمات زرقاء حول عينيه.. اضطر على إثرها أن يذهب إلى المستشفى.. وأن تأخذه منها السلطات الاجتماعية في لندن.. حتى ينشأ الطفل الصغير في جو هادئ.

تتحدث هي عن ضربها لطفلها فتقول: «كنت أفقد أعصابي معه، ولكنني بعد ذلك كنت أشعر بالذنب؛ ذلك لأنني أيضًا كنت أشعر أنني لم أعد أحبه، وحينا كنت أقدم له طعامه.. أقدمه له بلا أدنى شعور.. وحينما

بدأ خطواته الأولى . . كنت دائمًا أصفعه على وجهه . . أضربه . . كنت أشعر بالغضب دائمًا ، ولم أكن أستطيع أن أتحكم بأعصابي . وكان زواجي يوشك أن ينتهي أيضًا ، وكانت لدي مشكلات مالية كثيرة . . ووجدت نفسي أضرب طفلي ابن الرابعة حينذاك ضربًا مبرحًا» .

هل لاحظت ، أختنا حواء ، كيف انعكس عدم استقرارها على معاملة طفلها :

- مشكلات مع زوجها : «كان زواجي يوشك أن ينتهي» .
- اضطرارها للعمل لتأمين المال : «وكانت لدي مشكلات مالية كثيرة» .

يا أيها الناس :

وفّروا للمرأة استقرارًا ، وطمأنينة وأمانًا . . لتوفر لكم جيلاً قويًا ، سليمًا ، معافى في بدنه ونفسه .

* * *

حواء في الغرب

د. أسمهان بدير صيداوي، صحفية، وكاتبة قصة. كانت قد تزوجت وهي في السادسة عشرة من عمرها. وهي تقيم في فرنسا منذ فترة، مع زوجها وولديها.

تقول الدكتور أسمهان: «**أنجزت دراسات كثيرة عن المرأة العربية والمسلمة، وحقوقها المتميزة، مثل حقها في التصرف بأملاكها**، وممارسة التجارة باستقلال مالي عن زوجها، وحقها في الاحتفاظ باسم عائلتها، حتى أن زوجات النبي ﷺ بقين يحتفظن بأسماء آبائهن»[1].

ثم تقول: «**الغريب أنني لا أحس بالسعادة في ملامح المرأة الفرنسية.. على الرغم من أنها حرة في علاقاتها منذ زمن طويل**»[2].

هذا الكلام الصادر عن هذه السيدة اللبنانية المسلمة المقيمة في باريس، يشير إلى ما يلي:

أولاً: لابد لكل امرأة مسلمة من أن تعرف حقوقها في الإسلام، حتى تدرك المكانة العظيمة التي يضعها فيها هذا الدين الحنيف. ومن ثم، تدرك أن غير المسلمة لا تحتل مثل هذه المكانة في بلدها، أوفي دينها.

---

(١)، (٢) من لقاء أجرته معها مجلة «الوطن العربي» ـ العدد ٣٦٦.

ثـــانـــيًا : تذكر السيدة أسمهان أنها لم تجد السعادة في ملامح المرأة الفرنسية. المرأة التي تعيش في مجتمعها الفرنسي. وهي شهادة لها دلالتها، من امرأة مسلمة سعيدة. فهي تقول: «**أشعر بالسعادة.. سعادة تحقيق شيء في حياتي.. بالإضافة إلى دوري كأم وزوجة. أنا أقدس دور الأم..**»(١).

ثـالـثًا : إن الدور الذي يمكن أن تلعبه المرأة المسلمة في المجتمعات الغربية كبير وهام. ففي تلك المجتمعات مئات آلاف المسلمات المقيمات هناك ويكدن لا يعرفن عن دينهن شيئًا. إضافة إلى ملايين النساء الغربيات الشقيات.. ولا يعرفن أن نجاتهن من شقائهن ليست إلا في الإسلام.

فهلا حاولت أن تفعلي شيئًا، مع أخواتك المسلمات، من أجل كثيرات مازلن يجهلن الإسلام.. وعطاءه الكبير للمرأة؟

* * *

(١) من لقاء أجرته معها مجلة «الوطن العربي» ـ العدد ٣٦٦.

ألا يعلم من خلق!

نشرت مجلة التضامن في عددها رقم ٤٠ الصادر في ١٤/ ١/ ١٩٨٤م تفاصيل دراسة علمية أمريكية جديدة، يتأكد منها اختلاف دماغ المرأة عن دماغ الرجل. وأنقل هنا نص ما نشرته المجلة لأهميته:

«في وقت ما تزال فيه الحناجر تُبَحُّ في غير مكان من الصراخ، مطالبة بحقوق أكثر للمرأة، وفي وظائف لها مسؤولة. وفي وقت تتبرع غير كاتبة في تمرير يراعها في الكتابة عن ظُلامة المرأة، وتكيل التهم للمفاهيم الاجتماعية «البالية» التي تنصب الحواجز والمعيقات في وجهها، وتسد عليها طريق الوصول إلى المناصب المهمة في الحكم والدولة، وفي المشاركة في صناعة القرارات السياسية.

في هذا الوقت بالذات، طلع صوت آخر من المختبرات، ومعاهد الأبحاث يثبت بالقلم والورقة والأدلة والمقولات العلمية الدامغة، أن دماغ المرأة أصغر من دماغ الرجل، ومختلف عنه في القدرة الفيزيولوجية، يحب الأطباء والعلماء اعتبارها التبرير الوحيد للنقص الإبداعي عند المرأة، الأمر الذي يجعلها دائمًا دون مستوى الرجل فكريًا وإبداعيًا.

فكيف يعمل دماغ المرأة؟

أين الاختلاف بينه وبين دماغ الرجل؟

بعد ثلاثة أسابيع على نشر إحصاءات دلت على تدني شعبية الرئيس رونالد ريغان في الأوساط النسائية الأمريكية، التي اعتبرته غير مهتم برفع مستوى مشاركة المرأة في المجالات العلمية والسياسية ـ (على الرغم من أن الرئيس ريغان كان أول رئيس أمريكي يعين امرأة في مركز المسؤولية، تتطلب الكثير من الوعي والتفهم السياسي مثل المسؤولية التي أنيطت «بجين كيركباتريك»، مندوبة أمريكا في الأمم المتحدة) ـ وقع الرئيس ريغان على ميزانية بلغت ٣٠ مليون دولار، للإنفاق على الأبحاث والدراسات الطبية والسوسيولوجية، من أجل ما سمي «تنمية مشاركة المرأة في المجالات العلمية ورفع الحواجز التي تعيق حياتها المهنية».

وقد اعتبر إعطاء الضوء الأخضر لمثل هذه الأبحاث والدراسات، التي يمكنها أن تتعدى نطاق الولايات المتحدة الأمريكية، محاولة جديدة في منح المرأة فرصة أخرى لدحض المقولة التي ترجع عدم تقدم المرأة في المجالات العلمية والفكرية والسياسية إلى نقص الأهلية الفيزيولوجية، وإثبات أن السبب الوحيد لتخلف المرأة عن منافسة الرجل في تلك المجالات هو المنغصات والمعيقات الاجتماعية والتربوية والبيئية والعادات والتقاليد الضيقة التي لا تعطي المرأة حقها في الطموح وإثبات نفسها.

في تشرين الثاني الماضي، صدرت أول دراسة أمريكية حول الاختلاف الدماغي الحاصل بين الذكور والإناث ودلت بوضوح على أن الفتيان كانوا يحصلون غالبًا على نتائج أفضل بكثير من تلك التي تحصل عليها الفتيات، في الاختبارات المدرسية الخاصة بكشف الأهلية، في مادة «الرياضيات» ـ وكان لتلك النتائج أصداء قوية أعادت من جديد طرح نقاش عنيف حول هذه

المسألة.

وتؤيد هذه الدراسة، التي واجهت معارضة شديدة، صحة الأعمال المتعددة التي أجريت سابقًا، والتي دلت على تفوق الصبيان على البنات، في الاختبارات المعروفة باسم التحليل «المكاني-الزمني».

وهذه الاختبارات، تقيس قدرة الفرد على اكتشاف الأشكال الهندسية، وبناء هيكلية معينة، بواسطة كتل تحمل أشكالاً مختلفة. غير أن أبحاثًا علمية أخرى لحظتها الدراسة قد دلت من جهة أخرى على تفوق البنات في اختبارات الكفاءة الشفهية التي لا تتطلب عادة الكثير من التركيز.

وقدمت الاكتشافات التقنية الحديثة، التي تسمح بمراقبة تخطيطية للمناطق الوظيفية للدماغ، وللمرة الأولى، للأطباء طريقة ممتازة من أجل وضع رسم منظم، وحقيقي، للمناطق الوظائفية الدماغية، ليس فقط على مستوى الكتلتين الدماغيتين والتلافيف الدماغية وإنما أيضًا على المستوى المجهري للخلايا العصبية.

وأكدت الملاحظات الأولى، والتي تم جمعها حتى الآن، على التمايز القائم بين الجنسين على مستوى «الوظائف الصادمة»، كما تسمى. والذي يجعل قدرة المرأة على العمل الإبداعي أقل بدرجات من قدرة الرجل، ولذلك أيضًا يُرد نجاح المرأة في الأعمال المكتبية كالسكريتاريا والأرشفة وغيرها.. التي لا تتطلب عملاً إبداعيًا، إنما قدرة على التنظيم، يفوق الرجل، الذي لا تسمح الإفرازات الدماغية في تكبيله في عمل روتيني لا يتطلب الكثير من التركيز والحركة.

كما أوضحت الأبحاث المشتركة التي أجراها اختصاصيون في «الغدد الصم» و «البيولوجيا العصبية»، الدور المهم الذي تلعبه «الهرمونات» على هذا الصعيد في مرحلة النمو الدماغي عند الجنين.

وفي تفصيل أدق أن هذه «الهرمونات» تحدد في الجنين معالم القدرة الدماغية على مستوى «الوظائف الصادمة» والإفرازات الضرورية لتحديد قدر تلقي هذا الدماغ للأوامر العصبية الصادرة له، وفي ما بعد قدرته على استيعاب المعطيات العلمية التي توضع أمام الفرد».

أرجو ألا تنظري إلى هذه النتائج التي صدرت عن هذه الدراسة العلمية.. على أنها انتقاص للمرأة أو تقليل من مكانتها، وذلك للاعتبارات التالية:

١ ـ لقد خلق الله سبحانه كل مخلوق وجعله ميسراً لما خلقه له. والمرأة خلقت لمهام في الحياة لم يخلق لها الرجل. من مثل الحمل والرضاعة والعناية بالطفل والصبر عليه. وخلق المرأة على صورة مطابقة للرجل (من الناحية العقلية والفيزيولوجية) قد يكون معوقًا لها عن أداء تلك المهام على وجه متقن.

٢ ـ الحساب على قدر المسؤولية فهذه المقدرة الأكبر التي أعطاها سبحانه وتعالى للرجل.. تحمّله مسؤولية أكبر، ومن ثم يكون حسابه على قدر ما حُمِّل. بينما المرأة تحاسب على قدر ما حُمِّلت دون أن ينقص هذا من أجرها شيئًا.

ومصداق هذا حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه لأسماء بنت يزيد

الأنصارية حين سألته إن كانت النساء تشارك الرجال في الأجر ما داموا قد فُضِّلوا بالجمع والجماعات وشهود الجنائز والجهاد في سبيل الله . . قال ﷺ لأسماء: «**افهمي أيتها المرأة.. وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله**». أي إن قيام المرأة بواجبات زوجها على الوجه الأكمل وطاعته، يكسبها أجرًا يعادل أعمال الرجل كلها. فلولا أنها قامت بشؤون البيت وأراحته من همومه، لما استطاع أن يقوم بما قام به من عمل، فهما متساويان في الأجر.

٣ ـ في رسائل أخرى من هذا الكتاب، تبين دراسات علمية أن للمرأة قوى وقدرات أخرى لا يملكها الرجل، وهي التي تجعل المرأة أقدر على تربية الطفل وأصبر عليه. إضافة إلى قدرات فيزيولوجية ونفسية تميزها عن الرجل.

وما يغني عن هذا كله ويجمعه، أنه مادام هذا التكوين هو خلق الله سبحانه، فهو تعالى أعلم بخلقه وبما ينفعهم في دنياهم، ويساعدهم على القيام بما أمروا به. ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

متعي خطأ أحمر

قال العلامة الحافظ عماد الدين بن كثير في كتابه الشهير وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾:

«**طيّبوا أقوالكم لهن، وحسّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحبون ذلك منهن، فافعلوا أنتم بهن مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾** [البقرة: ٢٢٨] وقال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهن، ويوسعهن نفقة، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ويجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها. . وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام. . يؤاسيهم بذلك ﷺ».

ما تقولين أختنا حواء في هذا الخلق النبوي الكريم مع نسائه، ﷺ، هل منكن من يعاملها زوجها بمثل هذا؟

إذا كان زوجك يعاملك بمثل هذا، أو قريبًا منه، فإنه يتأسى بأسوتنا جميعًا محمد ﷺ وهنيئًا لك بزوجك.

أما إذا كان لا يحسن العشرة، دائم العبوس وتقطيب الجبين، فاكتبي له الوصف السابق الذي نقله ابن كثير، وضعي له خطًا أحمر تحت وصفه ﷺ : «**أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهن**».

وإذا كان يبخل عليك، ويمسك يده، فاكتبي له كلام ابن كثير أيضًا وضعي خطًا أحمر تحت وصفه ﷺ : «**ويوسعهن نفقة**». وإذا كان في حديثه دائم الجد، لا يلين في كلامه، ولا يمازحك، فاكتبي له كلام ابن كثير وضعي له خطًا أحمر تحت وصفه ﷺ : «**ويضاحك نساءه.. حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ**».

وإذا كان ينصرف إلى كتابه يقرأ فيه ولا يحادثك، أو إلى عمل من الأعمال وينشغل به عنك، فاكتبي له كلام ابن كثير ـ رحمه الله ـ وضعي خطًا أحمر تحت وصفه ﷺ : «**وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل** أن ينام».

هكذا كان خلقه، ﷺ مع زوجاته، وهكذا يأمر الإسلام بمعاملة المرأة، وكل غلظة تصدر من بعض الرجال تجاه زوجاتهم أو بناتهم أو أخواتهم.. ليست من الإسلام في شيء، وكل قسوة يحسبها بعض الرجال من مقومات الرجولة.. ليست من الإسلام في شيء.. هذا هو القرآن.. وها هو حديث رسول الله ﷺ ، وهذه هي سيرته هاتوا منها ما يؤيد قسوتكم، أو غلظتكم، أو ترفعكم.. إن كنتم صادقين.

المرأة.. وسيلة تجارية؟..

أثار استخدام المرأة في الإعلانات التجارية موجة من الاحتجاجات بين لجان تحرير المرأة في بريطانيا. وقد اعترض «توني بن» زعيم الجناح اليساري لحزب العمال البريطاني.. على استخدام المرأة في الإعلانات التجارية وقال: «**إن هذا العمل سيؤدي إلى شعور المرأة بالنقص والإحباط عندما تقارن نفسها بهؤلاء النساء الجميلات اللاتي يستخدمن للإعلان**».

أليس مثيرًا للتساؤل والاستغراب أن تُمتهن المرأة باستخدامها في الإعلانات في الغرب الذي يزعم أنه حرر المرأة وساواها بالرجل؟

وأليس عجيبًا أن نقوم بتقليد الغرب باستخدام المرأة في الإعلانات.. في الوقت الذي تشكو فيه المرأة الغربية نفسها من هذا؟

ثم كيف لا نسمع، أو نقرأ عن جمعية أو اتحاد نسائي في بلادنا المسلمة يعلن عن احتجاجه على مثل هذا الاستخدام؟

وأخيرًا.. لنتأمل كيف أن «لجان تحرير المرأة» في بريطانيا، وزعيم الجناح اليساري لحزب العمال البريطاني أيضًا.. يحرصان على كرامة المرأة وصونها؟

ألسنا أولى بهذه الدعوات؟ وأحرص منهم على المرأة وكرامتها؟

يبقى أن نشير إلى الغاية التي من أجلها اعترض «توني بن» على استخدام

المرأة في الإعلانات التجارية وهي (شعورها بالنقص والإحباط عندما تقارن نفسها بهؤلاء النساء الجميلات اللاتي يستخدمن للإعلان)، وهي غاية، على الرغم من أثرها الواضح في المرأة.. ليست هي كل الضرر الناتج عن ذلك الاستخدام.

فمن هذا الضرر امتهان المرأة واعتبارها وسيلة تجارية لجذب الرجل إلى سلعة بعينها، وإثارة غرائز الشباب لكون معظم الصور المنشورة لنساء متكشفات ومتبرجات، وغش المستهلكين الذين يشترون السلعة منجذبين إلى صورة المرأة لا إلى جودة السلعة، إضافة إلى أن الأثر الذي أشار إليه زعيم الجناح اليساري لحزب العمال، وهو شعور المرأة بالإحباط، ليس قاصراً عليها، بل هو يشمل زوجها الذي يقارن بين صور تلك النساء وزوجته، فيغريه الشيطان ويسوّل له.. بما يغري ويسوّل.

ولقد جعلت هذه الحال الكاتب الراحل عباس محمود العقاد..

يصف عصرنا بأنه «عصر الشهوة»، ويقول:

«إنا لفي عصر خليق بأن ندعوه عصر المرأة، فإنك لا ترى إلا أثرًا من آثارها حيث ذهبت. وقليلاً ما تجد عقلاً لا يشتغل بأمرها، أو قلبًا لا يشتغل بها، حتى لقد بلغ بهذا العصر أن يرغب بصورها ورسومها في أوراق التبغ، وعلب الثقاب، وحلوى الأطفال، وإعلانات المتاجر والسلع، حتى أصبحوا ينصبونها أحبولة يتصيدون بها الناس إلى حفلات البر».

ويتساءل:

«ففيم ذلك كله يا ترى؟! ألعله بلغ من صلاح النفوس البشرية ورفقها

بالضعفاء في عهدنا هذا ما نرى بعض علائمه في معاملة النساء المستضعفات.. والتلطف مع هذا الجنس اللطيف؟! لو كان ذلك لقلنا: قد تحقق الحلم الذي رآه الفلاسفة في دياجي القرون الأولى.. إنما نحن في عصر شهوة، لا شأن له في صلاح أو نخوة، والنفوس باقية على ما جُبلت عليه».

* * *

امرأة بشلنين!

القرن التاسع عشر ليس عنا ببعيد، ومع هذا كانت المرأة في وضع يرثى لها فيه. وقبل أن أنقل لك صورة عن حالها، أدعوك للمقارنة بينها وبين المكانة التي رفعها الإسلام إليها. مع التذكير، بأن الفاصل الزمني بينهما، يمتد ثلاثة عشر قرنًا..!

يقول عباس محمود العقاد في كتابه: «ولقد تقدم الزمن في الغرب من العصور المظلمة، إلى عصور الفروسية، إلى ما بعدها من طلائع العهد الحديث، ولما تبرح المرأة في منزلة مسفة، لا تفضل ما كانت عليه في الجاهلية العربية، وقد تفضلها منزلة المرأة في تلك الجاهلية.

ففي عام ١٧٩٠م بيعت امرأة في أسواق إنجلترا بشلنين؛ لأنها ثقلت بتكليف معيشتها على الكنيسة التي تؤويها. وبقيت المرأة إلى عام ١٨٨٢م محرومة من حقها الكامل في ملك العقار وحرية المقاضاة.

وكان تعلم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال، فلما كانت «اليصابات بلا كويل» تتعلم في جنيف عام ١٨٤٩ - وهي أول طبيبة في العالم كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها، ويأبين أن يكلمنها، ويزوين ذيولهن من طريقها احتقارًا لها، كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مساسها.

ولما اجتهد بعضهم في إقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فلاديلفيا

الأمريكية أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد، وتصادر كل من يستشير أولئك الأطباء».

• • •

فاطمة هيرين

فاطمة هيرين، هكذا أصبح اسم الفتاة الألمانية التي أعلنت إسلامها. استمعي إليها، أختنا حواء، وهي تتحدث عن نفسها بعد إسلامها، وكيف أنها - وهي الغربية المتحررة قبل إيمانها - قد طبقت تعاليمه في جد، وأدتها في تعشق وحب. تقول:

«تعلمت أن الصلاة ليست أمرًا يؤدى كيفما اتفق، ولكنها في الحقيقة نظام لابد أن يصاغ اليوم كله على منواله. وتعلمت أن أرضى بالوضع الذي يجلس فيه زوجي مع إخوانه في الدين - وقد أسلم قبلها - يتجاذب وإياهم أطراف الحديث النير، في الوقت الذي أعد لهم فيه الشاي، وأقدمه عند الباب، دون أن أعرف الأشخاص الذين أعددت لهم ذلك.

وبدلاً من الذهاب إلى الأسواق تعودت أن أمكث في البيت لمطالعة الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية. وتعلمت أن أحب نبينا محمدًا ﷺ وصحابته من خلال قراءتي لكتب الحديث النبوي الشريف، فقد أصبحوا شخصيات بشرية حية لا مجرد نماذج تاريخية معجبة، وغدت أمثلة العطف والشجاعة والتفاني والصلاح التي ضربها هؤلاء الأولون في حياتهم.. نجوم هداية لي».

* * *

بريجيت باردو ما تزال تبحث عن الإسلام!

في رسالة سابقة في هذا الكتاب الذي بين يديك، حدثتك عن بريجيت باردو، ونقلت لك جوانب من أحاديثها الأخيرة إلى الصحف والمجلات، وكيف أنها تتكلم كلامًا يتفق مع ما يدعو الإسلام إليه. . ومع ما ينهى عنه.

ولقد اطلعت اليوم على لقاء جديد، أجري معها في عام ١٩٨٦م الميلادي، وهي تتفق أيضًا مع الإسلام. . دون أن تدري.

ما رأيك لو تقرأين بعض ما جاء في ذاك اللقاء؟

*** بريجيت باردو، الملكة، محبوبة الملايين، وحيدة؟**

- هذا هو الواقع. أنا وحيدة الآن بكل معنى الكلمة. لا أهل لي، لا زوج، لا أولاد، وحيدة مع كلابي وقططي.

*** هذه الوحدة، هل تحزنك؟**

- ليس كثيرًا، لقد اعتدت عليها منذ سنوات عديدة. لدرجة أنني لم أعد أشعر بثقلها. لكن يحدث أحيانًا أن أرى امرأة مع رجل وأولاد فأتساءل بسري: لماذا أنا محرومة من مثل هذه النعمة؟

*** هل يعني هذا أنك مستعدة للزواج مجددًا وبعد كل هذا العمر؟**

- لِمَ لا؟ من حقي أن أعيش. الزواج هو الآن أغلى أمنية عندي. أريد أن أتزوج لآخر مرة في حياتي. هذه الفكرة تشكل الآن قناعة ثابتة عندي.

فمؤخرًا فقط بدأت أكتشف أنني كنت مجرد مراهقة، الآن فقط بلغت سن النضج، والآن فقط أصبحت مؤهلة للاقتران برجل أقضي معه بقية عمري.

*** بريجيت باردو الخمسينية تطلب عريسًا؟**

- بالتحديد، وبكل رأس مرفوع أعلن أنني أبحث عن الزوج المناسب.

*** وما هي مواصفاته المطلوبة؟**

- أن يكون على شيء من الذكاء والطيبة والتفهم، صلبًا وعلى شيء من التوحش. مرحًا ولينًا كطفل. لا أطلب أن يتفرغ لي ليل نهار. لست أنانية. يكفيني منه أن أعرف أن هناك رجلاً لي، يحبني ويفكر بي أينما كان. هذه هي قيمة السعادة المطلقة للإنسان: الزواج.

*** تتكلمين عن الزواج بلهفة العذارى، وأنت التي لطالما تبدلين الأزواج كما تبدلين فساتينك؟**

- هذا صحيح، كنت. لعل هذا قدري: أن أكون دائمًا بعكس الآخرين. أجل لقد كنت أكثر من الطلاق عندما كان الطلاق مرذولاً ومستهجنًا في فرنسا والغرب. والآن ها أنا ذا أفلسف الزواج في وقت تكاد هذه الكلمة تختفي من قاموس المجتمعات الغربية السائرة نحو التفكك بفعل ابتعادها عن أطر العلاقات الأسرية وانغماسها في الانحراف والمجون.

لنأخذ منطقة سانت تروبيز الفرنسية هذه« التي أعيش فيها منذ سنوات» بؤرة فساد رهيبة. الناس هنا يتجولون عراة ويمارسون كل أنواع الفساد والفجور كالبهائم تحت شعار التحرر والحضارة. لكن أي تحرر هذا وأية حضارة؟!

لقد باتت حياة الإنسان الغربي أشبه ما تكون بحياة الحيوانات، بل أدنى من ذلك بكثير.

*** لكنك أنت بالذات كنت في وقت ما رمزاً لتحرر الغرب ولفساده؟**

- هذا صحيح كنت كذلك. كنت غارقة في الفساد الذي أصبحت في وقت ما رمزاً له. لكن المفارقة أن الناس أحبوني عارية ورجموني عندما تبت. عندما أشاهد الآن أحد أفلامي السابقة فإنني أبصق على نفسي وأقفل الجهاز فوراً. كم كنت سافلة.

*** هل مثاليتك الآن هي ردة فعل على فسادك السابق؟**

- أنا لست مثالية الآن، بالعكس، أنا الآن في منتهى الواقعية. لكن الواقع يقول: إننا بشر ولسنا حيوانات. وأن نكون بشراً يعني أن نعيش وفق قيم وأخلاق معينة وليس كالوحوش الغرائزية الفالتة. إن نمط الحياة الغربية الآن يشكل إهانة تاريخية للجنس البشري.

قصر الأحلام

أراد أحد الفلاسفة أن يتزوج، فعرضوا عليه ثلاث فتيات جميلات ليختار من بينهن، فأراد اختبارهن، فقدم لكل واحدة منهن مجموعة من اللآلئ الثمينة، فقالت الأولى: «**إنها حقًا لآلئ جميلة**». وقالت الثانية: «**لو كانت مع هذه اللآلئ ماسة ذات قيمة..**» أما الثالثة فقالت: «**لا أريد هذه اللآلئ.. فأنا يكفيني الحب**».

هل تعرفون من اختار الفيلسوف من بين هذه الفتيات الثلاث ليتزوجها؟

لقد اختار الفتاة الأولى وقال عنها: «**إنها فتاة قنوعة. رضيت بما قدم لها. وسعدت به**».

«**أما الثانية فهي طماعة شرهة لا تقنع بما يقدم لها. وتسعى للمزيد**».

و«**الثالثة خيالية، غير واقعية. لا تصلح للحياة الزوجية وتحمل مسؤولياتها**».

والحق، أن هذا الفيلسوف جمع فلسفة الزواج كلها في كلماته عن الفتيات الثلاث. فمعظم المشكلات الزوجية، والخلافات المستمرة بين الزوجين، تعود إلى عدم قناعة بعض الزوجات بما قسم الله لهن، أو إلى أن كثيرًا من الفتيات يحسبن الزواج قصرًا من الأحلام، تنام فيه على الحب، وتستيقظ على الحب، وتأكل فيه حبًا، وتشرب حبًا.

والمسؤولية في هذا لا تعود إلى الفتاة، بل إلى ما تقرؤه من روايات، وتشاهده في التلفزيون من مسلسلات، وما تسمعه في الإذاعة من تمثيليات.

فبدلاً من أن تصور وسائل الإعلام حقيقة الزواج، وما يبنى عليه من أمور ومهام ومسؤوليات، وأنه مؤسسة يشترك فيها الزوجان، بدلاً من ذلك تغذي هذه الوسائل خيال الفتاة بقصص الحب، وعبارات الحب، وهمسات الحب، مما يجعل الفتاة تصدم بعد الزواج حين تواجه حقيقة الحياة الزوجية المليئة بالمسؤوليات. والتبعات والأعباء.

* * *

لا تباروا ولا مقابل.. في الأسرة المسلمة

المباراة داخل العلاقة الزوجية، ظاهرة معاصرة، تعشش الآن في كل الزيجات والعلاقات الإنسانية غير السعيدة، هذا ما يقوله د. غاري ايميري، اختصاصي علم النفس المعروف.

يقول الدكتور: عندما تسود روح التباري في الحياة الزوجية فإن كل طرف يتوقع أن يبادله الطرف الآخر نفس السلوك، حتى يتعادلا في النتيجة. فإذا فرضنا أن أحد الطرفين أهدى الطرف الآخر هدية ثمينة في مناسبة خاصة، فإن الطرف الأول يظل ينتظر رد الهدية بمثلها - في حالة التباري - في مناسبته الخاصة هو، مما يحيل العلاقة الزوجية إلى ما يشبه علاقة العمل.

ولا يكون الأمر هكذا في مسألة الهدايا، وإنما يتجاوز ذلك إلى مسألة الواجبات، فالزوجان اللذان يعملان مثلاً، سيحسب كل منهما ما يقدمه للمنزل، في مقابل ما يقدمه الآخر، كما سيحسبان العمل في المنزل، وسيسعيان إلى التعادل فيه، لدرجة أن أحدهما قد يرفض غسل الأطباق ذات ليلة؛ لأن الآخر لم يفعل.

ويشير د. ايميري إلى أن وصول الزواج إلى هذه الحالة، يفقده خصوصيته العاطفية التي تُبنى السعادة فيه من خلالها. ومن أجل تجنب المرارة التي تولدها هذه الحالة، يقدم د. ايميري بعض النصائح، التي تعدل وضع

الزواج، وتعطيه نكهة من السعادة تحقق لها النجاح المطلوب.

ـ لا يجوز لطرف أن يفعل شيئًا للطرف الآخر، وهو يتوقع منه بديلاً مماثلاً، إن ما يفعله طرف، إنما يصدر عن عاطفة، ولذلك فإن عليه ألا ينتظر استجابة مماثلة من الطرف الثاني، كل مرة.

ـ لا يجوز من طرف أن يضغط على الطرف الآخر من أجل القيام بأعمال لا يريد أن يقوم بها.

ـ لا يجوز لطرف أن يقوم بعمل، لمجرد الوصول إلى حالة التعادل؛ لأن الإقدام على ذلك يحول الحياة الزوجية إلى نوع من العمل، أو الصفقة، ويفقدها صفة الحب الحقيقي التي يجب أن تقوم عليها.

ويؤكد د. ايميري، مؤلف كتاب «التخلص السريع من الضغوط العاطفية» أنه مهما كانت نتائج التباري في الحياة الزوجية، فإن الجميع ينتهون خاسرين؛ لأن المباريات في مثل هذه العلاقة تحول الزواج إلى نوع من تصارع القوى فيضيع الزواج ذاته[1] .

هل رأيت عزيزتي حواء، إلى دقة تحليل الدكتور ايميري، وإلى سداد نصائحه الثلاث؟!

ولكن، إذا كانت (روح التباري) التي أشار إليها الدكتور منتشرة في الأسرة الغربية، وفي كثير من الأسر الشرقية التي لا تتمثل الإسلام، فإنها غائبة عن الأسرة المسلمة الحقة.. لماذا؟

(١) القبس ١٧/ ١١/ ١٩٨٦.

لأن الإسلام يعلمنا أن نعطي دون أن ننتظر مقابلاً من الطرف الآخر، وبخاصة إذا كان العطاء من الزوج لزوجته، أو من الزوجة لزوجها.

إن الإسلام يعلمنا أن كل ما يعطيه الزوج ويقدمه لزوجته صدقة. والصدقة أجرها عند الله، ومن ثم ليس للزوج أن ينتظر من زوجته أن ترد له مقابلاً لما أعطاه.. وإلا ذهب أجر الصدقة.

يعلمنا الإسلام أنه حتى اللقمة يضعها الزوج في فم زوجته.. هي صدقة. وأن الزوج ملزم بالإنفاق على زوجته وبيته دون أن ينتظر إنفاقًا مقابله. وأن الزوج مدعو لمساعدة زوجته في أعمال البيت.. أسوة بما كان يفعل عليه الصلاة والسلام.. دون أن تكون الزوجة مدعوة لمساعدة زوجها خارج البيت.

«انتظار المقابل» و«روح التباري».. لا مكان لهما في الأسرة المسلمة.. وهذا تفوق جديد على الأسرة الغربية.

* * *

من يكون؟

اقرئي معي هذا الكلام الذي صرحت به سيدة - سأذكر لك اسمها في نهاية الرسالة - إلى جريدة «الأنباء» الكويتية، ونشر في لقاء أجرته معها في العدد الصادر يوم الجمعة الموافق ٢٤/ ٦/ ١٩٨٣م.

تقول هذه السيدة: «كربة بيت فإنني أقضي معظم وقتي في البيت. وكامرأة فإنني أرى أن المرأة يجب أن تعطي كل وقتها لبيتها وزوجها وأولادها.. أي يجب أن تعطي منزلها الاهتمام الأول، ويجب ألا تغادر منزلها إذا كان منزلها في حاجة ماسة لها».

وتضيف:

«ولا زلت أذكر حديثًا لأحد رجال الدين ردًا على سؤال: إذا كان مصير المرأة بيتها فلماذا إذن تتعلم؟ لقد قال يومها لصاحبة السؤال: إذا علمت رجلاً فإنك تعلمين فردًا، وإذا علمت امرأة فأنت تعلّمين جيلاً أو أمة».

ثم تقول:

«وأنا مسرورة جدًا من بقائي في البيت إلى جانب زوجي وأطفالي، حتى في الأيام العصيبة - وأقصد الأيام التي كنا في حاجة فيها إلى المال - لم يطلب

مني زوجي أن أعمل، وكانت فلسفته أننا نستطيع أن نوفر احتياجاتنا الضرورية . . لكننا لا نستطيع أن نربي أولادنا إذا أفلت الزمام من بين أيدينا» .

وتقول أخيرًا:

«أشعر بالأسف على هؤلاء اللاتي يتركن أطفالهن ويخرجن للعمل لجمع المال . . تاركين حياة الأسرة السعيدة مع أبنائهن .

والآن . . عزيزتي حواء . أريد أن أسألك : من تراها تكون هذه السيدة؟ من زوجها؟ وماذا يعمل؟ أيكون شيخًا مسلمًا نجح في إقناع زوجته بهذه الأفكار المحافظة؟ وليقل من يشاء : بهذه الأفكار «الرجعية»!

أم يكون رجلاً أميًا متسلطًا . . لا يؤمن بدور المرأة خارج المنزل . . فلم يطلب منها العمل خارج البيت . . على الرغم من مرور أيام كانا فيها في حاجة إلى المال؟!

أم أنه رجل شرقي أناني . . يريد أن تتفرغ زوجته له ولأولاده . . فأقنعها بأنه على المرأة أن تعطي كل وقتها لبيتها وزوجها وأولادها، و «ألا تغادر منزلها إذا كان منزلها في حاجة ماسة لها»؟!

من تراه يكون زوجها؟

إنه رائد الفضاء الأمريكي د . دون ليزي ليند، القائد الثاني للمركبة الفضائية «أبوللو» . وزوجته تدعى «كاتلين ليند» !!

ولعل الأمر لا يحتاج إلى أي تعليق .

* * *

احذري الطلاق

«عمري أحد عشر عامًا، وقد انفصل والداي بالطلاق قبل سنوات، وعشت في رعاية أبي الذي كان لي أكثر من أم، واهتم بشؤوني كلها، وأحاطني بكل أسباب الراحة والسعادة.. لذلك، أرجوكم إدراج اسم أبي، روبرت ووكر، في لائحة الأسماء المشتركة في مسابقة الأم المثالية.

وقرأت اللجنة المشرفة على اختيار الأم المثالية لولاية جورجيا الأمريكية رسالة هذه الطفلة التي تختلف عن آلاف الرسائل الأخرى. فقد رشح الجميع أمهاتهم.. إلا هي!

واستفسرت اللجنة عن روبرت ووكر، وعرفت أنه يعمل خبيرا في الإلكترونيات، وأنه بعد انفصاله عن زوجته حصل على حق رعاية ابنتهما الوحيدة، فكان لها نعم الأب والأم والصديق.

واتخذت اللجنة قرارها بمنح المواطن الأمريكي روبرت ووكر لقب الأم المثالية في جورجيا للعام ١٩٨٦م.

ما رأيك، عزيزتي حواء، في هذا الخبر الذي نشرته مجلة «الوطن العربي» في عددها رقم ٤٨٧؟ ما تقولين في هذا الأب الذي نجح في تعويض ابنته عن حنان أمها المفقود؟ ألا ترينه يستحق أن يكون «أمًا مثالية» لطفلته الصغيرة؟

مهما كان رأيك ـ عزيزتي ـ فإني أريد أن أشير إلى مئات آلاف الأطفال الآخرين. . الذين حُرموا حنان أمهاتهم بسبب الطلاق. . ولكن دون أن يعوضهم آباؤهم عن ذلك الحنان المفقود؟

فـ «روبرت ووكر». . حالة نادرة. . أمثالها قليل.

ومن ثم، فإن عليك ـ عزيزتي ـ أن تفكري كثيرًا بأطفالك قبل أن تطلبي من زوجك الطلاق، أو قبل أن تقدمي على أفعال تكون سببًا في الطلاق!

فكّري كثيراً بحال هؤلاء الأطفال الصغار الذين لا ذنب لهم!!

فكّري بمصيرهم الذي لن يخرج عما يلي:

ـ إما أن تحتفظي بهم وتتزوجي ويحل زوجك محل أبيهم.

ـ وإما أن تتركيهم لزوجك فيتزوج وتحل زوجته محل أمهم.

ـ وإما أن تحتفظي بهم دون أن تتزوجي فينشأ أطفالك شبه أيتام.

ـ وإما أن تتركيهم لزوجك فلا يتزوج. . ولكنه من الصعب جدًا أن يكون مثل «روبرت ووكر»!

هذا هو حال الطلاق. . أبغض الحلال إلى الله. . فاحذريه.

* * *

صيحة تحذير.. من بريطانيا

ماري وايت هاوس امرأة بريطانية ذات مركز مرموق في المجتمع البريطاني في لندن، وهي ترأس جمعية تعرف باسم رابطة المستمعين والمشاهدين، هذه المرأة قالت في تصريح لها إن موجة الانحلال الخلقي والعنف في برامج التلفزيون والإذاعة هي من الآفات الاجتماعية الأكثر خطورة من مشاكل الجوع التي تجتاح بعض بلدان العالم في الوقت الحاضر.

وقالت «وايت هاوس» أيضًا: إن موجة الانحطاط الخلقي المتفشي في كل مكان يسبب أخطارًا لا يحسب لها حساب في المجتمعات الحديثة التي تهتم بمشاكل الجوع وحاجة البطون فقط، دون مراعاة إصلاح النفوس والحد من البرامج الفاسدة في الإذاعة والتلفزيون.

ودعت «وايت هاوس» الحكومة البريطانية لبذل الجهد لإنقاذ المجتمع البريطاني من كارثة أخلاقية وثقافية محققة.

جاءت كلمة «وايت هاوس» هذه في رسالة بعثت بها إلى وزير الداخلية البريطاني، دوغلاس هيرد تحثه فيها على وضع لائحة جديدة تنظف التلفزيون والإذاعة البريطانية من برامج التحلل والفساد التي وصفتها بأنها أخطر على المجتمع من مشاكل الجوع.

نعم، عزيزتي حواء، فكثيراً ما تكون مشكلات التحلل والفساد أخطر

من مشكلات الجوع . . ذلك أن ضرر الجوع لا يغادر صاحبه الجائع ، في الأغلب ، بينما ضرر الفساد يتجاوز صاحبه إلى محيط أوسع من الناس .

ومما يزيد التصريح السابق قيمة ؛ أنه صدر عن امرأة ، امرأة تدرك مدى خطورة تفشي الفساد في المجتمع ، وانتشار التحلل بين أفراده ، ولم يصدر عن رجل فيقال : إنه يريد أن يعيد المرأة إلى البيت بزعم المحافظة على الأخلاق !

على أي حال . . فهذه صيحة تحذير . . لئن كانت تتحدث عن الفساد في الغرب وخطره . . لهي ، أو مثلها ، يحتاج الشرق إليها اليوم . . !

* * *

يتقدم الزمان.. وتتأخر المرأة..!

«نيل كينوك» زعيم حزب العمال البريطاني المعارض قال في تصريح له لمجلة «المرأة» التي تصدر في لندن: إنه يشعر بالغبطة والرضا؛ لأنه ليس امرأة؛ وذلك لأنها في بريطانيا هي الأفقر والأكثر تعرضًا للتمييز بسبب الجنس!

وأضاف كينوك: إنه رغم أن ابنته الشابة ذات مواهب أفضل بكثير من مواهب ابنه الشاب إلا أنها كثيرًا ما كانت تلاقي الإذلال والمهانة في المنزل لا لشيء إلا لكونها أنثى!.

وقال زعيم العمل البريطاني أيضًا: «إن حظ المرأة في بريطانيا من التعليم والتدريب والوظائف يثير في النفس الحزن والرثاء. كما أن المرأة تعاني من الضرب والإهانة من قبل الزوج وغير الزوج. وأضاف كينوك قائلاً: إن من أهداف حكومتي، المستقبلية إنصاف المرأة في المقام الأول، ولسوف أبدآ بابنتي بأن أجعلها على قدم المساواة مع ابني».

عزيزتي حواء:

هذه شهادة من زعيم حزب غربي.. عن حال المرأة في بلاده.. في الثمانينات من القرن العشرين!

ـ «تلاقي الإذلال والمهانة في المنزل . . لا لشيء . . إلا لكونها أنثى»!

ـ« تعاني من الضرب والإهانة من قبل الزوج وغير الزوج»!

ـ «وهي الأفقر والأكثر تعرضًا للتمييز بسبب الجنس»!

ولهذا كله . . فإن زعيم الحزب . . «نيل كينوك» يشعر بالغبطة والرضا . . لأنه ليس امرأة!!

أختنا :

عودي معنا . . أربعة عشر قرنًا . . واسمعي :

أخرج البزار عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه، وجاءت بنت له فأجلسها بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : «ألا سويت بينهم»؟

أي بين الأطفال الذكور والأطفال الإناث .

والأحاديث التي تدعو إلى إكرام المرأة . . تعرفينها .

ومكانة المرأة في الإسلام لا تجهلينها .

فقارني بين المرأة البريطانية في الثمانينات من القرن الميلادي العشرين . . وبين المرأة المسلمة في القرن الهجري الأول . .

وانظري كم تأخرت المرأة . . مع تقدم الزمان!!

* * *

الوزيرة الفرنسية ومزاعم الحرية

في عام **١٩٧٥م** نشرت الصحف الفرنسية الخبر التالي :

«عينت فرنسا مدام فرانسواز جيزد وزيرة لشؤون المرأة. وكانت هذه الوزيرة رئيسة تحرير إحدى المجلات الفرنسية. وأعلنت الوزيرة أنها جاءت لتصلح حال المرأة في فرنسا، وقالت : «إن المرأة لا تستحق الحرية، إن نصيبها من الدنيا هو ما أخذته، بل إنها أخذت أكثر مما تستحق. إن المرأة تأخرت عن الرجل. إن الرجل يجب أن يتقدم عليها، فهو أكثر منها امتيازًا وعظمة».

وقد علق الرئيس الفرنسي ديستان على ما قالته الوزيرة الفرنسية فقال : «لقد كشفت الوزيرة النقاب عن الحقوق المزعومة للمرأة التي طرقت جميع أبواب الرجل حتى أفسد ذلك المجتمع الفرنسي، وفكك عرى الأسرة فيه».

ونحن مع الرئيس الفرنسي فيما قاله، ومع الوزيرة الفرنسية فيما قالته، إلا قولها : إن المرأة هناك أخذت أكثر مما تستحق، وإن الرجل أكثر منها امتيازًا وعظمة. فالمرأة الفرنسية لم تأخذ سوى وهم الحرية والمساواة، وحُرمت حقوقًا كثيرة كانت تستحقها ولم تُعْطها. ثم إن تفوق الرجل في أعمال كثيرة لا يعني أبدًا أنه أكثر منها امتيازًا وعظمة. !

* * *

من يبلغ «بروك شيلدز» ؟

«بروك شيلدز»، الممثلة البالغة من العمر ٢١ عامًا.. حتى تاريخ كتابة هذه الرسالة في (٢٩/ ١٢/ ١٩٨٦م)، صرحت لصحيفة لندنية قائلة: إنه ليس صحيحًا أنها أضربت عن الزواج.. بل إن السبب الذي يجعلها زاهدة في هذا الأمر هو خشيتها من عدم وجود الرجل المناسب الذي يوفر لها الحب العظيم الذي تجده في كنف والدتها «تيري» عارضة الأزياء السابقة والمطلقة حاليًا.

وتقول «بروك شيلدز»: إنها وجهت لوالدتها مرارًا سؤالاً يحيرها كثيرًا وهو: هل يا ترى أجد الرجل الذي يحبني كما تحبينني أنت؟

وتجيبها والدتها قائلة: «ليس المهم قوة هذا الحب.. بل المهم أن حب الأم لا يعادله حب!»

ذكّرني هذا الخبر الذي قرأته اليوم.. بقصة فتاة نمساوية.. سافرت إلى ميونخ في ألمانيا الغربية، واتجهت إلى المركز الإسلامي هناك، وتبرعت للمركز بعشرة آلاف مارك! فدهش الإخوة هناك لهذا التبرع الذي تقدمت به فتاة لا تدين بالإسلام! لماذا تتبرع بهذا المبلغ إلى مركز يدعو إلى دين لا تعتنقه.. في الوقت الذي تنتشر فيه الكنائس والجمعيات الخيرية النصرانية؟

لم تستمر دهشة الإخوة هناك طويلاً، فقد أبدت الفتاة رغبتها في الزواج من شاب مسلم يرشحه المركز لها!

وإذا كانت رغبة الفتاة بالزواج من مسلم قد فسّرت الأمر بعض التفسير.. إلا أنها زادته غرابة ودهشة.

ثم فهم الإخوة الحقيقة، وعرفوا سر رغبة الفتاة في الزواج من شاب مسلم على الرغم من أنها ما تزال على دينها:

ليس لهذه الفتاة في هذه الدنيا سوى أم تعيش معها، تحبها ولا تريد أن تتخلى عنها. لكنها في الوقت نفسه ترغب في الزواج، مثل غيرها من الفتيات، وكانت تعلم أن أي شاب لن يرضى أن تعيش أمها معهما إذا تزوجها.

وكانت أمها تعلم برغبة ابنتها في الزواج، وتدرك في الوقت نفسه، مثل ابنتها، أنها لابد أن تفارقها إذا تزوجت.

ويبدو أنها كانت تعرف عن الإسلام بعض مُثُله وقيمه من أسرٍ مسلمة كانت تقيم في النمسا، وكيف أن الإسلام يحث على البر بالأبوين، والإحسان إليهما، ومن ثمَّ فإن المسلم الذي ستتزوجه.. سيحرص على أن تبرّ زوجته بأمها وأن تقيم معهما. فقالت لابنتها: ألا تريدين الزواج؟ وأجابتها ابنتها: أنا لا أريد أن أتركك. فقالت الأم: لكنك تستطيعين الزواج والبقاء معي! وسألت الفتاة: كيف يكون هذا؟ قالت الأم: تتزوجين مسلماً! وشرحت الأم لابنتها كل شيء.

فما كان من الفتاة التي ملأت الفرحة قلبها، إلا أن سافرت إلى ميونخ،

وقصدت المركز الإسلامي الشهير . . وكان ما كان .

ترى . . من يبلغ الممثلة «بوك شيلدز» . . أنها تستطيع أن تتزوج مع احتفاظها بحب أمها العظيم . . وتضيف إليه حب زوجها . . المسلم .

• • •

سيدة يوغسلافية يبكيها القرآن

أثر القرآن في النفوس غريب، وفعله في القلوب عجيب. والأعجب والأغرب - وإن كان لا عجب ولا غرابة فالقرآن كلام الله - أن يثير القرآن مشاعر امرأة أعجمية، ويجعل عينيها تفيضان بالدمع، وهي لا تعرف من العربية شيئًا.

يحكي سيد قطب تلك الحكاية التي عاشها على ظهر سفينة تتجه به إلى أمريكا. فنقرأ معًا ما يقول - رحمه الله -:

«كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام، على ظهر سفينة مصرية، تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب، ليس فيهم مسلم، وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة.

وقد يسر لنا قائد السفينة - وكان إنجليزيًا - أن نقيم صلاتنا، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها - وكلهم نوبيون مسلمون أن يصلي منهم معنا من لا يكون في العمل وقت الصلاة، وقد فرحوا بهذا فرحًا شديدًا؛ إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة على ظهر السفينة. وقمت - يقول سيد قطب - بخطبة الجمعة وإقامة الصلاة والركاب الأجانب - معظمهم - متحلقون يرقبون

صلاتنا.

وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح «القداس».. فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا. ولكن سيدة من هذا الحشد ـ عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية هاربة من جحيم الشيوعية كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها. جاءت تشد على أيدينا بحرارة وتقول: ـ بالإنجليزية ـ: إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه، وما فيها من خشوع ونظام وروح.

وليس هذا موضوع الشاهد في القصة.. ولكن ذلك كان في قولها: أية لغة هذه التي كانت يتحدث بها «قسيسكم»، فهي لا تتصور أن يقيم الصلاة إلا قسيس أو رجل دين. وقد صححنا لها هذا الفهم وأجبناها، فقالت:

إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهم منها حرفًا، ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: ولكن ليس هذا الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه، إن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن الإمام كانت ترد في أثناء كلامه فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه، نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعًا.. هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في نفسي رعشة وقشعريرة، إنها شيء آخر، كما لو كان الإمام مملوءًا من روح القدس.

وتفكرنا قليلاً، ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة، وفي أثناء الصلاة، وكانت ـ مع ذلك ـ مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة من سيدة لا تفهم مما نقول شيئًا.

* * *

زوجك المدخن

يقول الباحثون الطبيون في الولايات المتحدة: إن زوجات المدخنين عرضة للإصابة بالأزمات القلبية القاتلة أكثر من غيرهن من النساء اللاتي لا يدخن أزواجهن السجائر!

وقال الباحثون أيضًا: إنه قد حان الوقت الذي يستطيع فيه الموظفون غير المدخنين رفع قضايا ضد أصحاب العمل بسبب وجود مدخنين في وسطهم في محيط العمل!.

وكانت هذه الدراسة قد أجريت في «سولت ليك سيتي» وشملت أكثر من ١٤ ألف رجل وامرأة، وتمت تحت إشراف جامعة «يوتا» بالولايات المتحدة.

وقالت الدراسة أيضًا: إن احتمال تعرض زوجات المدخنين لأزمات قلبية تتضاعف ثلاث مرات عن الحالة التي يكون فيها أزواجهن من غير المدخنين عرضة للإصابة بالأزمات القلبية القاتلة أكثر من غيرهن من النساء اللاتي لا يدخن أزواجهن السجائر!

وقال الباحثون أيضًا: إنه قد حان الوقت الذي يستطيع فيه الموظفون غير المدخنين رفع قضايا ضد أصحاب العمل بسبب وجود مدخنين في وسطهم

في محيط العمل!

وكانت هذه الدراسة قد أجريت في «سولت ليك سيتي» وشملت أكثر من ١٤ ألف رجل وامرأة، وتمت تحت إشراف جامعة «يوتا» بالولايات المتحدة.

وقالت الدراسة أيضًا: إن احتمال تعرض زوجات المدخنين لأزمات قلبية تتضاعف ثلاث مرات عن الحالة التي يكون فيها أزواجهن من غير المدخنين.

وقال د. مايكل مارتن والذي شارك في هذه الدراسة: إن غير المدخنين أصبحوا الآن في أمس الحاجة للحماية من الأخطار الصحية التي قد تلحق بهم بسبب وجود مدخنين بينهم سواء كانوا أزواجًا أو شركاء في محيط العمل.

أختنا حواء:

ماذا يعني هذا؟

في مقدمة ما تعنيه هذه الدراسة أن زوجك ليس حرًا تمامًا في ممارسة التدخين! فضرر التدخين الآن ليس قاصرًا عليه.. إنما هو يشملك أيضًا حينما يدخن في البيت، ويشمل أولادكما أيضًا. لقد أصبح من حقك إذن أن تمنعيه من التدخين. إذا كان سابقًا يقول لك: إنها نفسه.. وإنه حرّ فيها.. حينما كنت تنصحينه بأن التدخين ضار بصحته، فإنه لن يستطيع أن يقول لك الآن: إنه حرّ في إلحاق الضرر بصحتك وصحة أولادكما..!

* * *

أزواج مستبدون

بعض الأزواج يحسبون أن رجولتهم في البيت لا تظهر إلا باستبداد مطلق بزوجاتهم. فلا يحق لزوجته أن تبدي رأيًا، أو تقدم مشورة، أو تراجع في أمر.

صحيح أن الرجل هو رب البيت، وهو ربان سفينة الزواج والأسرة، لكن هذا لا يعني أبدًا أن تغلق الزوجة فمها، وتلزم الصمت، فلا تقترح على زوجها مشروعًا، أو تنبهه إلى تقصير في عبادة، أو تذكره بنسيان حق من الحقوق.

لقد كان الرسول ﷺ يسمع آراء زوجاته جميعًا، ويقبل أن يراجعنه فيما لا يرضين به، فلا يسخطه ذلك، حتى أصبحت سائر النساء يقتدين بزوجاته عليه السلام.

وفي حديث لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «صحت على امرأتي، فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني. فقالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه».

* * *

المرأة والبطالة

كانت تلك المحاضرة، في إحدى الجامعات الأمريكية حلقة بحث يطرح فيها المحاضر مشكلة ويترك لطلبته إيجاد الحلول المناسبة لها.

المشكلة التي طرحها الأستاذ المحاضر في تلك الحلقة كانت «البطالة». . المشكلة الاقتصادية الاجتماعية التي تشكو منها وتعاني كثيراً المجتمعات الأمريكية والأوروبية في السنوات الأخيرة.

شارك عدد من الطلبة في تقديم حلول مختلفة، منهم من قال: إن افتتاح مزيد من المصانع والمشاريع يمكنه أن يستوعب العاطلين عن العمل أو أكثرهم، ومنهم من قال: إن تأميم جميع الشركات والمصانع وجعلها تابعة للدولة. . يوفر فرصًا للعمل حين تقوم الدولة بتوزيع العمل وتنظيمه. بعضهم رأى الحل في تخفيض ساعات العمل وزيادة أيام الإجازة الأسبوعية. . ما يقتضي تعيين مزيد من العاملين لإنجاز العمل.

كان بين الطلبة مسلم من الكويت، يستمع إلى ما يطرحه زملاؤه من حلول لمشكلة البطالة. رفع يده بعد أن أنهى من أراد من زملائه تقديم الحلول. دعاه الأستاذ المحاضر لعرض رأيه في الحلول المناسبة لمشلكة البطالة.

توجه الطالب الكويتي إلى اللوح ورسم ثلاث دوائر، كتب داخل إحداها «رجال عاملون» وفي الأخرى «نساء عاملات» وفي الثالثة «رجال عاطلون»

وصار يشرح فيقول: **الحل هو في أن ينتقل «الرجال العاطلون» إلى دائرة «النساء العاملات».. وتنتقل «النساء العاملات» إلى بيوتهن لتربية أطفالهن ورعاية أزواجهن! وأضاف الطالب: وبهذا نكون قد ألغينا البطالة وحفظنا المجتمع من أمراض خطيرة معظمها ناتج عن تصدع الأسر.. وغياب الأمهات عن البيوت!!**

ختم الطالب شرحه البسيط، الواضح.. والموجز بقوله: يبقى أن أذكر أن هذا الحل قرره الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا.

نعم أكثر من اثني عشر مليون عاطل عن العمل في أوروبا الغربية وحدها، ومئات آلاف الجرائم التي ترتكب فيها سنويًا، يمكن أن تتراجع تراجعًا كبيرًا إذا ضمنا عودة المرأة إلى بيتها.

يقول الفيلسوف الاقتصادي «جول سيمون» في مجلة المجلات (مجلد ١٧):

«النساء قد صرن الآن نسّاجات وطباعات.. وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها، وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات، ولكنهن في مقابل ذلك قد قوضن دعائم أسرهن تقويضًا، نعم.. إن الرجل صار يستفيد من كسب امرأته، ولكن بإزاء ذلك قلّ كسبه لمزاحمتها له في عمله. وهناك نساء أرقى من هؤلاء يشتغلن بمسك الدفاتر، وفي مجالات التجارة ويستخدمن في الحكومة في وظيفة التعليم، وبينهن عدد كبير في التلغرافات والسكك الحديدية، وبنك فرنسا، والكريدي ليونيه، ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من أسرهن سلخًا».

ويقول أوغست كونت في كتابه «النظام السياسي» :

«يجب أن تكون الحياة النسوية منزلية على قدر الإمكان. ويجب تخليصها من كل عمل خارجي، ليمكنها أن تحقق وظيفتها الحيوية كما يرام».

ثم يقول: «وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة هذا الأمر المنافي للسنن الطبيعية، فإن النساء بمزاحمتهن للرجال صار بعضهن عالة على المجتمع، لا يجدن ما يشتغلن به، ولو تمادى الحال على هذا المنوال لنشأ منه خلل اجتماعي عظيم الشأن».

وقال جون سيمون في مجلة المجلات الفرنسية :

«المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي عمل عامل بسيط، ولكنها لا تؤدي عمل امرأة».

هذا هو العلاج الذي يجب أن تنتبه إليه المجتمعات اليوم. إن عودة المرأة ـ عامة ـ إلى بيتها ذو آثار اقتصادية عظيمة: تخفيف عظيم لمشكلة البطالة ـ توفير لملايين تنفق بسبب جرائم وانحرافات يرتكبها أناس حرموا التربية البيتية بعد أن خرجت المرأة من بيتها.

* * *

امسحوا الغبار عن فطرتها

مهما حاولوا أن يغيروا منك. وفي طبيعتك وفي سلوكك. فإنهم لا يمكن أن ينجحوا في تغيير فطرتك التي فطرك الله سبحانه وتعالى عليها.

أخرجوك من البيت، دفعوا بك لمزاحمة الرجال في المكاتب والأسواق، وزينوا لك أعمال الرجل، وأفهموك أنك لا يمكن أن تنالي قدرك ومكانتك إلا إذا فعلت هذا كله.. وسخّروا لهذا وسائلهم المختلفة.. من ثقافة وإعلام، فأصدروا المجلات والكتب التي تدعو إلى ما يسمى «تحرير المرأة».

وأنتجوا الأفلام والمسلسلات تصور المرأة التي لزمت البيت بأنها مسلوبة الحرية، والمرأة التي انصرفت إلى تربية أبنائها بأنها محرومة من حقوقها، والمرأة التي اهتمت بشؤون زوجها بأنها مغلوبة على أمرها.

ونجحوا بتغيير عقول كثير من النساء، وأدخلوا فيها قناعات بهذه الأفكار.. لكنهم لم ينجحوا ـ كما قلت ـ في تغيير فطرتك، فعلى الرغم من أن كثيراً من النساء استجبن لتلك الدعوات، وجربنها سنوات طويلة، إلا أنهن لم يشعرن بسعادة حقيقية، وحُرمن أنوثتهن، وفقدن الاستقرار النفسي والبيتي، وبدأت صرخاتهن تعلو في كل مكان، وصرن يشكين من نقمة التحرر ويلعنّ الداعين إليه، ويبدين شوقهن للعودة إلى البيت، والاستقرار فيه، تحت ظل رجل يوفر للمرأة ما تحتاجه، ويكفيها مشقة العمل والكسب، ووسط أولاد توفر لهم الحب والحنان.. وتحيطهم بالرعاية والاهتمام.

ولنبدأ بأسماء لامعة شهيرة لنساء غربيات تعرفينهن. وتقرئين أخبارهن؛ إذ تكاد لا تخلو مجلة أو صحيفة من خبر عنهن أو صورة لهن.

هل عرفت من أعني؟

أعني الممثلات اللواتي تشاهدينهن في فيلم سينمائي أو مسلسل تليفزيوني، ترنو إليهن الأنظار، وتتابعهن كاميرات المصورين، وترصد أخبارهن أقلام الصحفيين.

الممثلات اللواتي يحسدهن كثير من النساء على جمالهن، وثرائهن، وإعجاب الرجال بهن.

هؤلاء النساء.. هل حصلن على السعادة؟ هل وفر لهن المال المناسب بين أيديهن الطمأنينة؟ هل كفل لهن الجمال الذي يظهرن به الرضا، هل جلبت لهن شهرتهن حب الناس الحقيقي؟

لن أجيب أنا عن هذه الأسئلة. سأتركها للممثلات أنفسهن.. يشهدن بألسنتهن على حقيقة حالهن، ويُفْصحن عن مكنون مشاعرهن.

ولنبدأ - عزيزتي - بالممثلة «سيلفيا كريستايل» وأشهر أفلامها سلسلة أفلام «إيمانويل» التي جلبت لها ما لا يحد من الشهرة والمال. وأكاد لا أجد صحيفة أو مجلة عربية أو غربية، إلا وكتبت عنها ونشرت صوراً لها.

اقرئي معي يا حواء ما قالته هذه الممثلة بعد تجربتها السينمائية الطويلة. تقول: «كنت أعتقد أني امرأة شديدة وقوية أستطيع أن أغير العالم الذي أعيش فيه.. وكان الحماس الذي أشعر به يغرقني في عالم من الخيال. لكني الآن أدرك درجة السذاجة التي كنت عليها».

هل هذه الشهادة من سيلفيا تكفي؟

لا . اسمعيها ماذا تقول عن الشهرة التي حققتها وعن الشخصية التي أرغمت عليها : «لقد عشت عشر سنوات مجنونة اتسمت بالتجاوزات والإفراط . وفي تلك الفترة زالت كل أوهامي . والشهرة التي حققتها كانت مجرد صدفة وسوء فهم . أما الشخصية التي ألصقها بي الجمهور وأجهزة الإعلام . . فلم أكن أرغب فيها . لكن كل هذا حدث لي رغمًا عني» .

وبعبارات أكثر تحديدًا ووضوحًا تعلن أن الشهرة والمال لا يجلبان السعادة : «الشهرة والمال وغيرهما من المزايا لا تؤدي حتمًا إلى السعادة . أما في ما يتعلق بالمال فإنه يتبخر بسرعة» .

وها هي تفصح عن الأمومة الكامنة . الأمومة التي حاولت أن تتخلى عنها فلم تفلح . فتتحدث عن سلم الأولويات وتذكر أن ابنها «ارتير» هو اهتمامها الأول، وتقول : «وأنا ألوم نفسي كثيرًا ؛ لأني لم اهتم به كثيرًا . . فلقد قضى السنتين الأخيرتين عند والدتي . أما الآن فلقد قررت أن أستعيده مرة أخرى . وأرغب قبل أي شيء آخر في بناء علاقة حقيقية معه» .

أما الرجال الذين تحلم الفتاة بأن تكون مثار إعجابهم واهتمامهم ، فإن سيلفيا كريستايل ملّتهم بعد أن فقدت أنوثتها : «لقد سئمتهم ـ الرجال ـ جمعيًا ، فلم أعد أنتظر منهم شيئًا . ولدي الانطباع بأني فقدت أنوثتي تمامًا» .

ثم تقول : «في بعض الأيام . . تساورني الرغبة في أن أتخلى عن كل شيء وأبحر على سفينة شراعية بصحبة ابني ارتير . . ثم يكفي أن يمدحني أحد حتى أشعر بالدفء» .

ألا تلمحين الفطرة يا عزيزتي من خلال كلماتها: تريد أن تستقل بابنها في سفينة شراعية ولِمَ لا تكون السفينة الشراعية بيتًا، ويكون من يمدحها هو زوجها لتشعر بالدفء؟

ولنختم بكلماتها التي تعلن فيها ثباتها على موقفها الجديد، وقرارها برفض كل إغراءات المنتجين: «العالم يصرّ على أن أكون عارية.. وأنا أفضل الاحتفاظ بملابسي.. حتى لو انصرف عني رجال الإنتاج.. فلن أتراجع عن القرار الذي اتخذته».

* * *

متى تخاف المرأة؟..

حصر علماء النفس في الولايات المتحدة . . المخاوف الرئيسية التي تشغل بال المرأة الأمريكية .

أهم هذه المخاوف : «الخوف من الفقر» فالكثيرات يخشين ألا يتمكنّ من تأمين ضروريات الحياة . . كالطعام والملبس والمأوى . كما أن المرأة الأمريكية تخاف ألا تتمكن من إعالة نفسها عندما تشيخ فتضطر للاستعانة بالحكومة . ويقول الدكتور هارفي روبن : «**إن النساء يخشين الفقر أكثر من الرجال**» .

وتخاف المرأة الأمريكية من أن يرفضها من تحبه ، فالزوجات اللواتي أنفقن السنوات من أعمارهن لتربية أطفالهن . . يتحسسن حساسية خاصة من أن يتعرضن للرفض أو الهجر . كما أن النساء الكبيرات اللواتي يُطلَّقن بعد ٣٥ سنة من الزواج مثلاً . . ليست لهن وسيلة لكي يعلن أنفسهن .

ثم يأتي خوفها من فقدان الصحة . . فهي تخشى من أن ضياع صحتها سيجعلها تبدو كبيرة هرمة . . فضلاً عن أن فقدان صحتها سيحرمها من القدرة على رعاية أفراد عائلتها .

وأخيرًا يأتي الخوف من خسارة استحسان المجتمع . . فبعض النساء - في رأي الدكتور روبن - يشعرن بضرورة انتمائهن إلى المجتمع . . ويبذلن الكثير من الجهد حتى يكنّ مقبولات اجتماعيًا . . إلى درجة أن ينتهي بهن الأمر إلى

أن يسيطر عليهن القلق وتظل حياتهن غير متوازنة.

يقول الدكتور روبن بأن المرأة يمكنها أن تعوض عن فقدان جمالها بأن تصبح طاهية جيدة، أو ربة منزل مدبرة، أو أمًا مثالية.

وينصح الأطباء المرأة بأن تقلل من اعتمادها على آراء الآخرين، فعلى الرغم من أن معظم الناس يحتاجون إلى استحسان الآخرين.. إلا أنهم ليسوا بحاجة إلى استحسان كل إنسان.

ألا توافقين على أن المرأة المسلمة لا تشكو من هذه المخاوف جميعها؟ **فخوف الفقر.. وعدم تأمين ضروريات الحياة.. بعيد عن المرأة المسلمة..** التي يتحمل مسؤولية الإنفاق عليها زوجها.. أو أبوها.. أو أخوها.. أو ابنها. مهما بلغت من العمر.

والخوف من رفض الزوج أو هجره.. لا مكان له في نفس المرأة المسلمة كذلك. فالإسلام ينبه إلى أن كراهية الزوجة لا يعني أنها مصدر شر: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩].

يقول صاحب الظلال -رحمه الله-: «وهذه اللمسة الأخيرة في الآية، تعلق النفس بالله، وتهدئ من فورة الغضب، وتفثأ من حدة الكره، حتى يعاود الإنسان نفسه في هدوء، وحتى لا تكون العلاقة الزوجية ريشة في مهب الرياح، فهي مربوطة العُرى بالعروة الوثقى، العروة الدائمة العروة التي تربط بين قلب المؤمن و ربه، وهي أوثق العرى وأبقاها.

والإسلام الذي ينظر إلى البيت بوصفه سكنًا وأمنًا وسلامًا، وينظر إلى

العلاقة بين الزوجين بوصفها مودة ورحمة وأنسًا، ويقيم هذه الآصرة على الاختيار المطلق، كي تقوم على التجاوب والتعاطف والتحاب.. هو ذاته الذي يقول للأزواج: ﴿ **فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾.. كي يستأني بعقدة الزوجية فلا تفصم لأول خاطر، وكي يستمسك بعقدة الزوجية فلا تنفك لأول نزوة، وكي يحفظ لهذه المؤسسة الإنسانية الكبرى جديتها فلا يجعلها عرضة لنزوة العاطفة المتقلبة، وحماية الميل الطائر هنا وهناك..

وما أعظم قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لرجل أراد أن يطلق زوجته؛ لأنه لا يحبها: «**ويحك! ألم تُبنَ البيوت إلا على الحب. فأين الرعاية وأين التذمم؟**».

وما أتفه الكلام الرخيص الذي نعق به المتحذلقون باسم «الحب» وهم يعنون به نزوة العاطفة المتقلبة، ويبيحون باسمه ـ لا انفصال الزوجين وتحطيم المؤسسة الزوجية ـ بل خيانة الزوجة لزوجها! أليست لا تحبه؟! وخيانة الزوج لزوجته! أليس أنه لا يحبها؟!

وما يهجس في هذه النفوس التافهة الصغيرة.. معنى أكبر من نزوة العاطفة الصغيرة المتقلبة، ونزوة الميل الحيواني المسعور. ومن المؤكد أنه لا يخطر لهم أن في الحياة من المروءة والنبل والتجمل والاحتمال، ما هو أكبر وأعظم من هذا الذي يتشدقون به في تصور هابط هزيل..

ومن المؤكد طبعًا أنه لا يخطر لهم خاطر.. الله.. فهم بعيدون عنه في جاهليتهم المزوّقة! فما تستشعر قلوبهم ما يقوله الله للمؤمنين: ﴿ **فَإِن**

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ .

إن العقيدة الإيمانية هي وحدها التي ترفع النفوس . وترفع الاهتمامات، وترفع الحياة الإنسانية عن نزوة البهيمة، وطمح التاجر، وتفاهة الفارغ!» .

هل بعد هذا ـ عزيزتي حواء ـ تخاف المرأة؟!

هل تخاف إذا كان زوجها مسلمًا مطبقًا . . يستشعر قلبه ما يقوله تعالى له في تلك الآية الكريمة؟!

* * *

المرأة..و..التدخين

التدخين يقتل ٣٣ ألف امرأة بريطانية كل عام، لكن المرأة ـ رغم ذلك ـ تجد صعوبة أكثر من الرجال في الإقلاع عن التدخين.. هذا ما تنتهي إليه خبيرة صحية في كتاب صدر لها أخيراً بعنوان: «قهر قتلة السيدات ـ المرأة والتدخين».

تقول المؤلفة، الدكتورة بوبي جاكوبسون: إن النساء يشكلن تقريبًا نصف عدد المدخنين في بريطانيا البالغ ١٤ مليون مدخن، وإن عدد الفتيات يتساوى تقريبًا مع عدد الصبية الذين يقعون ضحايا لهذه العادة السيئة.

وترى المؤلفة أن المسؤول وراء انتشار التدخين بين النساء هو الضغوط الشديدة التي تتعرض لها المرأة وتحتاج إلى الموازنة بين حاجتها للاحتفاظ بوظيفتها والتزاماتها تجاه بيتها، فضلاً عن حاجتها للطاقة اللازمة لدعم زوجها وجدانيًا.

ويذكر الكتاب أن الرجل قد فهم ووعى الرسالة التي تبعث بها الحملات المناهضة للتدخين، لكن المرأة البريطانية لم تع الرسالة بعد.

عزيزتي.. حواء:

هل قرأت ما قالته مؤلفة الكتاب السابق.. عن أسباب انتشار التدخين بين النساء؟

اقرئيها معنا مرة ثانية :

- الضغوط الشديدة التي تتعرض لها المرأة بسبب اضطرارها إلى الموازنة بين حاجتها للاحتفاظ بوظيفتها . . والتزامها تجاه بيتها .

- حاجتها للطاقة اللازمة لدعم زوجها وجدانيًا .

هل تشكو المرأة في الإسلام مما تشكو منه وتعاني المرأة البريطانية . . ولا تختلف عنها المرأة الغربية كثيراً؟

بالنسبة إلى الضغوط الشديدة بسبب موازنة المرأة بين حاجاتها إلى الوظيفة والتزامها تجاه بيتها . . فالمرأة المسلمة لا تشكو منها . . لأنها غير مسؤولة عن الإنفاق على البيت . . أو حتى على نفسها . . مسؤوليتها تنحصر في رعاية أفراد أسرتها ، وهذا يريحها نفسيًا ؛ لأنه يوحِّد اهتماماتها ويحصرها في اتجاه واحد . . ويغنيها عن التوزع . . وعن الموازنة .

أما حاجتها للطاقة اللازمة لدعم زوجها وجدانيًا . . فيخفف منه أن الزوج في الإسلام ملزم أيضًا بدعم زوجته وجدانيًا . . وما أكثر ما في سنة الرسول ﷺ وسيرته . . من أحاديث شريفة وأمثلة نبوية تؤكد هذه الحقيقة وتدعو إليها .

ليس غريبًا بعد هذا . . أن يندر التدخين بين المسلمات المتدينات . . إلى درجة يكاد يختفي معها .

* * *

الأمومة سفاحًا!!

أوصت هيئة في حزب المحافظين البريطاني الحاكم . . بضرورة تشجيع الزواج والعودة إلى القيم الأسرية على وجه السرعة .

الهيئة التي تعرف باسم «مجموعة بامر» أشارت في تقريرها الذي نشرته الصحف البريطانية إلى ظاهرة الإباحية الخطيرة التي عمت المجتمع البريطاني ، وطالبت بتشديد القوانين على السلوك الإباحي والمطبوعات الإباحية .

وأهم ما جاء في تقرير المجموعة . . ما أشارت إليه من انتشار ظاهرة الأمومة سفاحًا ؛ أي الإنجاب دون زواج . . وهو ما أصبح يلقى قبولاً عامًا يجب العمل على تثبيطه ، كما جاء في التقرير .

ـ هذا الخبر من بريطانيا ، واحد من أخبار كثيرة تشير جميعها إلى تزايد التحلل والفساد والحمل من الزنا . . بسبب ضعف الرقابة ، وتفكك عرى الأسرة . . ليس في بريطانيا وحدها . . بل في جميع المجتمعات الغربية تقريبًا .

وعلى الرغم من أن أولي الألباب في تلك البلاد بدؤوا يطلقون صيحات التحذير ، ويدعون إلى تشديد القوانين على السلوك الإباحي ، فإننا نجد في بلداننا من يدعو إلى إطلاق المرأة المسلمة ، واختلاطها بالرجال ، ونزعها

للحجاب!!

هل يريدون أن تذوق مجتمعاتنا ما ذاقته المجتمعات الغربية من ويلات ومآسٍ اجتماعية خطيرة.. تاركين شرع الله وراءهم ظهريًا؟!

من هذا كله، تدركين أختنا المسلمة، عظم المسؤولية الملقاة عليك، فإن صلحت حالك، وتمسكت بأهداب دينك فوّت الفرصة عليهم، ورددت كيدهم في نحورهم.

إنهم يعلمون يقينًا أن الخطوة الأولى في إفساد مجتمعاتنا، الخطوة الأساسية، هي في دفع المرأة المسلمة في خطى المرأة الغربية: تختلط بالرجال، وتنزع الحجاب، وتتخلى عن قيم دينها.

لكنك - بإذن الله - يقظة لكل وساوس شياطين الإنس والجن، بصيرة بكل ما يزينونه لَك، عارفة بأساليبهم.. خبيرة بأحابيلهم.

وإني لأكاد أرى المرأة الغربية وهي تقلد المرأة المسلمة، وتقتدي بها، ثم تسلم مثلها.. وإن غدًا لناظره قريب.

* * *

حين تعصف الريح.. ويثور موج البحر

القارئة سعاد أ. م كتبت في رسالة لها تقول:

«. . . كثيراً ما يغضب زوجي لسبب تافه، فلا أصبر على غضبه وأرد عليه، فيشتد غضبه، وتزيد ثورته، ويكون بيننا خلاف يمتد ساعات طويلة. . وأحيانًا أكثر. . ».

يا أخت سعاد، هذا ليس ما تعانينه أنت وحدك، بل تعانيه كثيرات من الزوجات، وفي هذا الزمان خاصة؛ حيث يشهد الرجل في حياته العملية كثيراً من المضايقات التي تحتبس في صدره فلا يجد لها مخرجًا إلا في بيته، فيثور على زوجته وأولاده لأتفه الأسباب.

وكلامي هذا ليس تبريراً لهؤلاء الأزواج، إنما هو تفسير لحالات الغضب التي تفاجأ بها الزوجة المسكينة.

والحل لهذا، فيما أرى، ألا تقابل الزوجة ثورة زوجها بثورة مماثلة، بل تكتفي بأن تقول له: «الله يسامحك». وقد لا تطفئ غضبه هذه الكلمة فيستمر في ثورته وغضبه، ولكن عليك أن تثبتي عليها وعلى مثيلاتها: «حقك علي»، و«التقصير مني. . . » وهكذا. .

ولن تمر دقائق، وإن طالت. . فنصف ساعة أو ساعة. حتى يهدأ الزوج، بعد أن زالت هذه الشحنات الكهربائية التي تسري في جسده، ويتذكر ثورته

وغضبه، وهدوءك تجاه ما ظهر منه، ومقابلتك لحدته بالحلم والروية، فيخجل من نفسه، ويكبرك في سريرته، وتمضي سفينة الزواج في بحر من الأمان والسلام.. بعد هدوء الأمواج الصاخبة.. وسكون الريح الثائر.

• • •

لتهزمي الجاهلية

(أخرج ابن أبي حاتم عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشدّ تصديقًا لكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل!! لقد أنزلت سورة «النور»: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فانقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابة، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل (كسائها المنقَّش) فاعتجرت به (تلففت)؛ تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان).

ورواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة. (حياة الصحابة ـ الجزء الثالث ـ ص٧٥ ـ ٧٦).

أختنا المؤمنة:

تعالي معنا نتدبر ما في هذا الموقف من دروس وتوجيهات:

١ ـ كلنا نعلم أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ من قريش، ومع هذا فقد وجدناها تثني على نساء الأنصار، وتقسم أنها ما رأت أفضل منهن ولا أشد تصديقًا وإيمانًا بالقرآن الكريم وما أمر به تعالى فيه.

وفي هذا توجيه لك أختنا لتذكري فضل غيرك من النساء، فلا تمنعك غيرة من الإقرار بفضل امرأة من غير جنسيتك، ولا يحول ثراؤك دون شهادتك لامرأة فقيرة، ولا حسبك من تقدير امرأة لا تنتسب إلى تلك الأسرة أو ذاك البيت.

٢ ـ ثم تأملي كيف استجابت نساء الأنصار إلى ما نقله إليهن رجالهن مما نزل من كتاب الله، فلم يناقشن، ولم يجادلن رجالهن، ولم يأخذن ويعطين فيما بينهن، إنما بادرن إلى أثوابهن يتلففن بها حتى ظهرن كالغربان.. إشارة إلى شدة تسترهن.. أو إشارة إلى شدة صمتهن وهدوئهن.

بينما المرأة المسلمة غير الملتزمة بالحجاب اليوم.. تناقش زوجها وتجادله.. وكأن الأمر بالحجاب صادر عنه.

فهلا أدركت أختنا التي تصلي وتصوم وترفض أن تضع الحجاب. هلا أدركت أن التزامها بالإسلام ناقص.. وهلا تعلمت من الصحابيات مبادرتهن إلى الحجاب فور نزول الأمر من الله تعالى. فيبادرن اليوم إلى الحجاب يضعنه بثقة واعتزاز.. وقد هزمن الجاهلية في نفوسهن أولاً.. وفي المجتمع ثانيًا؟!

* * *

شمس تدعو لزميلاتها

الفطرة تستيقظ في نفوس عدد من الممثلات السينمائيات في مصر. فبعد شمس البارودي وشادية، تأتي الأنباء عن اعتزال هناء ثروت وتردد ليلى طاهر في العودة إلى التمثيل بعد أدائها فريضة الحج.

ورب من يقول: وما شأنكم بهذه الممثلات.. اهتدين أم لم يهتدين.. ولماذا الاهتمام بهن..؟

وجوابنا على هذا السؤال.. إن طرحه أحد:

- نحن نفرح لكل من يتوب إلى الله.. وباب رحمته تعالى مفتوح أمام جميع التائبين.. فلماذا لا نفرح بتوبتهن؟

- توبة هؤلاء الممثلات تحمل معاني ودلالات.. فإن الفتاة التي تحلم بالشهرة والمال.. تدرك أن من حصلت عليهما لم تؤثرهما على رضوان الله والتوبة إليه.

- لو عمّت هذه التوبة جميع الممثلات.. فإن بابًا واسعًا من الإفساد الإعلامي سيوصد،، فلا يخفى على أحد ما تشيعه الأفلام والمسلسلات من أفكار وتوجيهات منحرفة.

ولا بأس أن ننقل هنا جانبًا من حديث الفطرة لدى شمس البارودي التي تقول:

بعد أن أديت فريضة العمرة ختمت القرآن الكريم، وتفرغت تمامًا لأداء العبادات، وأحسست أن بداخلي وضوح رؤية يجعلني أتفهم معاني آيات القرآن الكريم بدون الحاجة إلى قراءة التفسير. حينذاك لم أكن أدعو إلا أن يهديني الله إلى الإيمان والثبات عليه.

وفي أثناء طوافي حول الكعبة الشريفة استشعرت نورًا يملأ وجداني وجعلني أبكي طويلاً لعل الله يغفر لي. وصرت الآن أختم القرآن كل شهر وأقرأ الحديث الشريف.

ثم تقول: لقد شعرت بزهد غريب في الدنيا، وأحسست بضآلة هذا العالم.. وأن الحق لابد أن يُتّبع. لذلك أدعو الله من كل قلبي أن يهدي زميلاتي كما هداني.

ونحن نقول: آمين.

* * *

زوجي والخادمة

سيدة تعمل هي وزوجها في الكويت منذ سبع سنوات. اضطرتها ظروف العمل وخروجها هي وزوجها صباحًا.. كل إلى عمله، أن تحضر خادمة لرعاية أطفالهما والاهتمام بشؤون البيت.

تقول هذه السيدة: إنها لاحظت اهتمامًا غير عادي من زوجها تجاه الخادمة.. كما أن الخادمة أيضًا تسرع في تلبية طلبات زوجها مع ابتسامة ذات مغزى. إضافة إلى أنها ـ الخادمة ـ بدأت تزيد من اهتمامها بمظهرها وشكلها حين يكون زوجها في البيت.

وتخشى أن يتطور هذا إلى علاقة بين زوجها والخادمة! أو أن هذه العلاقة قائمة فعلاً بينهما دون أن تدري هي.

وهي تسأل ماذا تفعل؟

ـ نقول لك. كما يقول المثل العربي: «على نفسها جنت براقش»، فأنت ـ كما ذكرت ـ أحضرت الخادمة بنفسك، وأدخلتها بيتك، والآن تجنين ما زرعته يداك.. فمن أجل زيادة في المال تضحين بأمور قد تكون أعز من المال بكثير؛ لأن الضرر ليس قاصرًا على زوجك.. إنما هو ممتد إلى أطفالك الذين «تربيهم»! هذه الخادمة و«توجههم»! فأي تنشئة ستكون لأطفالك على يدي خادمة هي كما وصفت؟!

والحل، كما نراه، هو أن تتداركي الأمر قبل فوات الأوان، وذلك باستغنائك عن الخادمة.. وإنقاذ زوجك وأطفالك منها، وأن تستقيلي من عملك وتتفرغي لرعاية زوجك وتربية أطفالك.. فهذا خير من الدريهمات التي تكسبينها كل شهر.

ونحب أن نشير هنا، إلى أن لمشكلة هذه السيدة أشباهًا كثيرة في بلداننا، وإذا كان زوج هذه السيدة مازال في مرحلة الاهتمام المتبادل مع خادمته، فإن غيره اعتدى على خادمته، وكثيراً من الخادمات حملن سفاحًا من أصحاب البيوت التي يعملن فيها أو من أبنائهم.

إننا ندعو المهتمين بقضايا التربية والمجتمع، إلى تدارك الظاهرة قبل استفحالها، والبحث عن حلول عاجلة لها، وإن كنا نرى أن الحل هو في عودة المرأة إلى بيتها لتقوم هي برعاية أسرتها.

* * *

رغبة أبدية

كتب «فردناند بروتزمان» في جريدة «الهيرالد تربيون» عن ابتعاد المرأة الألمانية عن العمل في أعمال الرجال. . وانصرافها إلى بيتها وأطفالها. . فقال:

«الأطفال والمطبخ. . هما الوصف التقليدي لمكانة المرأة في المجتمع الألماني، ففي الصفوف العليا من المرفق التجاري الألماني الغربي، وهو مركز القوة الصناعية والمالية في البلاد، يمكن وصف دور المرأة بكلمة واحدة: ليست موجودة.

مجالس الإدارة في أكبر خمسين شركة في ألمانيا الغربية، عبارة عن صفوف مغلقة بشكل متين، ولا تضم سوى الرجال الذين هم في منتصف العمر، ولا يوجد أي امرأة، وفي جميع الإدارة الألمانية الغربية لا تشغل النساء سوى ٣ في المائة من جميع المناصب التنفيذية الرئيسية، حسبما تقول المؤسسة الاستشارية الإدارية (كينباوم ومودل وبارتنر).

ويقول خبراء التوظيف: إن كثيراً من هؤلاء النسوة (الثلاثة بالمائة) رئيسات لمرافق تملكها الأسر.

في الشركات العامة للبضائع. . لا تتعدى نسبة النساء في الإدارة العليا واحداً في الألف. ويعلق كارل جورغ (الذي ينظم دورات تدريبية في الإدارة

وإدارة الأعمال لغرفة التجارة المحلية في فرانكفورت): في الشركات التي تملكها الأسر.. هنالك عدد أكبر من النساء.. لأن كثيراً من الأسر لا يكون عندها أولاد (ذكور) فتضطر النساء لتولي الأمور..

ليست ألمانيا الغربية وحدها في وجود نساء قلائل يعملن مديرات كبيرات، فنسبة المديرات الرئيسيات في الأقطار الأوروبية الغربية الأخرى، وفي الولايات المتحدة أيضًا، تبلغ حوالي ثلاثة في المائة فقط.

هل لنا أن نسأل ـ بعد قراءتنا التقرير السابق ـ لماذا تنصرف المرأة الألمانية خاصة، والأوروبية عامة، إلى منزلها ومطبخها وأطفالها.. وتكاد تغيب عن العمل في الإدارات العليا؟

هل هناك قوانين تمنع المرأة من العمل في الإدارات العليا في تلك البلدان؟

هل تفرق قوانينهم بين المرأة والرجل؟

نعلم جميعًا أنه ليس في الغرب ما يمنع المرأة من العمل في أي عمل يعمله الرجل، وأن قوانينهم لا تفرق بين رجل وامرأة، وأن المساواة التامة الشاملة محققة عندهم! فما السر إذن في غياب المرأة عن تلك الإدارات؟

إذا أردنا أن نوجز الإجابة بكلمة واحدة فإننا نقول: إنها «الفطرة»!.

وإذا أردنا التفصيل فإننا نقول: إن الله سبحانه خلق في المرأة حب الأطفال أكثر من حب الرجل لهم، ومنحها قدرة في إدارة مؤسسة البيت أكثر من إدارة مؤسسة شركة أو مصنع أو متجر.

يقول جورغ (ورد ذكره في التقرير السابق): «يضيع قدر كبير من الإمكانات الإدارية الجيدة نتيجة الحقيقة الماثلة في أن النساء يخترن دوراً كربة

بيت أو أم. وتتردد الشركات في نقل النساء إلى إدارة أعلى؛ لأنهن قد يقررن أن يكون لهن أطفال ويتركن العمل».

إذا نجحتم في أن تنتزعوا المرأة من بيتها ردحًا من الزمن لحاجتها إلى المال.. فإنكم لن تستطيعوا أن تنتزعوا من نفسها حبها للأطفال.. ورغبة أبدية في إدارة بيت مستقر.

* * *

صرخة في أمريكا الأمومة ليست فخًا

«سيلفيا آن» تحب الأطفال، كما تحب عملها أستاذة جامعية في (برنارد كولدج) الأمريكية. لكن إدارة هذه الكلية المنبثقة عن جامعة كولومبيا لم تشاركها هذا الحب. وحين حملت سيلفيا رفضت «الإدارة» منحها إجازة أمومة، وصعقها أن زميلاتها من النساء (المتحررات) وقفن ضدها، وكنّ أكثر تشددًا من (ذكور) الجامعة.

وهكذا كان عليها أن تتابع الهرولة، وأجهضت، وأنذرها عميد الكلية أنها إذا حملت ثانية فستخسر فرصتها في النجاح ولن يرضى بها كأستاذة «ذات كرسي»! وقد نفذ تهديده حين حملت ثانية.. رافضًا رغبتها في بناء أسرة.

حدث ذلك عام ١٩٧٠م، وأنجبت سيلفيا أربعة أطفال، وحافظت على أسرتها، وصرخت بصدقها في وجه مجتمعها في كتاب أسمته «حياة منقوصة - أسطورة تحرر المرأة في أمريكا».. وانفجر الكتاب صرخة إدانة شرسة.. وطارت الشظايا إلى صفحات المجلات والصحف العالمية (أفردت مثلاً صحيفة التايم صفحة كاملة عن الكتاب).

وفي كتابها الذي صدر مؤخرًا، تعرّي «سيلفيا» أسطورة تحرر المرأة في أمريكا، وتكشف أن معدل دخل المرأة العاملة في أمريكا أقل منه في أوروبا، والسبب الأساسي يرجع إلى عدم تمتع المرأة الأم بحقوق مميزة في العمل

للحفاظ على أسرتها.

ولاحظت المؤلفة بعينها الجديدة وجرحها المفتوح انحراف «ثورة الحريم» هناك صوب التطرف والشذوذ والبعد عن الواقعية، والرغبة في الاستفزاز والتحدي بدلاً من البناء داخل بلاط القيم الإنسانية.

وحوّلت سيلفيا طفلها المجهض إلى علاقة حية مع ملايين النساء المهددات بالإجهاض، ومدت جسراً من الوعي والتفاهم بينها وبينهن.. وكشفت أن ثورة النساء في أمريكا لا تعبر حقًا عن الرغبات السوية لدى الأكثرية الساحقة من بنات جنسها اللواتي يرغبن في بناء مستقبل عملي ناجح دون التخلي عن دورهن كزوجات وأمهات، ورفعت شعار «الأمومة ليست فخًا.. والطلاق تحريراً».

آية جديدة

مع انتشار ظاهرة الانتحار في الاتحاد السوفياتي، أنشأت السلطات هناك مركزًا أسمته «مركز الدراسات والوقاية من حالات الأزمات». وتعترف رئيسة المركز «آيفا امبر وموفا» أن الانتحار يبلغ حدًا مقلقًا في أوساط الطلاب.. حيث يشهد اضطرادًا متزايدًا. وعلى الرغم من أن الانفتاح الذي شهدته روسيا مؤخرًا سمح بإثارة هذه الظاهرة علنًا؛ إلا أنه مازال يمنع كشفها بالأرقام والإحصائيات. لكن الراجح أن معدلات الانتحار الروسية تقترب من معدلات الانتحار الغربية.

وعن أسباب انتحار الشباب الروسي تقول «امبروموفا»: «إن حالات الانتحار لديه تتزايد مع تزايد تقليده للغرب واستيراده لآفاته التي تبدأ بالإدمان على الكحول ثم المخدرات وتنتهي بموسيقى «الروك» والاختلاط الجنسي».

وإذا كان الحديث عن ظاهرة الانتحار في المجتمع الروسي يشتد في الفترة الأخيرة نظرًا لضخامة المشكلة، فإن إصرار غورباتشوف على معالجتها علنًا لم يكن جديدًا من نوعه رغم جرأته. ففي أيام بريجنيف، وقبل أربع سنوات من اليوم، أوردت صحيفة «موسكو فسكايا برافدا» خبرًا صغيرًا ورقم هاتف لمكتب عدد من علماء الاجتماع والأطباء الذين تطوعوا لمساعدة المحبطين واليائسين إلى حد الانتحار. ومنذ الأيام الأولى شهد هذا الرقم إقبالاً شديدًا

من طالبي النجدة من الانتحار، وهو لايزال مشغولاً حتى الآن لعدم قدرته على استيعاب جميع المكالمات وطلبات النجدة.

ـ وهكذا ينضم الروس إلى الأوربيين والأمريكيين في ارتفاع نسبة المقدمين منهم على الانتحار.

وهكذا أيضًا يتأكد إخفاق النظامين ـ الرأسمالي والشيوعي ـ في توفير الطمأنينة للإنسان، والرضا في نفسه، والسعادة لقلبه.

إن أسباب الانتحار ـ كما تعلن مديرة مركز الدراسات والوقاية من حالات الأزمات ـ هي: الإدمان على الكحول ـ المخدرات ـ موسيقى الروك ـ الاختلاط الجنسي. أربعة يحرمها الإسلام.. فلا وجود لها في المجتمع الإسلامي.

آية جديدة من آيات الله في الآفاق:

﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصلت: ٥٣].

فلتسعدي يا أخت بإسلامك، ولتطمئني إلى أنك على المنهج القويم.. صراط الله المستقيم، ولتنظري من علٍ إلى الجاهلية التي يحاولون أن يشدوك إليها.. وقولي لهن: بل أنتن تعالين إلى ما أحيا فيه من سعادة ورضا وطمأنينة.. ثم في الآخرة جنة تجري من تحتها الأنهار.. ورضوان من الله أكبر.

* * *

افتقدوا المنطق العقلي أيضًا!

قبل عام تقريبًا، أعلن مستشفى الضيافة التخصصي في الزيتون بالقاهرة، عن افتتاح قسم للمحجبات خاص بأمراض النساء والولادة، لا يدخله إلا الطبيبات والممرضات فقط، مع وجود أمكنة أخرى للراغبات في العلاج على يد الأطباء الذكور.

وقد انبرى عدد من الأطباء معلنًا بأن هذا تطرف واتجار بالدين يجب أن يحارب ويقاوم. وأعلن غيرهم أن هذا غير مقبول؛ لأنه عملية تجارية بحتة تتستر بالدين الذي يبرأ منها (على حد تعبيرهم).

أما الدكتورة نوال السعداوي فقد تعدت مجرد الاعتراض على افتتاح هذا القسم الخاص بالنساء، الذي تشرف عليه طبيبات متخصصات، إلى الحديث عن حجاب المرأة الذي قالت عنه بالحرف الواحد: «وفي رأيي أن الحجاب يضعف أخلاق المرأة.. وهو إهانة لها ونوع من الخوف، فالمرأة المحجبة تخاف مخالطة الرجال والنظر إليهم؛ لأنها لا يشغلها إلا الجنس بنوعه غير الراقي»!!؟

(جريدة الوفد ـ ٥/ ٢/ ١٤٠٧هـ ـ ٩/ ١٠/ ١٩٨٦م)

نعرض هذا الكلام لنشير إلى أن الحملة على المرأة المسلمة الحريصة على عدم كشف نفسها للرجال، المحافظة على حجابها، كانت ومازالت هدفًا

للحملات الشرسة التي يثيرها أشخاص لم يفتقدوا الحس الإسلامي فقط، إنما افتقدوا المنطق العقلي أيضًا، وردنا على هؤلاء.. نوجزه فيما يلي:

١ ـ هل زار هؤلاء أوروبا وأمريكا.. ألم تنل المرأة فيهما حريتها المطلقة بمقاييسهم؟.

ألم ينتبهوا حين زاروا المحلات والمجمعات التجارية التي تباع فيها الثياب.. أن غرف القياس المخصصة للمرأة غير غرف القياس المخصصة للرجل؟! وأن الحمامات (دورات المياه) في جميع تلك البلدان.. غير مختلطة.. أي أن بعضها مخصص للنساء.. وبعضها مخصص للرجال؟! فلماذا يقبلون عدم الاختلاط في غرف قياس الثياب، وفي دورات المياه، ويرفضونه في المستشفيات وغيرها؟ لماذا تضع المحلات التجارية في أوروبا وأمريكا ستائر على غرف قياس الثياب.. للرجال والنساء.. ولا يطالبون بأن يقيس الناس ثيابهم أمام جميع الزبائن؟!

لماذا لا يقدرون رغبة امرأة، ورغبة أهلها وزوجها، بأن يشرف على ولادتها طبيبات متخصصات.. بعيداً عن الرجال؟ مادام هذا متوفراً وممكنًا.

٢ ـ إذا كانوا يطالبون بمنح المرأة حريتها، فلماذا يريدون سلب المتدينة المسلمة حريتها في لبس الحجاب وعدم الاختلاط؟

لم نسمع أن حاكمًا معاصراً أصدر قراراً بإلزام النساء في بلدة بارتداء الحجاب؟! فلماذا هذه الثورة على الحجاب؟

إذا لم يرغبوا في النظر إلى الحجاب وعدم الاختلاط على أنهما طاعتان لله.. فلينظروا إليهما على أنهما سلوكان تملكهما النساء في مجتمع الحرية!!

٣ ـ هل سمعتم أن عدم الاختلاط في أي مؤسسة أو مدرسة أو هيئة كان سببًا في فساد؟ أو اغتصاب؟ أو أولاد زنا؟ ستقولون: لا!

لكننا حين نسأل إذا كان الاختلاط سببًا في فساد أو اغتصاب أو أولاد زنا؟.. فستجيبنا الإحصائيات من الشرق والغرب: نعم.. لقد كان الاختلاط سببًا في فساد اجتماعي عظيم.. وسببًا في آلاف جرائم الاغتصاب وعشرات آلاف أولاد الزنا!

فليعقل أولئك الذين ما زالوا يقفون أمام عودة المرأة المسلمة إلى ربها، وتوجهها للتمسك بأوامر دينها، وليكونوا عونًا لها على ذلك.. بدلاً من أن يكونوا عوائق في طريقها.

ألوان القردة

المرأة السافرة مقلّدة.

المرأة المتكشفة أسيرة «الموضة». . تتبعها وتحاكيها.

مصممو الأزياء يرسمون موضة العام. . والمرأة تلبس ما يصممون، قصّات الشعر يصورونها في باريس ولندن. . لتنتشر في أنحاء العالم عبر مئات المجلات النسائية. . لتقص النساء شعورهن مثلها.

أليست هذه المرأة المتبعة للموضة. . المقلدة لما تفعله المرأة الغربية. . هي المرأة التي لم تناقش، ولم تفكر، قبل أن تلبس ما تلبس؟

اسمعي يا أختنا هذه الحقيقة:

في عام ١٩٦٩م. . بينما كان أحد «ملوك الماكياج» يتنزه مع صديق له في حديقة الحيوانات، رأى الصديق قردًا حول عنقه ألوان دائرية: أخضر ورمادي وبني. . فأشار إلى القرد وظل يضحك، فنظر إليه «ملك الماكياج» وقال له: ما رأيك لو جعلنا المرأة سنة ١٩٧٠م بهذه الصورة؟ فقال الصديق: هذا شيء غير ممكن. . فَمَن من النساء تقبل بهذا المنظر المضحك؟ ردّ ملك الماكياج: أنا أملك أن أجعلها تلهث وراء هذا الشكل.

وكان رهان بينهما. .

ثم كانت حملات إعلامية في جميع صفحات المرأة والإذاعة

والتلفزيون.

ولم ينقض عام ١٩٧٠م حتى كانت المرأة «المقلدة» تضع حول عينيها ألوان قوس قزح.

وكسب «ملك الماكياج» الرهان.. ونشر الخبر في إحدى الصحف..!

* * *

حين تشهد أم انتحار ابنها ويهددها آخر بالقتل

كان «سرجيو» يلح في طلب النقود من أمه، ليشتري بها المخدرات التي أدمنها، لكن أمه رفضت إعطاءه النقود، فانتحر سرجيو أمام عيني أمه؛ على الرغم من أنه لم يتعد الحادية والعشرين من العمر.

وتحكي «آنا ريزرو» - الأم - ما حصل بكل هدوء وشجاعة: «لقد انتحر أمامي.. ولم أستطع فعل أي شيء»، لقد كسر زجاجة وفتح بها بطنه.

وتضيف: «لقد توسل إليَّ طالبًا إعطاءه النقود لشراء المخدرات، ولكن ماذا أفعل، فلم يعد في حوزتي شيء، فقد سرق كل ذي قيمة في البيت: «التلفزيون، المجوهرات، وباعها ليشتري بثمنها المخدرات».

الأم لديها ولد آخر «جياني»، يبلغ من العمر ٢٣ سنة، هو أيضًا مدمن على المخدرات، ومسجون حاليًا بتهمة السرقة.

ومع شعور الأم بالألم والعذاب لفقد ولديها بسبب المخدرات، فإن في نفسها شعورًا آخر بالغضب ضد بائعي المخدرات في شوارع نابولي، وضد رجال الأمن الذين يغضون النظر لقاء مبلغ من المال، وأيضًا ضد الحكومة الإيطالية التي لا تقدم أي شيء للذين دمرت حياتهم بسبب الهيروين.

هذا الغضب عم نساء نابولي عندما لقي أربعة شبان حتفهم من جراء تناولهم الهيروين.

جماهير من النساء نزلت إلى الشارع في مظاهرة كبيرة، يعبرن عن غضبهن ويطالبن بمعاقبة المسؤولين عن هذه الضحايا.

هذا الغضب، منح النساء شجاعة ضد تجار المخدرات الذين حاولوا تخويف الأمهات المتظاهرات؛ تقول إحداهن: «لقد هُددنا.. ولكننا لا نخاف»، وتضيف «لوتشيا سابوتو»: «فحبنا لأولادنا أقوى من الخوف، وأعرف بعض البائعين الذين بدؤوا يخافون منا».

وتؤكد هذه الأم أن ٧٠٪ من شباب نابولي يتعاطون المخدرات.. وبعضهم لا يتجاوز عمره ١٢ أو ١٣ عامًا.

وتقول أم أخرى «جيزوبينا كارولدنو»: «مضى ثماني سنوات وابني مدمن على المخدرات، لقد صرفت ثروتي كلها لمعالجته، ولكن في كل مرة كنا نبدأ من جديد. والآن يلزمني ٢٥ مليون ليرة لمعالجته.. ولا أملك منها شيئًا».

ويقول «جوفاني لاروكا» الذي يبلغ من العمر عشرين عامًا.. وهو أحد المدمنين على المخدرات: «لن أتوقف أبدًا.. حتى ولو سبب ذلك موت والدي ووالدتي». وكانت والدته تنظر إليه بهدوء.. ولكن وميضًا من الغضب كان يلمع في قاع عينيها وهي تقول: «إنني متأكدة الآن أن في استطاعته أن يقوم بأي شيء للحصول على المخدرات.. حتى القتل». وتتابع بصوت مهدد: «إن من مصلحة السلطات أن تفهم أنها ليست إلا البداية، إننا على استعداد للقيام بأي شيء للوصول إلى نتيجة.. حتى لو اضطررنا إلى وضع قنبلة في القصر الرئاسي في روما».

أختنا المؤمنة:

هذا واحد من وجوه كثيرة للمعاناة التي تعيشها المرأة في الغرب، وهي معاناة تظهر عمق مأساة المجتمع الغربي عامة، والمرأة الغربية خاصة. وتظهر في الوقت نفسه، نجاة المرأة المسلمة من هذه المعاناة؛ وبعدها عنها.

أي مأساة أشد من أن ينتحر شاب أمام أمه.. لأنها رفضت انتحاره البطيء بتناول المخدرات؟! وأن يقيم ابنها الآخر في السجن.. بتهمة السرقة لشراء المخدرات المدمن عليها أيضًا!

وأن تنفق أمٌّ أخرى ثروتها كلها لمعالجة ابنها المدمن على المخدرات طوال ثماني سنوات.. ثم لا تنجح.. وتنوي البدء من جديد.. لكنها لا تملك شيئًا تنفقه على معالجته..!

وأن يعلن شاب أمام أمه أنه لن يتوقف عن تناول المخدرات ولو كان ثمن ذلك موت أمه وأبيه.. وتفهم أمه أنه يهددها بالقتل..!

لن نعجب بعد هذا كله إذا تملك الغضب هؤلاء الأمهات! لن نعجب إذا جعلهن الغضب أقوى من تجار المخدرات.. الذين باتوا يخافون منهن.. بعد أن حاولوا تخويفهن!

❁ ❁ ❁

المسلمة.. ومؤتمر موسكو

انعقد مؤخرًا في موسكو ما سُمي بـ «مؤتمر النساء العالمي» تحت شعار «إلى الأمام حتى سنة ٢٠٠٠» بلا أسلحة نووية . . من أجل السلم والمساواة والتنمية .

حضر المؤتمر أكثر من ٢٥٠٠ امرأة يمثلن ٨٠٠ منظمة نسائية من ١٥٤ دولة في العالم، إضافة إلى ١٥ منظمة تابعة للأمم المتحدة . أما الأعمال التحضيرية للمؤتمر فقد جرت في ٤٠ دولة في العالم!

غطى المؤتمر ٦٠٠ صحفي روسي وأجنبي يمثلون أكثر من ٤٠٠ وسيلة إعلام!

هل رأيت ـ أختنا المسلمة ـ ضخامة هذا المؤتمر الذي شاركت فيه مجموعة من النساء العربيات اللواتي يمثلن بعض الأقطار والمنظمات النسائية؟

هل تعلمين أن الخطابات الافتتاحية للمؤتمر تجاهلت جميعها «القضايا العربية» في اليوم الأول للمؤتمر الذي عقد في قصر الكرملين؟!

وحتى في أيام المؤتمر التالية، لم تنقل وكالات الأنباء شيئًا عن مناقشة أي قضية للمرأة التي تعاني في فلسطين ولبنان ومن حرب الخليج . .

وطبعًا لن نسمع شيئًا عن المرأة المهاجرة من أفغانستان أو التي تتلقى غارات الروس على أطفالها وبيوتها داخل أفغانستان . . فالمؤتمر عقد في

موسكو!!

يبقى سؤال لك أنت أيتها الأخت المسلمة:

ألا يحتاج منك الإسلام ودعوته إلى مؤتمر صغير توحّدن جهودكن فيه.. وتنسّقن أعمالكن.. وتخططن كما يخططون؟!

إن للمرأة المسلمة اليوم دوراً ملحوظًا وهامًا في الصحوة الإسلامية، ولابد من تبادل الآراء، والحوار، واللقاء.. من أجل عمل مدروس ذي مراحل.

❋ ❋ ❋

أدركوا أولادي

أم كويتية، أولادها بعيدون عن أي رقابة، لا يتلقون أي توجيه أو مراجعة، حتى شكّت في كثير من تصرفاتهم.

زوجها، أبو الأولاد، غائب معظم ساعات الليل والنهار، وهي غارقة في العمل ومسؤوليات البيت، ولا أحد من أولادها يصغي إليها.

هذه خلاصة حال إحدى الأمهات.. روتها وهي تفيض ألمًا وحسرة.. وقد تملكتها الحيرة: ماذا تفعل؟

- حالك أيتها الأم الصابرة الحائرة.. له نظائر كثيرة في مجتمعاتنا المحلية ولا اختلاف بينها إلا في القليل.

سنقول لك يا أختنا أن تراجعي زوجك في ساعة من ساعات صفائه وتطلعيه على ما يداهم الأسرة من خطر، وعلى حاجة الأولاد إلى المراجعة والتوجيه.. قبل أن يفلت الزمام.. ولعله قد فلت فعلاً.

قد لا يصغي إليك زوجك.. كما لا يصغي إليك أولادك، وهنا عليك أن تلجئي - بحكمة - إلى آخرين في أسرتك أو أسرة والدهم ليتدخلوا - بحكمة أيضًا - في محاولة لتدارك الأمر وإخبار الأب أن تربية الأولاد قبل كل شيء، وأهم من كثير من اهتماماته.

ونريد أن نقترح على الأخوة المسؤولين هنا فسح المجال أمام أمثال هذه الحالات، وإنشاء أقسام أو إدارات في وزارة الشؤون الاجتماعية أو وزارة الداخلية لتلقي أمثال تلك الشكاوي.. لتتدخل فيها برفق وحكمة.

والغرب ليس خيراً منا حين ينتزع كثيراً من الأطفال والأبناء من أسرهم عندما تكون تلك الأسر غير أمينة على تربية أبنائها.

إن تدارك أبنائنا قبل أن ينحرفوا.. مسؤولية جماعية، يشترك فيها كل واحد منا، وكل مؤسسة وجهة في مجتمعنا؛ لأن ضرر انحراف فرد في المجتمع لا يقتصر عليه أو على أسرته.. إنما يتجاوزه أو يتجاوز أسرته إلى المجتمع كله.

* * *

موسيقاهم قتلت ابنها

أصيبت بلوثة عقلية في أثناء سماعها موسيقى الروك العنيفة فقطعت رأس ابنها ثم أمرت ابنتها بالتخلص من الرأس في الزبالة.

الأمريكية «لوالويس» (٣٢ عامًا) كانت «تستمتع»! بمقطوعة الروك العنيف من جهاز الراديو في شقتها الكائنة بمدينة كليفلاند في ولاية أوهايو الأمريكية.

الموسيقى العنيفة أخرجت الأم عن وعيها فالتقطت سكين اللحم وراحت تطعن بها ابنها (١١ عامًا) ثم قطعت رأسه.

وعثر أحد سكان العمارة التي فيها شقة المرأة على الرأس المقطوعة في صندوق الزبالة الكائن في الطابق تحت الأرضي. وعُلم أن الأم طلبت من ابنتها البالغة من العمر ٦ أعوام التخلص من الرأس هناك.

الأم أبلغت شرطة كليفلاند أنها فقدت وعيها تحت تأثير المقطوعة الموسيقية. ـ نعم ـ موسيقاهم قتلت ابنها!

الموسيقى التي هي أحد نتاجات المدنية الغربية الحديثة التي حرمت الإنسان هناك هدوء نفسه، وطمأنينة تفكيره، أخرجت هذه المرأة عن عقلها.

فهلا أدركت، عزيزتنا، حكمة أخرى من حكم الإسلام في تحريم الموسيقى؟!

* * *

المرأة.. ومجلس العموم

«تبدو بريطانيا وكأنها دولة تحكمها النساء. ومبعث هذا الانطباع، هو وجود الملكة اليزابيث على رأس المملكة، ووجود مارغريت تاتشر على رأس الحكومة.

إلا أن وجود هاتين السيدتين على رأس الحكم لا يعكس خريطة الوضع السياسي في بريطانيا على حقيقتها. فمع أن النساء يشكلن ٥٢ في المائة من سكان بريطانيا، إلا أن مستوى تمثيلهن البرلماني لا يتناسب مع هذه النسبة، حيث لا تشكل النساء سوى ٤ في المائة من أعضاء البرلمان، أي ٢٨ عضواً من مجموع ٦٥٠ عضواً.

ومن هنا، فقد كان موضوع المرأة وإشراكها في العملية السياسية محوراً للانتخابات الأخيرة.. حيث أصبحت أصوات النساء هدفًا تتنافس عليه الأحزاب السياسية من أجل تحقيق الفوز.

وعلى الرغم من الضجة التي أثيرت حول قضية المرأة في الانتخابات الأخيرة التي لم يسبق لها مثيل في أي انتخابات أخرى، فإن الأحزاب السياسية الثلاثة لم تقدم في برامجها ما يمكن اعتباره معالجة حقيقية لمشكلات المرأة.

وفي هذا الصدد تشير كاتبة بريطانية تدعى «بياتريس كامبل» في كتابها

(النساء الحديديات) إلى أن هناك ـ بصورة عامة ـ نظرة غير جدية إلى قضية المرأة تسود الأحزاب السياسية الثلاثة.

وترى «سارة موريسون» النائبة السابقة لرئيس حزب المحافظين وزوجة أحد نواب الحزب.. أن مجلس العموم ليس بالمكان الأنسب للمرأة، وتقول: «نحن النساء لدينا أمور كثيرة أخرى غير الساعات التي نضيعها في البرلمان».

هذا ما نشرته إحدى المجلات الأسبوعية التي تصدر في لندن، نقلناه إليك أختنا، وهو واضح لا يحتاج إلى بيان. لكن هذا لا يمنع من ثلاث إشارات سريعة:

١ ـ على الرغم من أن عدد النساء البريطانيات أكثر من الرجال فإنهن في البرلمان لا يتجاوزن ٤٪.. وفي هذا إشارة قوية إلى أن المرأة لا تميل إلى السياسة والعمل فيها.

٢ ـ الأحزاب الثلاثة لم تهتم بقضايا المرأة!! وأين؟ في أهم أقطار أوروبا؟ فأي مساواة تلك.. وأي تحرر ذاك؟!

٣ ـ وهذه النائبة السابقة لرئيس حزب المحافظين تصدر عن فطرتها فتعلن أن «مجلس العموم ليس بالمكان الأنسب للمرأة.. وأن لدى المرأة أمورًا كثيرة أخرى.. غير الساعات التي نضيعها في البرلمان».

* * *

موغابي والمرأة

روبرت موغابي، رئيس وزراء زيمبابوي، شنَّ قبل عدة أشهر هجومًا حادًا على الإفريقيين من الرجال. . وعلى التقاليد البالية، وقال: إن هذه الأمور هي السبب في إذلال المرأة واضطهادها.

وقال أمام حشد كبير في مدينة هراري بمناسبة اليوم العالمي للمرأة الذي ترعاه الأمم المتحدة: إن المعتقدات القديمة «بدائية» وتعمل على عدم إنصاف المرأة.

ووجه موغابي هجومًا ضد الكنيسة الكاثوليكية التي هو عضو فيها، وذلك لعدم قبولها تنصيب النساء في مراكز قساوسة.

وقال: الرجال في إفريقيا ينظرون إلى زوجاتهم كأشياء خسيسة ويعاملونهن كدواب الحمل. . أكثر مما يعاملونهن كشريكات حياة.

واضح أن الرئيس موغابي غير راض عن وضع المرأة من ثلاث جهات:

- المعتقدات الإفريقية القديمة التي لا تعطي المرأة مكانة لائقة.
- الكنيسة الكاثوليكية التي لا تراها أهلاً لاحتلال مراكز القساوسة.
- معاملة الأزواج لزوجاتهم معاملة أقرب إلى معاملة الحيوانات. . منها إلى معاملتهن كشريكات حياة.

وهكذا، أختنا حواء تعاني المرأة في كل مكان، ولن ينقذها مما تعاني غير

الإسلام الذي ردّ إليها كرامتها، ووضعها في مكانتها الإنسانية، وأمر الرجل بالإحسان إليها حتى أن آخر ما أوصى به الرسول الكريم ﷺ . . كان المرأة.

* * *

الأطفال.. وغياب الآباء والأمهات

سيام سافا المدير التنفيذي للرابطة الوطنية لمديري المدارس المتوسطة في الولايات المتحدة، أعرب عن رأيه في إهمال الآباء لأطفالهم بقوله:

«إن الطفل يرجع من يومه في المدرسة، وهو متحمس جدًا للقاء أحد أبويه، كي يحكي له ما حدث في المدرسة.. وعندما لا يجد هذا الطفل من يحدثه عن مغامراته الطفولية في المدرسة.. يشعر بالحزن الشديد.. ويتأثر نفسيًا دون أن يظهر عليه ذلك».

ولقد جاء في تقرير أصدرته الحكومة الأمريكية أن ٧٪ من الأطفال (٧ملايين طفل) (٥إلى ١٣ عامًا) يرجعون من مدارسهم إلى منازلهم الخالية ينتظرون وحدهم عودة الآباء والأمهات من العمل. خمسة ملايين من هؤلاء الأطفال يجدون المربية أو الجارة، ومليونان لا يجدون أحدًا ويقومون برعاية أنفسهم.

هوارد كارول من معهد التعليم الوطني قال: إن بقاء ١,٢ مليون طفل دون رعاية يوميًا حتى ولو لساعات قليلة أمر خطير ويجب على المسؤولين إنذار الآباء أو إيجاد حلول مناسبة للمشكلة.

أختي المسلمة..

هذا حال مليوني طفل في أمريكا.. خرج آباؤهم وأمهاتهم إلى

العمل . . وتركوهم يعودون من مدارسهم إلى بيوت خالية . . ولو لساعات قليلة .

فهل تريدين تكرار مأساتهم عندنا؟

هل ترضين أن يحرم الأطفال حنان وعطف الآباء والأمهات معًا ويفقدون الرعاية والرقابة؟

إنها دعوة للتأمل والتدبر . . فهل تتأملين وتتدبرين . . ثم تتجنبين ما وقعوا فيه؟!

* * *

ميريل ستريب

الممثلة السينمائية «ميريل ستريب»، قالت في مقابلة صحفية نشرتها جريدة السياسة[1] :

ـ «أريد طفلة بعدما بلغ ابني هنري الثلاث سنوات، لكنني أخاف إذا ما أنجبت طفلة أنثى أن تصبح ممثلة، وإذ ذاك تكون الثروة الوحيدة التي تركتها لها.. آلامًا في الرأس.. آلامًا في القلب.. آلامًا في الحلم».

« قد تستغرب كلامي هذا مع أنه يصدر عن ممثلة تعيش حياة هادئة، فوضعي الأسري هادئ جدًا، لكن عليَّ أن أكون أمام الكاميرا، حتى أن عيني طفلي أراهما أحيانًا وكأنهما الكاميرا وقد تسلطت على كل تحركاتي».

«وأنت ـ باعتبارك صحفيًا ـ تعرف، دون شك، مدى الضياع الذي تعاني منه الكثيرات. لقد قالت لي أنغريد برغمان ـ ممثلة مشهورة أيضًا ـ ذات يوم: (حياة الممثلة هي الانتحار في كل ثانية)، وكل ما أرجوه أنا أن يصبح الانتحار كل ساعة حتى يبقى أمامنا هامش، ولو محدود، للفرح».

وحين سألها الصحفي: ما هي مشاريعك المقبلة؟ أجابت:

ـ «مشروعي الوحيد، في الوقت الحاضر، هو طفلي الذي سيأتي إلى هذا العالم بعد أربعة أشهر فقط. ولا أعتقد أنني سأفعل شيئًا قبل عام. لأنني أريد

---

(١) العدد الصادر في ٨/ ٩/ ١٩٨٣م.

لطفلي أن يحفظ وجهي جيداً . . فأنا لا أحب الأم «الزائرة».

ثم تقول :

- «المرأة التي تنزلق كليًا إلى السياسة لا تعجبني ، فأنا لا أستطيع أن أنظر إلى السيدة مارغريت تاتشر إلا كونها رجلاً يملك شعرًا طويلاً وملامح رقيقة . ربما كانت السياسة ضد المرأة أو ربما كانت السلطة ضد المرأة . وأنا أتساءل : كيف يعيش السيد تاتشر في ظل . . رئيسة الوزراء؟» .

وحين قال لها الصحفي : (إنه سعيد جدًا كما يقول) . قالت ميريل ستريب : «لا أعتقد ذلك . . ربما كان أتعس رجل على وجه الأرض» .

عزيزتي حواء :

ما تقولين في هذه الشهادة الجديدة . . من ممثلة شهيرة . . جميلة؟

لقد أردت أن أتوقف عن نقل هذه الشهادات إليك . . فهي كثيرة . وتكاد لا تغيب عن لسان امرأة . . أي امرأة ، وإذا لم تعلن امرأة هذا . . فإنه كامن هناك داخلها . . في فطرتها .

لنتأمل معًا الآن شهادة «ميريل ستريب» :

إنها - أولا - تؤكد أن حياة التمثيل انتحار ، انتحار كل ثانية ، انتحار ليس فيه هامش للفرح . وأن كثيرات من الممثلات يعشن في ضياع . وهي لهذا تخشى أن ترزق بطفلة فتصبح ممثلة تترك لها (آلامًا في الرأس ، والقلب ، والحلم) .

وعلى الرغم من أنها ـ ثانيًا ـ تعيش حياة أسرية مستقرة هادئة . . فهي لا تريد أن تبتعد عن طفلها القادم . . وهي لا تحب الأم «الزائدة» ! ـ وما أكثر الأمهات الزائرات في زماننا هذا ـ! فكل ما يجلبه لها التمثيل من مال وشهرة . . لا يمكن أن يشدها بعيدًا عن طفلها .

وهي ـ ثالثًا ـ لا ترى انسجامًا بين المرأة والسياسة . . حتى أنها تنظر إلى السيدة تاتشر نظرتها إلى رجل يملك شعرًا طويلاً وملامح رقيقة . وتؤكد حاجة الرجل النفسية إلى امرأة يسكن إليها حين ترى أن السيد تاتشر أتعس رجل على وجه الأرض . . ! لأنه طبعًا لا يمكنه أن يسكن إلى زوجته المشغولة بعملها السياسي دائمًا . . !

الفطرة تتحدث على لسان امرأة غير مسلمة ، غير محجبة ، ممثلة . . ولا يمكن لأحد أن يصفها بالرجعية .

فتأملوا .

* * *

أحد مجالس الأمم المتحدة
يرفض إعداد دراسة عن المرأة المسلمة

رفض المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة توصية بإعداد دراسة خاصة عن حقوق المرأة في الإسلام. صدرت التوصية عن لجنة خبراء متابعة الاتفاقية الخاصة بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة.

عقدت اللجنة اجتماعها السنوي مؤخراً في جنيف واستمعت إلى تقارير عن أوضاع المرأة في ثماني دول.

تعرضت بعض الدول الإسلامية للهجوم بدعوى أنها تمارس التمييز ضد المرأة أو أنها تتحفظ على بعض مواد الاتفاقية.

تصدت للهجوم السفيرة ميرفت التلاوي رئيسة قسم المنظمات الدولية بوزارة الخارجية المصرية، وقالت: إن كثيراً من الأعضاء في لجنة الخبراء لم يدرسوا الإسلام، لم يتعرفوا على الحقوق المتميزة التي منحها الإسلام للمرأة، وهي حقوق تفوق كثيراً الحقوق التي منحتها الدول «المتقدمة».

وأضافت: إن بعض الخبراء متحيزون ضد الإسلام، نتيجة لميراثهم الثقافي، وبالتالي يغالطون في تقرير تجاوزات وردت في تقارير المتابعة.

وتذكر أنها أكدت مراراً أمام اللجنة؛ أن الإسلام منح المرأة كثيراً من الحقوق، منها على سبيل المثال: حق الاستقلال بالثروة وإدارتها ـ حق الإرث

ـ حق اختيار الزوج . . ولا صحة لزواج دون موافقة المرأة ـ إضافة إلى حق الاحتفاظ بالهوية المستقلة عن الزوج ، فالمرأة في الإسلام تحتفظ باسمها واسم عائلتها . . ولا تفقد هويّتها بمجرد زواجها ، كما أن الإسلام يعترف للمرأة بحق العمل .

وأضافت السفيرة : لقد تمكنت بمجهود غير عادي أن أقنع اللجنة بإصدار توصية بإعداد دراسة خاصة عن حقوق المرأة في الإسلام . وتعمدت أن تكون الدراسة حاملة لشعار الأمم المتحدة ، حتى تكتسب المصداقية والحياد . وقصدت أن تكون الدراسة مرجعًا يقاس عليه ويحتكم إليه .

لكن ، للأسف الشديد ، هناك معارضة شديدة داخل المجلس الاقتصادي والاجتماعي لإعداد مثل هذه الدراسة ، بدعوى أن التركيز على بيان موقف أحد الأديان . . يلغي حياد المنظمة الدولية ويصمها بالتمييز ! !

* * *

من ينصر هذه الأخت؟!

«أنا طالبة في المرحلة الثانوية وعمري ١٧ سنة، توفي والدي قبل سنتين، وأعيش الآن مع أمي وأخي الوحيد، أعاني من مشكلة أتمنى أن أجد لها حلاً من العلماء أو القراء، فأنا فتاة متحجبة ومتمسكة بتعاليم الإسلام، ووالدتي غير متحجبة وتطالبني يوميًا بنزع الحجاب إلى درجة أنها منعتني العام الماضي من مواصلة دراستي في الصف الثاني الثانوي وجعلتني أفقد سنة كاملة من حياتي التعليمية، فهي خيرتني بين الدراسة والحجاب. . فاخترت الحجاب.

والأدهى من ذلك أن أخي يطالبني يوميًا بنزع الحجاب لأنني «أفشله» أمام أصدقائه أثناء جلوسهم في المنزل ويطالبني بأن أحضر المأكولات بنفسي إلى أصدقائه ونزع الحجاب أثناء الدخول.

فماذا أفعل إذا كانت والدتي بعد وفاة والدي الذي كان يناشدني ارتداء الحجاب. . بدأت تضايقني وتمنعني من الخروج إلى أقارب والدي. . وكل مرة أسألها عن السبب في هذه التصرفات تقول: إذا نزعت الحجاب فسوف أعاملك باللطف واللين.

فهل أطيع والدتي وأخي وأنزع الحجاب. . أم أصبر على كل هذه التصرفات بسبب ارتدائي للحجاب؟ أفيدوني أفادكم الله».

هذه الرسالة من قارئة وقعت عليها باسم «حنان»، ونشرتها جريدة

«القبس» في عددها رقم ٥٤٩٦ الصادر في ٨/ ١/ ١٤٠٧هـ الموافق ١/ ٩/ ١٩٨٧م، في زاوية «الباب المفتوح» الذي يشرف عليه الزميل أحمد شمس الدين.

ونلاحظ أن أطراف هذه المشكلة ثلاثة أشخاص + مفاهيم اجتماعية مسيطرة. الأشخاص الثلاثة هم: الفتاة المتدينة، المتحجبة، المطيعة لربها ـ الأم الأرملة التي أصبحت ربة الأسرة بعد وفاة الأب.. وهي غير مطيعة لإسلامها على الأقل في الحجاب ـ الأخ الشاب الذي يريد من أخته نزع حجابها مستفيداً من وفاة والده الذي كان يحض على الحجاب.. ومستعيناً بأمه التي تؤيده في دفع أخته لنزع حجابها.

الفتاة المتحجبة، صاحبة الرسالة، لا تجد لها أنصاراً على الحق بعد وفاة والدها، ويبدو أنها تريد زيارة أقارب والدها لتتقوى بهم.. إلا أن والدتها تمنعها من هذا.. ولا تسمح لها به إلا إذا نزعت حجابها.

الأم والأخ الشاب يخضعان لمفاهيم اجتماعية مسيطرة ترى في الحجاب دلالة على عدم التقدم.. أو إشارة إلى «الرجعية» «المخجلة»!! وهذا ما يظهر في إحراج الإم لابنتها بتخييرها بين متابعة دراستها وبين الحجاب. ويظهر أيضًا في الشاب الذي يرى أن أخته «تفشله» أي تخجله وتحرجه أمام أصدقائه بسبب حجابها!

المهم لا نملك أن نقول للفتاة إلا مايلي:

أولاً: اعلمي أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وليس لك أن تطيعي والدتك وأخاك في معصية الله سبحانه بنزع الحجاب.

ثانيًا: إذا لم تجدي لك أنصاراً من الناس على الحق الذي أنت عليه فإن الله ناصرك ومؤيدك إن شاء سبحانه، فاثبتي ولا تتراجعي.

ثالثًا: لقد أصبت بإثارة قضيتك وإعلانها، مادامت أمك قد حالت بينك وبين أقاربك من طرف والدك. ليعلم الناس كيف أن بعض المتدينات يحاربن في دينهن.. ومن أقرب الناس إليهن.

وتبقى كلمة لأمك: كيف تواجهين الله أيتها الأخت حين يسألك رب العزة عن حجابك.. وحجاب ابنتك؟ ألست راعية في بيتك ومسؤولة عن رعيتك؟ فهل تضيعين الأمانة؟ ارجعي إلى رشدك.. وكوني عونًا لابنتك على الطاعة.. لا عونًا للشياطين على عصيانها؟

وكلمة أخرى لأخيك الشاب: لتكن لك من أختك قدوة حسنة تتبعها، ولا تنسق وراء أهواء أصدقائك، ولا تخضع لمفاهيم اجتماعية مستوردة من هناك.

ثبتك الله يا أخت، وأيدك، ونصرك، وكان معك.

البقرة المطاردة..!

«سألت إحدى الأمهات طبيب العائلة: لماذا لا تجد أمهات هذا الجيل حليبًا كافيًا لإرضاع أطفالهن؟

فصمت الطبيب لحظة وقال:

تصوري بقرة ظللنا نطاردها في الحقول بأقصى سرعتها.. إنها لن تدر حليبًا عند عودتها في المساء إلى الحظيرة، وهكذا أمهات اليوم يا سيدتي».

نعم، هكذا أمهات اليوم، تخرج الواحدة منهن في الصباح، مع الرجال، تبذل جهدها وعافيتها، تحتمل شمسًا لاهبة، أو بردًا قارصًا، وتكابد وتكابد، صابرة، راضية أو مرغمة؛ لأن عليها آخر النهار أن تظفر بأجرها، وإن لم تتسلمه إلا في آخر الشهر.

كيف لهذه المرأة أن تجد في ثدييها حليبًا ترضع أطفالها به؟ بل كيف لها أن تجد وقتًا ترعى فيه أطفالها، وتمنحهم حبها وعطفها، وتشملهم بعنايتها؟

وكيف لأطفالنا أن ينشأوا النشأة السليمة، وهي بعيدة عنهم؟ وأن تشبع نفوسهم بالحنان، والمربية أو الخادمة هي التي تدبر أمورهم؟!

ولهذا، فعلينا ألا نعجب إذا وجدنا أمهات هذا الزمان لا يلدن الرجال، الرجال الذين أداروا دفة الحياة، وقادوها نحو أمجاد، ننام اليوم على قراءتها في كتب التاريخ.

إن قراءة حيوات أولئك الرجال الأفذاذ، وتصفح سيرهم، توضح دور الأمهات في صنع هؤلاء الرجال العظام، ودفعهم، من ثم، لتحقيق الأمجاد لأممهم.

* * *

أختي الحامل...
لطفًا.. اقرأي هذا الكلام

نظمت اللجنة العلمية في المستشفى الإسلامي في عمان بالأردن ندوتها الخامسة بعنوان «العناية بالمرأة الحامل» شارك فيها الدكتور أحمد الترعاني والدكتور محمد علي الجعبري.

ومن الأمور الهامة التي وردت في الندوة وننقلها للأخت القارئة:

ـ قد يحدث الحمل بدون حيض سابق، كما يحدث بعد الولادة، وقد يحدث أن تحيض المرأة مرة أو مرتين بعد الحمل.

ـ الغثيان يعطي علامة على إمكانية الحمل ولكن الغثيان أحيانًا قد لا يصيب كل امرأة حامل.

ـ تأتي حركة الجنين في الشهر الخامس عادة علامة أكيدة على الحمل، وحركة الجنين غير مستمرة طيلة النهار، لذا فإن عدم شعور الحامل بحركة الجنين ليوم أو أكثر لا يعني أن الجنين فقد الحياة.

ـ كمية الأكل يجب أن تكون طبيعية.. تمامًا كما كانت قبل الحمل، بل على العكس.. يجب تجنب أكل الحلويات والشوكولاتة والمياه الغازية؛ لأن فيها سعرات حرارية تؤدي إلى ترسب الدهن تحت الكبد.

ـ الحليب من المواد الأساسية التي يجب على الحامل تناولها بمعدل ليتر

واحد يوميًا.

ـ الخضارة، وخاصة التي تحتوي على الحديد مثل السبانخ والفاصوليا والملفوف واللفت والبازيلا والبندورة (الطماطم) ضرورية للمرأة الحامل. وكذلك الحمضيات وباقي الفواكه لوجود الفيتامينات فيها وبخاصة فيتامين سي.

ـ على الحامل أن تكثر من شرب السوائل (٦ ـ ٨ كؤوس) فهذا يحافظ على الجهاز البولي ويحميه من الالتهابات.

ـ يجب أن تكون الألبسة التي ترتديها الحامل فضفاضة وغير ضاغطة.

ـ تنصح المرأة الحامل بممارسة التمارين الرياضية البسيطة غير المرهقة للجسم.. وأهمها رياضة المشي.

ـ للتخفيف من التشققات الجلدية التي تصيب الحامل.. تنصح باستعمال بعض الكريمات.. أو زيت الزيتون مع مساج يومي مدة عشرة دقائق صباحًا وعشر دقائق مساءً.

* * *

هذا هو المجتمع الذي يدعونك لتقليده

الدكتور محمد علي البار ـ المستشار في مركز الملك فهد للبحوث الطبية ـ ألقى في المستشفى الإسلامي في عمان بالأردن مؤخراً محاضرة قيمة عن العلاقات الجنسية المحرمة والأمراض الناتجة عنها، مدعمًا كلامه بالإحصائيات الموثقة وبالشرائح المصورة.

ونرى أختي المؤمنة أن من المهم أن ننقل لك إشارات هامة وردت في محاضرة الدكتور البار، وهي جميعها تزيدنا إيمانًا بشريعة الله الخاتمة.. رسالة الإسلام العظيم:

ـ إن الأوبئة الجنسية كانت تنتشر في جميع الأقوام الذين كانوا يروجون الفاحشة ويتباهون بها، ولقد تسببت هذه الأوبئة في موت الملايين، أما في وقتنا الحاضر، ونتيجة حتمية لانتشار الفاحشة وإعلانها والتباهي بها.. فإن الأمراض التي نتجت عن هذه الإباحية (الفاحشة) أصبحت معروفة ولا يقتصر انتشارها على الغرب.. وإنما تنتشر في جميع المجتمعات التي تعلن الفاحشة وتتباهي بها.. وإن كانت المجتمعات الغربية تستأثر بالحجم الأكبر.

ـ تكاد الأمراض الجنسية أن تستعصي على العلاج، فالعلم والطب توصلا في فترة ما إلى إيجاد علاج لمرض الزهري، وظن أولئك أن الزهري قد أصبح مرضًا لا وجود له، فإذا بهم يفاجأون الآن بأن الزهري عاد من جديد ليفتك بالملايين من ممارسي الإباحية الجنسية في مختلف أنحاء الأرض.

ـ ظهرت أمراض جنسية لم تكن معروفة من قبل، فبرز وباء الإيدز (مرض نقصان المناعة) كأبرز مثال على أن النتيجة الحتمية معه لابد أن تكون مرضًا جنسيًا وبائيًا يستعصي على العلاج.

ونحن ـ المسلمين ـ نعتقد اعتقادًا جازمًا أن انتشار هذا المرض وغيره كالهربس والزهري والسيلان والإيدز إنما هي شكل من أشكال العقوبة الربانية الدنيوية، وذلك تصديقًا منا لحديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: «**ما فشت الفاحشة في قوم واستعلنوا بها إلا فشت فيهم الأمراض التي لم تكن في أسلافهم**».

ـ ركز الدكتور في حديثه على الدور الخبيث الذي يلعبه اليهود في نشر الفاحشة والترويج لها، حيث أورد أمثلة كثيرة موثقة عن دور اليهود من كتاب وإعلاميين وسينمائيين وأساتذة جامعات وغيرهم في تأجيج الحملة الداعية إلى التحلل الخلقي والانفلات الجنسي في المجتمعات الغربية بشكل خاص.

ـ ومن الصرعات الجنسية التي يروج لها اليهود نكاح المحارم، وقد بث التلفزيون الأمريكي في كانون الثاني عام ١٩٨٤م فيلمًا يصور علاقة محرمة بين أب وابنه.

وذكرت الصحافة الأمريكية أن عدد الفتيات اللواتي كانت لهن علاقات جنسية بآبائهن يزيد على ١٢ إلى ١٥ مليون فتاة.

ونشرت الهيرالد تربيون تقريرًا يفيد أن ١٠٪ من الأسر الأمريكية (المحترمة) تمارس نكاح المحارم. وأن الذين يمارسون الشذوذ الجنسي في أمريكا ويتباهون به يزيد على ٢٠ مليونًا.

ـ أشار إلى أن عدد المصابين بالسيلان ٢٥٠ مليونًا في العالم، وعدد المصابين بمرض الكلاميديا الجنسي يزيد عن ٤٠٠ مليون ، وبالزهري ٥٠ مليونًا ، أما الإيدز فإنه على الرغم من تحفظ معظم الدول التي ينتشر فيها هذا الوباء فمن المؤكد أن عدد المصابين به يعد بالملايين . هذا هو المجتمع الذي يدعونك ـ يا أخت ـ لتقلديه . . ـ فاحذري . . احذري!

• • •

بريطانيا وتعدد الزوجات

اقرإي معنا هذا الذي نشرته إحدى الصحف المحلية (القبس) في عددها رقم ٥٥٠٥ الصادر في ١٧/ ١/ ١٤٠٨هـ الموافق ١٠/ ٩/ ١٩٨٧م:

«يواجه الشباب البريطاني في القريب المنظور حالة صعبة ستفرض عليهم البقاء على العزوبية . . بسبب النقص في عدد الفتيات» .

وذكر تقرير نشره مركز الدراسات الأسرية أن عدد الذكور سيفوق عدد الإناث في عام ١٩٩٣م، وسيكون هناك ٢٨٤ ألف شاب (تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ ، ٢٩ سنة) أكثر من الفتيات .

وقال مالكلوم ويكن رئيس المركز: «في العهد الفكتوري بقي ثلث الفتيات دون زواج بسبب النقص في الرجال . . أما الآن فقد انقلب الوضع تمامًا» .

ويقول رئيس تحرير نشرة «سياسة الأسرة»: «من الممكن أن تكون المرأة ذات سلطة في علاقاتها مع الرجل؛ لأنها تعي قيمتها النادرة» . انتهى الخبر .

وأريد، أن أقف عند عدة دلالات لهذا الخبر من زاوية تتحسسين منها، وتكادين لا تتقبلينها، وهي زاوية: تعدد الزوجات .

يشير هذا الخبر إلى حالتين اجتماعيتين، شهدت إنجلترا إحداهما في العصر الفكتوري، وستشهد الأخرى في القريب العاجل . . إذا شاء الله .

ففي العهد الفكتوري بقيت ثلث نساء إنجلترا دون زواج . . بسبب زيادة أعدادهن ونقص أعداد الرجال ألم تكن هذه الحالة الاجتماعية سببًا في مشكلات كثيرة نجد تفاصيلها بقراءة أوسع للعهد الفكتوري؟ لقد كان أمام ثلث الفتيات في ذلك العهد خياران : إما أن تبقى إحداهن دون زواج . . وتصبح عانسًا ، وإما أن تكون عشيقة لرجل متزوج . وهما خياران أحلاهما مر . بينما كان تعدد الزوجات هو الحل الأمثل لثلث نساء إنجلترا في ذلك العهد .

فبقاء الفتاة دون زواج لتصبح عانسًا . . سيحرمها من فطرتها الأزلية : أن تستقر في بيت ، تحت رعاية زوج . ويكون لها أطفال .

وأن تصبح عشيقة لرجل متزوج ، لا يختلف كثيرًا عن أن تصبح عانسًا ، فهذه العلاقة ستبقى سرية ، ولن تلبي لها فطرتها في تأسيس بيت . . وأن ترزق بأطفال . بينما زواجها من رجل متزوج . . يمكنها من أن يكون لها بيت . . وأن ترزق بأطفال . . وأن لا تشعر باقتراف الإثم والذنب . . فلا تخفي زواجها .

نعود إلى الخبر لننتقل إلى الحال الثانية التي يتوقع الخبراء أن يؤول إليها المجتمع البريطاني بعد ست سنوات تقريبًا (١٩٩٣م) حيث سيكون هناك أكثر من ربع مليون شاب (٢٨٤ألفًا) دون زواج . . لأن هؤلاء زيادة على عدد الإناث في بريطانيا .

والسؤال الذي نطرحه : هل يمكن أن يكون هناك تعدد للزوجات؟ حتى وإن كان مباحًا في المجتمع البريطاني؟ ولا شك في أن الإجابة ستكون : لا ؛

لأن الفتاة يومها لن تقبل أن تتزوج من شاب متزوج والعزاب الذين يطلبون يدها كثيرون!

تعدد الزوجات إذن، كان حلاً لمشكلة اجتماعية في الحالة الأولى، وكان صعب التحقيق في الحالة الثانية.

وإذا كانت حال أي مجتمع وسطًا بين الحالتين السابقتين، أي إن عدد النساء قريب من عدد الرجال، فإن التعدد لن ينتشر كثيرًا، وسيكون قاصرًا على حالات المرض.. وعدم الإنجاب.. إلخ؛ لأن فرص التعدد قليلة.. فلو تزوج كل شاب.. لقل عدد الفتيات من غير زواج.. وقلت ـ من ثم ـ فرص التعدد.

رب سائل أو سائلة: وماذا يفعل ٢٨٣ ألف شاب بريطاني حين لا يجدون فتيات يتزوجونهن في عام ١٩٩٣م؟

والجواب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

وهذه حكمة أخرى، فكثير من المجتمعات يزيد فيها عدد النساء عن عدد الرجال.. فماذا يمنع البريطانيين أن يتزوجوا من المجتمعات الأوروبية الأخرى؟!

وسبحان الله..

* * *

دعوة من أديبة إلى تعدد الزوجات

دعوة إلى تعدد الزوجات.

لم تصدر عن رجل.

بل صدرت عن امرأة.

ولم تصدر عن امرأة عادية.. غير مثقفة.

بل صدرت عن كاتبة وشاعرة.. وهي زوجة وأم.

إنها الكاتبة الأردنية زليخة أبو ريشة.. أو خريجة جامعية في الأردن.

دعت في مقالة جريئة لها إلى تعدد الزوجات.

وقالت في حديث لمجلة «النهضة» ـ العدد ١٠٢٦ ـ : إن لديها قناعة بهذا الرأي، وهي لا تقوله بحثًا عن إثارة أو ضجة مفتعلة، ولكنها مؤمنة به.

تقول: «موقفي ينبع من درس للحياة وتأمل في المختنقات الخلقية في الممارسات المعاصرة، الرجل في علاقته مع أي امرأة، ينبغي أن يكون مسؤولاً».

«أحب امرأة أخرى؟ ليكن.. عله أن يسعى إلى الزواج بها لا استغلالها بصور شتى وتحت شعارات براقة: الحرية، الحب الدائم، الزواج مقبرة الحب.. إلخ».

* * *

كيف تختارين الألعاب لأطفالك

لا شك في أن معظم الأطفال ـ إن لم يكن جميعهم ـ يحبون الألعاب حبًا جمًا، ويكادون لا يكتفون منها، ويحرص أهلوهم على توفير ما يستطيعون شراءه منها . . لهم.

وهناك أمور ـ أختنا ـ يجب أن تنتبهي لها في اختيارك الألعاب التي تشترينها لهم:

ـ لا تشتري الألعاب التي يدخل في تركيبها مادة الرصاص.

ـ تجنبي الألعاب التي تكون فيها زوايا حادة أو قاطعة.

ـ ينبغي أن يكون وزن اللعبة متناسبًا مع سن الطفل . . فلا تكون اللعبة ثقيلة عليه.

ـ احذري الألعاب التي تصدر أصواتًا حادة مرتفعة . . فقد تشكل خطرًا على سمع الطفل أو تؤذيه.

ـ الألعاب التي يركب عليها الطفل ينبغي أن تكون ذات قاعدة كبيرة متوازنة تحول دون سقوطه.

ـ استبعدي الألعاب المحشوة بحشوات صغيرة يمكن أن تتناثر عندما تتمزق اللعبة.

ـ الأطفال الذين هم بين الثانية والرابعة من العمر يتعرضون لأخطار كثيرة

من الألعاب النارية، ويتعرض الذكور لهذه الأخطار أكثر من الإناث. .
لذلك لابد من بذل مزيد من الانتباه للأطفال في هذه السن.

- يجب عدم اقتناء الألعاب التي تعمل على التيار الكهربائي المنزلي للأطفال دون العاشرة.

* * *

أجل.. أنت تقدمية

إذا دعونا إلى تفرغ المرأة للعمل في بيتها، ترعى زوجها وتربي أطفالها قالوا لنا: إن هذه «رجعية»، وأن على المرأة أن تعمل مع الرجل جنبًا إلى جنب.. لأن عملها مع الرجل خارج بيتها تقدم وتمدن..!

ونحن نقول لهم: إن العكس هو الصحيح، أن تفرغ المرأة للعمل في بيتها غاية التقدمية. وعملها مع الرجل خارج بيتها غاية الرجعية.

عودوا معنا إلى العصور الحجرية إن شئتم، حين كانت المرأة تعمل مع الرجل، لا فرق بينهما، ولا تخصص في عمل كل واحد منهما. حتى إذا ما تقدم الزمان، وتوالت العصور، اختص الرجل بالعمل خارج البيت، واختصت المرأة بالعمل داخله.

يقول هنري ماريون: «إن هذا التمييز لم يلبث أن ازداد وضوحًا.. فتقسمت الأعمال شيئًا فشيئًا، وتخصص الجنسان في أعمالهما، ولا سيما بعد استقرار الزواج. فقد ثبت المرأة في وظيفتها المنزلية وأقرها على إدارة مملكتها البيتية، في حين أتاح للرجل أن يعمل في الخارج للارتزاق، بالغزو أو الصيد أو الزرع، أو غير ذلك من الأعمال الرجلية، التي تميزت تدريجًا عن أعمال النساء»[١].

---

(١) هنري ماريون ـ خلق المرأة ـ دار الرائد العربي ـ ١٤٠٢، ١٩٨٢م ص١٨.

«بل إن هذا القياس - قياس التمدن بدرجة التخصص - يصح اعتماده أيضًا للمقارنة بين الدول الحديثة، فإذا نظرنا إلى الأمم الأوروبية الحاضرة، أو إلى أهل مقاطعات مختلفة في الأمة الواحدة، وجدنا أن أرقاها في الحضارة والمدنية، أبعدها في تمييز الجنسين الواحد عن الآخر، وأكثرها تقسيمًا للوظائف والأعمال بينهما . .

والعكس بالعكس. ففي المدن الغربية الكبرى حيث يبلغ الرقي أعلى درجاته تجد التخصص والتفارق في أتم صورهما. أما في المزارع والحقول فالحال بخلاف ذلك . . إذ تجد أوجه الشبه كثيرة بين الرجل والمرأة في الأعمال والعادات والأخلاق بل وفي المظهر الجسدي أيضًا»[(١)] .

هلا لاحظت، عزيزتي حواء، كيف أن تخصصك في أعمال البيت، غاية في التقدم، وأن خروجك للعمل مع الرجل . . عودة إلى الوراء.

تبقى إضافة هامة، وهي أن الإصرار على إخراج المرأة من بيتها، حتى عند تلك الأمم التي بلغت ما بلغت من التمدن، سيؤدي، بلا شك، إلى التراجع إلى الخلف. كما يقول هنري ماريون: «إننا نرى أحيانًا في أرقى الجماعات البشرية، في أقصى ما بلغه الترفه والتمدن، نوعًا من المعيشة تكاد تمحى فيه الفروق بين الجنسين، إذ تشترك النساء في مهام الرجال وملاهيهم، كما أن هؤلاء يشاركون أولئك في تخنثهن ورخائهن . . فتلك المعيشة المخالفة لسنة الطبيعة[(٢)] ليست إلا نذيرًا بالتقهقر والانحلال الاجتماعي»[(٣)] .

(١) هنري ماريون - خلق المرأة - دار الرائد العربي - ١٤٠٢، ١٩٨٢م ص١٨ .

(٢) بل سنة الله سبحانه .

(٣) خلق المرأة ص١٨ .

ومن اليابانية درس آخر

تحت عنوان «المرأة اليابانية خائفة على نفسها من السماح باستخدام حبوب منع الحمل» نشرت إحدى الصحف المحلية خبرًا مطولاً نقلته وكالات الأنباء العالمية، عن قرار الحكومة اليابانية باستخدام أقراص منع الحمل. . بعد نقاش استمر عشرات السنين.

جاء في الخبر أن «القلق ينتاب نساء كثيرات، إنهن يخشين أن تؤدي هذه الخطوة إلى مزيد من التدني لمركز المرأة في المجتمع الياباني المحافظ».

ويضيف الخبر: «ويظهر مسح أجرته إحدى الصحف أن ٣٥ في المائة فقط من النساء المتزوجات يرحبن بهذه الخطوة، و١٣ في المائة غير راغبات في استخدامها لخوفهن من الآثار الجانبية.

وقالت ياريكو شينو مسؤولة الاتحاد الياباني لتنظيم الأسرة لوكالة رويتر: «إن الآثار الاجتماعية لاستخدام الأقراص. . أكثر خطورة من آثارها الجانبية البدنية».

ويقول المشتغلون في ميدان تنظيم الأسرة ـ أطباء ومسؤولون ـ: إنهم يخشون أيضًا تدهور الأخلاقيات الجنسية. . إذ أصبح في استطاعة النساء السيطرة على خصوبتهن باستخدام الأقراص.

وانتشر استعمال أقراص منع الحمل في الغرب في الستينات. . ولكن

إدخاله إلى اليابان تأخر لأسباب يرجع معظمها إلى الخشية من آثارها الجانبية طبيًا وأخلاقيًا. حتى قبل السماح باستعمال أقراص منع الحمل. . هبط معدل المواليد في اليابان باطراد ولعدة سنوات. . ووصل إلى ٤ , ١١ في الألف في العام الماضي. . وهو أقل معدل منذ عام ١٨٩٩م. أما تعليقنا على هذا الخبر. . فنحاول إيجازه فيما يلي:

١ ـ لعل كثيراً من الناس كانوا لا يعلمون أن اليابان تحظر استعمال أقراص منع الحمل، ولا شك في أنهم فوجئوا حين قرأوا هذا الخبر. وهذا يفسر، بعض الشيء، نجاح المجتمع الياباني في المحافظة على أخلاقه وعاداته الاجتماعية، منذ الحرب العالمية الثانية، رغم التقدم الصناعي الهائل الذي حققه في تلك الفترة. وهذا بدوره يجعلنا نسأل دعاة تقليد الغرب في بلادنا: لماذا لا تفعلوا مثل اليابان أخذت من الغرب تقدمه الصناعي وسبقته فيه. . دون أن تضطر إلى تقليده في تحرره وانفلاته الاجتماعيين؟

لماذا إذن تصرون على اقتفاء خطى الغرب في المجتمع، وترونه ملازمًا لاقتفاء خطاه في الصناعة؟

٢ ـ جاء في أول الخبر أن النساء اليابانيات يخشين أن يؤدي السماح بتداول أقراص منع الحمل. . إلى مزيد من التدني لمركز المرأة في المجتمع الياباني المحافظ.

ترى لو نسبت هذه الخشية إلى النساء المسلمات في بلادنا. . فكيف ستكون ردة فعل رافعي شعارات «تحرير المرأة» و«تقدمها». . ؟

سيقولون: ما هذه الرجعية؟ أو يقولون: لماذا تخاف المسلمة من أقراص

منع الحمل.. وما هذه العقد؟ أو يدعون إلى إسكات «الرجعيين» الذين يحولون دون تقدم النساء في بلادنا ويقولون: لهذا نحن متأخرون!

أما وقد صدر هذا الكلام عن النساء اليابانيات فإن جميع الألسن تخرس.. ولا تنبس ببنت شفة. فمن يستطيع أن يقول إن المرأة اليابانية سبب في تأخر اليابان.. واليابان سبقت أمريكا وأوروبا؟!

٣ـ الخشية الأخرى صدرت عن المشتغلين في تنظيم الأسرة ـ أطباء ومسؤولين ـ إنهم يخشون تدهور الأخلاقيات الجنسية.. إذ أصبح في استطاعة النساء السيطرة على خصوبتهن باستخدام الأقراص، كما جاء في الخبر.

ونحن نؤكد على هذه الخشية، بل نضع تحتها خطًا أحمر! أتراهم ـ في أمريكا وغيرها ـ عجزوا عن سبق اليابان في تفوقها الاقتصادي.. فأرادوا أن يهزموها بإفساد مجتمعها المحافظ؟!

* * *

ثروة المرأة المهدرة

يقولون: إن المجتمع المسلم يخسر كثيراً من طاقاته ببقاء المرأة في البيت وعملها فيه. . !

ويقولون أيضًا: إن المجتمع الغربي استثمر كل طاقاته البشرية حين أخرج المرأة من بيتها لتعمل مع الرجل. . في المكتب والمتجر والمصنع!

صحة هذا القول تقتضي أن عمل المرأة في بيتها لا قيمة اقتصادية له، وأنها فرد عاطل في المجتمع. . غير منتج.

وصحة هذا القول أيضًا تقتضي أن الرجال جميعهم يعملون. . وأن هناك أعمالاً ووظائف شاغرة تبحث عمن يشغلها فلا تجد أحداً.

ولما كانت المقدمتان الأخيرتان غير صحيحتين. . كانت النتيجة الأولى غير صحيحة أيضًا.

أي إن عمل المرأة في بيتها ذو قيمة اقتصادية عالية، وإنها ليست فرداً عاطلاً مادامت منصرفة إلى رعاية زوجها وأولادها. . موفرة لهم حاجاتهم المختلفة.

تعالي نقرأ معًا تقريراً للأمم المتحدة يؤكد هذه القيمة الاقتصادية لعمل المرأة في البيت، جاء في التقرير:

«لو أن نساء العالم تلقين أجوراً نظير القيام بالأعمال المنزلية، لبلغ ذلك

نصف الدخل القومي لكل بلد، ولو قامت الزوجات بالإضراب عن القيام بالأعمال المنزلية لعمت الفوضى العالم: سيسير الأطفال حفاة عراة دون رعاية في الشوارع، ويرقد الرضع في أسرتهم جياعًا تحت وطأة البرد القارس، وستتراكم جبال من الملابس القذرة دون غسيل، ولن يكون هناك طعام للأكل ولا ماء للشرب.

لو حدث هذا الإضراب.. فسيقدر العالم أجمع.. القيمة الهائلة لعمل المرأة في البيت».

ويمضي تقرير الأمم المتحدة الذي صدر في عام ١٩٨٥م فيشير إلى أن «عمل المرأة المنزلي غير منظور لدى الكثيرين.. وأن المرأة لا تتلقى أجرًا نظير القيام بهذا العمل. إن هذا العمل حيوي وعلى جانب عظيم من الأهمية.. غير أن هذه الساعات الطويلة من عناء المرأة في المنزل لا يدركه الكثيرون.. لأنه بدون أجر».

ويقول التقرير أيضًا: «إن المرأة لو تقاضت أجرًا لقاء القيام بأعمالها المنزلية لكان أجرها أكثر من ١٤,٥٠٠ دولار في السنة.. لأن هذا الأجر هو المطلوب دفعه لمن سيقوم بأعمال ربة البيت في المنزل. وأن النساء الآن في المجتمعات الصناعية يساهمن بأكثر من ٢٥٪ إلى ٤٠٪ من منتجات الدخل القومي.. بأعمالهن المنزلية».

وإذا كان تقرير الأمم المتحدة هذا قد أشار إلى القيمة الاقتصادية المقابلة لعمل المرأة في البيت، فإن هناك ثمرات اقتصادية أخرى غير مباشرة لعملها في البيت وإعفائها من العمل خارجه.

ولا بأس من الإشار هنا إلى بعض هذه الثمرات إشارات عاجلة :

أولاً: بقاء المرأة في البيت يحافظ على النسب المنخفضة لجرائم المرأة . . ويحول دون زيادتها . . ونضرب مثلاً بإحصائية رسمية صادرة عن الدوائر الأمنية في مدينة نيويورك جاء فيها أن الجرائم المختلفة التي ترتكبها عناصر نسائية في الولايات المتحدة زادت تصاعديًا بشكل خطير بنسبة ١٩٠٪ خلال الخمس عشرة سنة الماضية . وعزت الصحيفة التي نشرت الإحصائية هذه الزيادة في الجرائم النسوية إلى موجة التحرر التي تعيشها النساء في الولايات المتحدة .

ثانيًا : المرأة العاملة أكثر عرضة للإصابة بالأمراض العضوية والنفسية معًا، وكما جاء في ندوة نسائية عقدت في الإسكندرية . . وعلى لسان عالمة الطب النفسي : إن المرأة العاملة العصرية أصبحت معرضة للانهيار العصبي أكثر من مرة . . لأنها أصبحت تلهث وراء العمل في المنزل وخارجه . . وهي لا تستطيع الجمع بينهما فتشعر بالعجز .

ويعقب صحافي نقل أحاديث الندوة النسائية بقوله : إنه سبق أن قرأ كتاب «مستقبل الزواج» للكاتبة الأمريكية (جيس برنارا) التي تقرر بأن الحياة الزوجية مع العمل الخارجي للمرأة . . يصيبها بمجموعة من الأمراض : كالانهيار العصبي، والاكتئاب، والأرق، والجمود، والصرع، والغثيان، واضطراب ضربات القلب . وقالت مديرة لإحدى المصحات المدرسية : إنه من واقع تعاملها مع قطاع كبير من المدرسات . . وجدت أن عصبية المرأة العاملة الناتجة عن الإرهاق . . تؤدي إلى إصابتها بمرض السكري فكثير من حالات هذا المرض ظهرت بين السيدات بعد صدمة عصبية أو حالة نفسية

سيئة.

ثالثًا: ولعله أهم أثر لخروج المرأة من بيتها ـ ضياع الأطفال.

لقد نشرت صحيفة «الديلي اكسبريس» البريطانية تقريراً أعدته إحدى جمعيات أطفال ما قبل المرحلة الابتدائية، جاء فيه: «إن الأمهات اللواتي يخرجن من منازلهن من أجل العمل يرتكبن خطأً كبيراً.. إذ إن الأطفال ينشؤون كسالى.. ويتهربون من أداء الواجبات.. ويتغيبون عن المدارس بدون أعذار، كما أن الأطفال الذين يتربون على أيدي المربيات ودور الحضانة ينشؤون وقد فقدوا حنان الأم وعطفها واهتمامها».

ويضيف التقرير: «إن العديد من السيكولوجيين يعتقدون بأن جذور التهرب من أداء الواجب والميل إلى التخريب.. تكمن في إخفاق طرق التربية لأطفال ما قبل سن المدرسة.. فالأطفال في تلك المرحلة من حياتهم يحتاجون إلى الشعور بالأمن تحت رعاية أمهاتهم، أما في حالة تسليم رعاية الأطفال لغير أمهاتهم فإن أولئك الأطفال يفقدون احترامهم لأنفسهم ولوالديهم».

وخُتم التقرير بالقول: «إننا نأسف لشد الأسف لحالة الأمهات اللواتي يتركن أطفالهن من أجل العمل والحصول على بعض المبالغ من المال».

ودعت الجمعية التي أصدرت هذا التقرير إلى مساعدة الأسر المحتاجة لضمان بقاء الأمهات في منازلهن.

وفي روما تشير الدكتورة «كارلا بيانتي» إلى التفكك الحاصل في بناء الأسرة وتقول: «من هنا نرى ازدياد الاهتمام في أوساط رجال التربية في

العالم بالعودة إلى الأسرة لتكون فيها تربية الطفل أولاً . . لكن ذلك غير قابل للتحقيق لسبب بسيط . . هو أن المرأة تحاول أن تجمع بين البيت والعمل» .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية صدر كتاب بعنوان : «أطفال بلا طفولة» للكاتبة الأمريكية «ماري واين» تناولت فيه أسباب افتقاد الأطفال الأمريكيين الشعور ببراءة طفولتهم، وأرجعت ذلك إلى ظاهرة الطلاق التي انتشرت في أمريكا خلال العشرين عامًا الماضية. إضافة إلى الحالة الاقتصادية الأمريكية التي اضطرت فيها المرأة إلى العمل وترك أطفالها بدون رعاية .

وتقول الإحصاءات إنه في كل عام يختفي مليون مراهق ومراهقة من بيوتهم في مختلف الولايات المتحدة الأمريكية. وتشكل الفتيات الهاربات نسبة أكثر من ٥٠٪ من المراهقين الذين يتركون بيوت أهاليهم ويعيشون في الشوارع دون أن يعرف أحد أماكنهم .

والأمر الذي يلفت النظر حقًا . . هو التجارب التي قام بها معهد بحوث علم النفس التربوي في جامعة ميونخ برئاسة الدكتور «بيتر شفرلي» فقد دلت هذه التجارب على أن الطفل يكون أكثر قابلية للتعلم والتقاط المعلومات من أمه . . مما لو تلقى المعلومات نفسها من أي مصدر آخر . وعلى الرغم من أن دور الحضانة النموذجية تتبع أساليب حديثة في تعليم الطفل وتنشئته . . فقد ثبت أن الطفل يلتقط المعلومات ويتعلم أكثر إن جاءته تلك المعلومات من أمه .

وهكذا يتأكد لنا أن عمل المرأة في البيت ذو قيمة اقتصادية عالية . . سواء نظرنا إلى هذا العمل من الزاوية المادية الصرف . . أو من الزاوية غير

المباشرة. . حين تحفظ المرأة صحتها النفسية والجسدية، وحين تقل نسبة جرائمها في المجتمع إلى درجة الندرة، وحين تمدُّ المجتمع بأجيال جديدة باستمرار. . أجيال معافاة في أبدانها، وسليمة في نفوسها، بعيدة عن الانحراف والقصور والمرض.

إذن. . فالمقدمة الأولى باطلة. . وهي أن عمل المرأة في البيت ليس ذا قيمة اقتصادية. يبقى علينا أن نثبت بطلان المقدمة الثانية. . وهي أن المجتمعات زاخرة بالأعمال والوظائف الشاغرة التي لا تجد من يشغلها. . ولابد للمرأة من أن تشغلها هي!

والأمر لا يحتاج إلى شرح طويل. . فهذه هي الإحصاءات في الشرق والغرب تتحدث عن بطالة متزايدة، ففي أوروبا وحدها ثلاثة عشر مليونًا عاطلاً عن العمل، وفي الولايات المتحدة ملايين أخرى، وفي شرقنا العربي المسلم لا يخفى الحال على أحد. . فالآلاف من الخريجين يطرقون أبواب العمل. . وعشرات الآلاف من طلبة الجامعات ينتظرهم مستقبل في العمل لا يدعو إلى التفاؤل.

ولا بأس هنا من ذكر ما رواه لي أحد الإخوة عن طالب كويتي يدرس في إحدى الجامعات الأمريكية، ففي إحدى المحاضرات المفتوحة عن مشكلة البطالة، دعا الأستاذ المحاضر طلابه لاقتراح ما يرونه من حلول لهذه المشكلة المتفاقمة، أحد الطلبة اقترح افتتاح مزيد من المصانع والمشاريع لاستيعاب العاطلين عن العمل فيها، واقترح آخر تأميم الدولة لجميع الشركات والمصانع لتقوم هي بتوفير فرص وظيفية أكثر، واقترح ثالث تخفيض ساعات العمل وزيادة أيام الإجازة الأسبوعية. . مما يقتضي تعيين مزيد من العاملين لإنجاز

العمل.

أما ذاك الطالب الكويتي فقد اقترح اقتراحًا آخر.

لقد توجه إلى اللوح ورسم ثلاث دوائر.. كتب داخل إحداها (رجال عاملون) وكتب داخل الثانية (رجال عاطلون) وكتب داخل الثالثة (نساء عاملات) وشرح اقتراحه بقوله: الحل هو في أن ينتقل (الرجال العاطلون) إلى دائرة (النساء العاملات) وتنتقل النساء العاملات إلى بيوتهن لتربية أطفالهن ورعاية أزواجهن.

وأضاف الطالب: وبهذا نكون قد ألغينا البطالة وحفظنا المجتمع من أمراض اجتماعية خطيرة معظمها ناتج عن تصدع الأسر.. وغياب الأمهات عن البيوت. وختم الطالب شرحه البسيط الواضح والموجز بقوله: يبقى أن أذكر أن هذا الحل قرره الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا.

الآن، وبعد أن ظهرت لنا حاجة المجتمع إلى المرأة في بيتها أكثر من حاجته إليها في المتجر والمصنع والمكتب.. قد تسأل إحداكن: إذا كان الأمر كذلك.. **فلماذا لم يتراجع الغرب عن موقفه من عمل المرأة.. ويدعوها إلى العودة للبيت؟**

والإجابة عن هذا السؤال من ثلاث نقاط:

الأولى: إن عمل المرأة مع الرجل في الغرب ليس قديمًا.. إنما ظهر في العقود الأخيرة.

الثانية: إن تشريعات الغرب لا تلزم الرجل دائمًا بالإنفاق على المرأة.

الثالثة : إنه بدأت تظهر فعلاً دعوات في الغرب لعودة المرأة إلى بيتها لتربية أطفالها والعناية بزوجها .

ولنتحدث عن هذه النقاط بمزيد من البيان :

أولاً : بعد الحربين العالميتين فقدت أوروبا كثيراً من رجالها ، وكانت عملية البناء لما خلفته الحرب من دمار وخراب تحتاج إلى كثير من الناس ، إضافة إلى أن معظم الأسر فقد معيليها في الحرب . . لهذا كله كان لابد للمرأة من أن تحل محل الرجل . . وتعمل في كثير من أعماله .

عمل المرأة إذن . . اقتضته حاجة طارئة . . ناشئة . . وليس مركوزًا في فطرتها . . ولم تجبل عليه . . ولا يتفق مع فطرتها .

ثانيًا : تشريعات الغرب لا تلزم الرجل بالإنفاق على المرأة إذا كانت بنتًا أو أختًا وبلغت الثامنة عشرة . . والمشاهدات التي تروى في هذا أكثر من أن تحصى .

وأختار هنا ما رواه الشيخ علي الطنطاوي عن الأستاذ الدكتور يحيى الشماع الذي درس في باريس ، وذلك أنه ذهب ذات يوم إلى منزل أسرة دلوه عليها . . ليستأجر غرفة لديها . . فقابل وهو داخل إلى الدار بنتًا خارجة منها في عينيها أثر الدمع ، فسأل أن مالها؟ قالوا له : هذه بنتنا ولكنها انفصلت عنا لتعيش وحدها . فقال : إنها تبكي . قالوا : لقد جاءت تستأجر غرفة عندنا فلم نؤجرها . قال : ولم؟ قالوا : لأنها دفعت أجرة لها عشرين فرنكًا . . وغيرها يدفع ثلاثين!

ثالثًا : لقد كثرت الدعوات في الآونة الأخيرة ـ في الشرق والغرب ـ

تطالب بأن تعود المرأة إلى بيتها . . فبيتها أولى بها وأحوج إليها .

ولنبدأ بالاتحاد السوفياتي الذي تنقل منه وكالة أنباء رويتر تقريراً جاء فيه : «النساء السوفيتيات ـ ولكل منهن وظيفة تقريبًا ـ يجمعن فيما يبدو على مسألة واحدة : هي أنه من الصعب عليهن العمل طوال اليوم ثم يقفن في صفوف لشراء الغذاء ويطبخن الطعام . . ويعتنين بالبيت والأولاد في المساء دون مساعدة تذكر من رجالهن . فبعد أن ادعى الاتحاد السوفييتي المساواة بين الجنسين طوال عشرات السنين . . يقول رسميًا الآن : إن المساواة كالاشتراكية ذاتها . . لم تتحقق تمامًا» .

وكتب رجل إلى صحيفة «سوفييت سكايا روسيا» يقول : إنه يعتقد أنه على النساء أولاً وقبل كل شيء أن يكن زوجات صالحات ، وثانيًا أمهات صالحات . واشتكى من أن زوجته تعمل ساعات طويلة في منصب عال (مديرة مصنع) وكثيراً ما تجلب عملاً معها إلى البيت . وتساءل قائلاً : «أما ولديها كل هذا العمل . . فما الذي تستطيع عمله لبيتها وأولادها وزوجها؟» .

وأثار مقال نشر في أواخر شهر نوفمبر ١٩٨٥م في صحيفة الشبيبة اليومية . . أثار سؤالاً تحت عنوان : «كيف نوازن بين مصالح العائلة والإنتاج؟

وبدا أن المقالة تحبذ العودة إلى ما كانت عليه العلاقات التقليدية بين الجنسين . . وأشارت إلى أنه كانت هناك عوامل شجعت النساء على التفكير في أن الاعتناء بالزوج والأسرة أمر تافه .

وأضافت المقالة تقول : إن الصور التي ترعرعت عليها أجيال بكاملها هي مشاهدة امرأة تقود جراراً . . وامرأة تهبط في مظلة . . وامرأة تعمل في منجم

تحت الأرض».

وانتهت المقالة إلى القول: «غير أن الرغبة، رغبة المرأة في أن تكون نافعة للمجتمع قد تحققت تحت سقف بيتها عن طريق أسرتها وأولادها».

وننتقل إلى الولايات المتحدة لنختار ما كتبته الكاتبة الأمريكية «إم آدمز» حيث تقول: «لقد مضى الآن نحو أربعين سنة على نيل المرأة الأمريكية حقوقها السياسية وحريتها الاجتماعية.. والسؤال الذي يمكن أن يخطر على البال اليوم هو:

هل هذه الحقوق والحرية التي نالتها المرأة جعلتها أسعد مما كانت قبل نيلها؟

إن الكثير من الفتيات يجبن: لا، وهن يشرن بأصابعهن.. لا إلى ما في الشؤون السياسية من أخطاء وأهواء فحسب.. بل إلى الشرور الاجتماعية أيضًا.. من كثرة الطلاق.. وانحراف المراهقات وغير المراهقات.. وإلى ازدياد السكر بينهن.. وإلى أعصابهن المنهارة.. والانتحار الذي تختم به حياة الكثيرات منهن.

وتضيف الكاتبة الأمريكية: لقد جاءتني فتاة من بلد لاتيني.. عاشت بيننا ونشأت مثل نشأتنا. جاءتني تصرخ وتقول: أي بلد هذا الذي يطلب من الفتاة أن تعمل لتكسب رزقها.. ثم تدرس لتنال الدكتوراة في الفلسفة بغية أن ترتقي في عملها.. ثم بعد هذا كله يطلب إليها أن تتزوج فتحمل لتنتج الأطفال.

ثم تقول الكاتبة: مع كل الإمكانيات والاستعدادات والمساعدات التي

تبذل للمرأة. . فإننا نرى الفتيات يخرجن إلى الحياة ضائعات تائهات. . مشتتات النفوس بين غرائز الأنوثة والأمومة التي أودعها الله فيهن. . وبين مقاييس ومفاهيم أخلاقية مضطربة متغيرة. . أبهمت معالم الطريق عليهن. . وبين ضرورات ألقت بها هذه المدنية الصناعية المادية عند أبوابهن.

ومن الولايات المتحدة. . ننتقل إلى اليابان. . التي حققت معجزة اقتصادية كبيرة منذ الحرب العالمية الثانية.

لقد أصدرت الكاتبة الأمريكية «جين كوندون» التي تعيش في اليابان منذ عشر سنوات كتابًا بعنوان «المرأة اليابانية في الثمانينات» تضمن عشرات المقابلات مع نساء يابانيات يعملن في حقول مختلفة وقد وجدت المؤلفة أن المعجزة الاقتصادية لم يكن لها أي تأثير يذكر على وضع المرأة.

تقول إحدى اليابانيات للمؤلفة الأمريكية: لقد عشت عمري في سعادة، كنت أنظف البيت. . وأطبخ ما يروقني من طعام وأشاهد التلفزيون. . وماذا تريد المرأة أكثر من زوج طيب. . وطعام شهي. . وبيت مريح؟!

وتقول يابانية أخرى: ما هي حقوق المرأة التي يتحدثون عنها؟ إن واجبات المرأة أكثر من حقوقها. . وإن أول واجباتها مساعدة زوجها على النجاح وذلك بتوفير الجو المريح له. . والعناية بالأطفال.

وعلى الرغم من وجود نساء عاملات في اليابان فإن فرص العمل أمام المرأة محدودة. . خاصة إذا كانت متزوجة. . فالتقاليد في اليابان هي أن مكان المرأة بعد الزواج هو البيت. وإذا ما اضطرت إلى العمل نتيجة الظروف المالية. . فلا ينبغي أن تعمل لأكثر من سنوات معدودة، فالمكان الطبيعي

للمرأة المتزوجة هو البيت .

وتقول السيدة يوكيو ساغي التي تعمل في دائرة العلاقات العامة لمصانع تويوتا : «ليس من اللائق أن تترأس المرأة الرجل . . حتى ولو حصلت على أعلى الشهادات الأكاديمية . وعلى أي حال فإن الرجال في هذه البلاد لا يسمحون أو يتيحون لنا أن نترأسهم في أي عمل . وأنا أعتقد أنهم على حق» .

بعد أمريكا وروسيا واليابان . . هل ننتقل إلى شرقنا العربي المسلم؟

يقول الدكتور مصطفى محمود : إن عمل المرأة إهانة . . حتى وإن كانت وزيرة! وما الذي تعنيه الوزيرة؟ كانت المرأة تحكم العالم في غرفة النوم .

ويقول الأديب نجيب محفوظ : أنا أرى أنه من العدل أن تتاح فرصة التعليم والعمل المتخصص . أما ما عدا ذلك فمن الأجدى أن يتفرغن لمهمة لا تقل خطورة عن الطب والهندسة . . وهي العناية بتربية الأجيال الجديدة .

ويقترح نجيب محفوظ أن تنشئ الدولة فرعًا في الجامعة تدرس فيه الطالبات أصول التربية والاقتصاد المنزلي ، وطب الأطفال ، والتطريز ، فتصبح لدينا فئة من الأمهات المتخصصات ، الدارسات ، ينتجن أجيالاً من الأصحاء .

ولنقترب أكثر . لنصل إلى الكويت . .

هل تعرفن الأديبة ليلى العثمان . . ؟ هل يستطيع أحد أن يتهمها بالرجعية أو الجهل؟

اسمعن ماذا كتبت تقول :

«سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير من الأشياء ضد ما يسمى «حرية المرأة» . . تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها . . وعلى حساب كرامتها . . وعلى حساب بيتها وأولادها. سأقول إنني لن أحمل نفسي ـ كما تفعل كثيرات ـ مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل . . نعم أنا امرأة» .

ثم تقول :

«هل يعني هذا أن أنظر إلى البيت ـ جنة المرأة التي تحلم بها ـ على أنه السجن المؤبد ، وأن الأولاد ما هم إلا حبل من مسد يشد على عنقي؟ وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر الذي يكبل قدمي خشية أن تسبقه خطوتي . . وعليه فإنه يجب أن أرفس هذه الجنة وأبحث عن آفاق حرة أكثر؟

لا . . أنا أنثى ـ أعتز بأنوثتي . . وأنا امرأة اعتز بما وهبني الله . . وأنا ربة بيت . . ولا بأس بعد ذلك أن أكون عاملة أخدم خارج نطاق الأسرة . . ولكن ـ ويارب اشهد ـ بيتي أولاً . . ثم بيتي . . ثم بيتي . . ثم العالم الآخر» .

* * *

فتشي عن الرجل

لعلك تسمعين أحيانًا من يصف امرأة معينة بأنها مسترجلة . . ولا شك في أنك تتحاشين أن يطلق عليك هذا الوصف ذات يوم .

هل ترغبين في معرفة طبيعة هذا المرأة حتى تتحاشيها ، وصفاتها حتى تتجنبيها . . اقرئي ما يقوله علماء النفس عن هذه المرأة التي تكون في الأغلب زوجة :

إن هذا النوع من الزوجات يكون مشبعًا بالرغبة في التسلط ، والتحكم في الجنس الآخر ، فالزوجة من هذا النوع تحب دائمًا أن يكون لها مركز الصدارة في الأسرة ، بمعنى أن يحتل زوجها في مجلسها مركزًا ثانويًا فنجد هذه الزوجة إذا ما وجدت مع زوجها في مجلس ، أو اجتماع عائلي ، تحاول جاهدة أن تظهر سيطرتها على هذا الزوج ، فتعمل على مقاطعته أثناء الكلام ، والاعتراض على آرائه ، ومحاولة التقليل من أهميته .

مثل هذه الزوجة أيضًا تميل إلى إظهار عيوب زوجها ، فهي توجه النقد إليه على أقل خطأ يرتكبه ، كأن يضع ملابسه في غير المكان المخصص لها .

وهذه الزوجة تكون ثرثارة ، محبة للجدل ، فتناقش زوجها في الموضوعات المختلفة بحق وبغير حق . والغريب أن الجدل الذي تثيره هذه الزوجة يكون غالبًا حول الموضوعات التافهة التي لا تستحق أن تكون سببًا

للخلاف بين الزوجين.

ويمكن القول إن الزوجة المسترجلة تكون غير قادرة على إيجاد علاقات عاطفية مع زوجها؛ لأن الرجال جميعًا، بمن فيهم زوجها، يمثلون لها شخصية الأب غير المرغوب فيه، ذلك أن هذا النوع من الزوجات كن في الغالب بنات لآباء غير مكترثين بأطفالهم ولا بمنازلهم.. آباء من النوع السكير أو المقامر.

ومن ثم أصبحت فكرة هؤلاء البنات عن آبائهن فكرة يشوبها عدم الاحترام والتقدير، وبالتدريج أخذت فكرتهن هذه عن آبائهن تعم الرجال جميعًا حتى شملت الأزواج، وهذا بدوره يفسر اتجاهات الزوجة للعدوانية نحو زوجها ومحاولتها السيطرة عليه.. والتقليل من شأنه وإخضاعه لإرادتها.. إلخ.

ومن هنا نجد أن الزوجة المسترجلة، بما فيها من صفات غير مألوفة بين النساء العاديات تصبح مصدر قلق للزوج، مما يؤدي إلى سوء العلاقات بينهما، فيختل التوافق الأسري، وهو عامل هام في اضطراب الصحة النفسية للأطفال[1].

وهكذا تجدين - أختنا حواء - كيف أن هذا النوع من النساء يكون سببًا في عدم حصول التوافق الأسري، ودوره الهام في اضطراب الصحة النفسية للأطفال. كما أن هذه الزوجة المسترجلة نفسها كانت طفلة.. وجاء

(١) د. مصطفى فهمي - الصحة النفسية في الأسرة والمدرسة والمجتمع - دار الثقافة - القاهرة ١٩٦٣ - ص٦٣، ٦٤.

استرجالها بسبب حملها في ذهنها صورة غير حسنة عن أبيها، الغائب عن البيت، السكير أو المقامر، غير المكترث بأسرته وبأطفاله.

أي إن هذه الزوجة المسترجلة.. في النتيجة.. ضحية لأب لا يمارس دوره الأبوي.. أي أنها ضحية رجل!

وإذا كانوا يقولون في قضايا الرّجال: فتش عن المرأة.

فإننا نقول.. في قضايا النساء: فتشي عن الرجل!

* * *

رومانسية زائلة.. أم مودة دائمة؟!

قال الله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

كثيرًا ما كنت أتوقف عند وصفه تعالى للصلة بين الأزواج بأنها صلة «مودّة ورحمة» وأتأمل في دقة الوصف، فليست العلاقة علاقة عشق وهيام، وصبابة وغرام، كما هي بين بعض الرجال والنساء الذين لا تربطهم رابطة الزواج، أو بين المخطوبين أو المحبوبين قبل أن تربطهما رابطة الزواج.

إنها صلة محبة هادئة «مودة» وصلة «رحمة» متبادلة، صلة السكن والاستقرار، كما يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ: «قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجًا، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارًا للحياة والمعاش، وأنسًا للأرواح والضمائر، واطمئنانًا للرجل والمرأة على السواء»[1].

وأريد هنا ـ أيضًا ـ أن أقف بك على حالة تخضع لها بعض النساء حيث

---

(١) في ظلال القرآن ص٢٧٦٣.

تصور لهن القصصُ والمسلسلات العلاقة بين الزوجين بأنها علاقة صبابة وغرام، وعشق دائم وهيام، أو أنها يجب أن تكون هكذا، فإذا تزوجت الفتاة، وهدأت عاطفتها المشبوبة، واستقرت مشاعرها المتأججة، حسبت أن زواجها قد فشل، وأن زوجها ليس الرجل الذي كانت تحلم به، وليس الزوج المناسب لها.

يقول د. فريدريك كونيغ، أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة تولين: «إن الحب الرومانسي قوي، وعاطفي جدًا، ولكنه لا يدوم، بينما الحب الواقعي مرتبط بالأرض والحياة، ويستطيع أن يصمد أمام التجربة. إن كل إنسان يحس بالشوق الكبير إلى الحب الرومانسي، وكثيرًا ما يحس بأن هناك خطأ فيه؛ لأنه لم يمر بهذا الحب في حياته. وغالبًا ما تبحث المرأة عن الشخص المثالي الكامل، الذي تستطيع أن تعيش معه حبها الرومانسي، وتضع في ذهنها ألا تتنازل عن شيء من شروطها. ولذلك تدير ظهرها للرجال الذين تحس معهم بإمكانية بناء علاقة لها معنى، ويمكن أن تعيش في الواقع، ولكنها تجد في كل رجل شيئًا من النقص وهي تقارنه بالصورة المثالية في ذهنها».

ويضيف د. كونيغ: «إنه من المستحيل أن يصل الإنسان إلى تطويع العواطف القوية في الحب الرومانسي. إن هذا الحب يبدو مثل الكعكة، يحس الإنسان بالمتعة وهو يتناولها.. ثم يجيء زمن الهبوط. بينما الحب الواقعي هو الذي يعني تقاسم الحياة اليومية، والتعاون من أجل أن يستمر، وفي مثل هذا التعاون يستطيع الإنسان أن يصل إلى حاجته الإنسانية»[1].

---

(١) ملحق «القبس» العدد ٥٥٣٧.

وهكذا، عزيزتي حواء، يؤكد علماء النفس والاجتماع، حقيقة أوضحها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنًا. . كيف لا. . والقرآن من لدن الله تعالى. . خالق الإنسان.

والآن أختنا المسلمة، أيهما أفضل لك؟

حب رومانسي لا يدوم، أم مودة ورحمة دائمتان؟ .

● ● ●

أستاذة الجامعة الأمريكية الرجعية

الإنكليزي المسلم «برايم بنت» أظهر تعجبه من بعض الجمعيات النسائية في عالمنا العربي، ومن مناداتها بضرورة عمل المرأة حتى ولو كان ذلك على حساب أولادها وزوجها وبيتها. وقال: في الوقت الذي نسمع فيه مثل ذلك من تلك الجمعيات، نجد أن كثيرًا من النساء الأوروبيات يعدن إلى المنزل تاركات العمل، بعد أن اكتشفن أن مملكتهن الحقيقية هي المنزل.. وأنه أولى بالرعاية[١].

أجل، فكثير من نساء الغرب العاقلات بدأن يعدن إلى بيوتهن.. بعد أن عادت إليهن فطرتهن أو عدن إليها.

«ديبورة فالوز» واحدة من هؤلاء النسوة. إنها ليست امرأة أمية، أو امرأة لا شهادة عالية عندها فهي مضطرة إلى البقاء في البيت! لا إنها أستاذة جامعية أمريكية، تركت عملها في تدريس علم الألسن في جامعة جورج تاون لتتفرغ للعناية بطفليها، ومن هنا تأتي أهمية حديثها هذا.

تقول «فالوز»:

* «إنني أعتقد بأن الوالدين لهما مهمة خاصة للعناية بتنشئة الطفل؛ إذ إن هذا الأخير ـ الطفل ـ يحظى باهتمام متواصل منهما وبحب متدفق له طبيعة

---

(١) «المسلمون» العدد ١٦٢.

خاصة ومغايرة لعواطف الآخرين جميعها. حين كنت أعمل طيلة النهار في جامعة جورج تاون في حقل الألسنية، كان طفلي ينال رعاية جيدة، لكن هذه الرعاية لا تقارن بتلك التي أقدمها له الآن أنا شخصيًا».

* «في المنزل يشعر الطفل أنه في موقعه المناسب. إن ابني يستطيع الآن أن يأخذ سنة من النوم حين يتعب، يأكل حين يجوع، يلعب حين يشعر بالحاجة إلى اللعب، بدلاً من أن يتلقى أوامر متوالية من مركز الحضانة: إنها الساعة الواحدة الآن.. لذلك عليك أن تنام.. على أن تفيق في الساعة الثالثة. أو: الآن وقت اللعب.. عليك أن تخرج إلى الملعب. حتى ولو لم يكن الطفل يشعر بميل لذلك..!».

* «إني أريد أن أقول بأن بقاء الأمهات في المنزل قد يعني تقديم تضحيات مالية. وأنا ـ على سبيل المثال ـ كنت أكسب نصف ما كان يكسبه زوجي من عمله حين تركت عملي في الجامعة، أي إن دخل عائلتنا انخفض إلى الثلث. ومع ذلك قبلنا هذه التضحية».

* «أعتقد بأنه أمر مثير أن تكون المرأة في المنزل وأن تتبرع للعمل في المدرسة لبضع ساعات في الأسبوع، بدلاً من أن تقف في طوابير العمل المنهك».

* «بعض الناس يقولون: لا يهم مدى الوقت الذي أمضيه مع طفلي. المهم هو نوعية هذا الوقت. أنا أعلم بالطبع أن الوقت النوعي مهم، لكن من الصعب «برمجة» لحظات هذا الوقت النوعي؛ لأنها تحدث من تلقاء نفسها. وعلى أي حال، هذا الوقت النوعي لا يحدث إلا حين نكون مع أطفالنا، أي

حين نمضي معهم «الوقت الكمي» حين يكونون برفقتنا في المحال التجارية، في المطبخ، في السيارة.. إلخ.

إن هذه كلها لحظات مختلفة في كل يوم تعيشين فيه مع طفلك وتشاطرينه قيمك ومفاهيمك».

وبعد.. أختنا حواء، فهذه شهادة امرأة.

فهي أولاً أستاذة جامعة كانت تتقاضى مرتبًا جيّدًا، ولم تكن تشكو من عملها.

وهي ثانيًا جربت الجمع بين العمل وتربية طفليها في وقت واحد فوجدت أن كل ساعة تمضيها في الجامعة ستكون على حساب طفليها..!

وهي ثالثًا امرأة أمريكية غير مسلمة فلا يمكن لأحد أن يقول: إنها خاضعة لمجتمعها الشرقي أو دينها الإسلامي!!

ما رأي حركات تحرير المرأة في بلادنا في كتابة رسالة احتجاج إلى الأستاذة ديبورة فالوز.. وتحذيرها من رجعيتها وتزمتها؟!!

* * *

أيها الخاطبون.. تعلموا!

إذا خطب شاب فتاة. . ثم عدل عن خطبته، فسيسأله الناس عن سبب عدوله وانصرافه. فهل يجيبهم ويكشف ما جعله ينصرف؟

وإذا قبل أهل فتاة خطبة شاب لابنتهم. . ثم عدلوا ورجعوا عن قبولهم، فهل سيجيبون من يسألهم عن سرّ رجوعهم عن عدم قبول خطبته؟

ثم هل يُواجه الخاطب بسبب الرجوع، أو بسبب الرفض بداية؟

إن الحكمة تقضي كتمان تلك التفاصيل جميعها، حفاظًا على كرامة الناس، وسترًا للأسر، ودفعًا للضغينة والخلاف.

حين كان خليفة، خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أبي بكر - رضي الله عنهم جميعًا - وكانت أم كلثوم صغيرة، فأرسل عمر إلى عائشة فقالت: الأمر إليك. فلما ذكرت عائشة ذلك لأم كلثوم قالت: لا حاجة لي فيه! فقالت عائشة: أترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم إنه خشن العيش، شديد على النساء!

وتحرجت عائشة - رضي الله عنها - من إخبار عمر - رضي الله عنه - برد أختها أم كلثوم، فأرسلت إلى المغيرة بن شعبة وأخبرته بما كان فقال: أنا أكفيك. أي أنه يتولى إخبار عمر - رضي الله عنه - بما لا يسبب الحرج لعائشة

وأسماء .رضي الله عنهما ـ

ذهب المغيرة بن شعبة إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ فقال له : بلغني أنك خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر؟ قال : نعم . . أفرغبت بها عني أم رغبت بي عنها؟ قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حدثة «صغيرة السن» نشأت تحت كنف خليفة رسول الله ﷺ في لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهابك وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك ، فكيف إن خالفتك في شيء فسطوت «قهرت» بها؟! كنت «إن فعل هذا» قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق لك! فقال : كيف لي بعائشة وقد كلمتها؟ قال : أنا لك بها وأدلك على خير لك منها . . أم كلثوم بنت علي من فاطمة بنت رسول الله ﷺ تتعلق منها بسبب « أي نسب» من رسول الله ﷺ .

تأملي معي ما في هذا من أبعاد حكيمة ، ومفاهيم عظيمة :

ـ لقد وجدنا أم كلثوم بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ تفهم حقّها في الإسلام في رفض قبول من يتقدم لخطبتها حتى وإن كان أمير المؤمنين وخليفة المسلمين . بل لا تكتفي بالرفض . . إنما تعبر عن رأيها في شدته على المرأة وخشونة عيشه بسبب زهده وتقواه ـ رضي الله عنه ـ .

ـ ثم نجد حياء عائشة ـ رضي الله عنها ـ في نقل رفض أختها وكلامها إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ فتستعين بالمغيرة بن شعبة لما عرفت فيه من الحكمة وحسن المدخل .

ـ وها هو المغيرة يذكر لعمر ـ رضي الله عنه ـ السبب الحقيقي الذي قد يجعل زواجه من أم كلثوم غير ناجح ، وهو شدته في مقابل لينها ورقتها ؛

لكنه لا ينسب هذا إلى أم كلثوم أو عائشة - رضي الله عنهما - إنما يجعله مشورة يشير بها عليه لما علم بخطبته، وهو يعرض هذا السبب في أسلوب حكيم: «ونحن نهابك وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك». وينجح المغيرة - رضي الله عنه - حتى نجد عمر - رضي الله عنه - يوافقه إلى درجة يتحرج فيها من إبلاغ عائشة - رضي الله عنها - بعدوله وقد تقدم إلى خطبة أختها.

ويستمر المغيرة في حكمته.. فما أن يصل إلى إقناع عمر - رضي الله عنه - في الانصرف عن خطبة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حتى يقترح البديل لها وهي أم كلثوم بنت علي وفاطمة - رضي الله عنهما جميعًا - وفي هذا تطييب للنفس وعدم إيلامها.

ثم نتأمل عبارة المغيرة «وأدلك على خير لك منها»، فلم يقل: على خير منها، بل قال: على خير لك منها، أي إن الخيرة هنا في مناسبتها لك أكثر من الأولى - رضي الله عنهم جميعًا -.

ومن هذا كله، نزداد إدراكًا لحكمة أمر النبي ﷺ: **«أسروا الخطبة»**.

فيا أيها الخاطبون في هذا الزمان.. تعلموا من الخاطبين في ذاك الزمان.

* * *

لا تحرميه حنانك

حين أغروا المرأة للخروج من بيتها، للعمل أو لغيره، كان عليهم أن يبحثوا للمرأة الأم، عن مكان تضع فيه أطفالها أثناء غيابها عن بيتها، ووجدوا هذا المكان، بل أنشؤوه هم، وسموه «دار الحضانة».

وأقنعوا الأم أن أطفالها سيلقون من الرعاية في دور الحضانة هذه.. أكثر مما يلقونه من أمهم في البيت؛ لأن الطرق التربوية الحديثة، والوسائل التعليمية، متوفرة في تلك الدور، بينما يندر توفرها في البيوت.

وصدّقت المرأة، أو كثير من النساء الراغبات في الخروج من البيت، وتركن أطفالهن في دور الحضانة، فهل لقين الرعاية الكافية والاهتمام اللازم؟ هل تريدين أن تعرفي النتيجة؟.

سأخبرك بالنتيجة، النتيجة التي توصل إليها الغرب الذي أدرك ماذا يعني أن يبقى الطفل مع أمه.. وتبقى الأم مع طفلها. فهل تدرك المسلمة المخدوعة هذا.. فتعود إلى أطفالها.. ويعود أطفالها إليها طوال اليوم؟

اقرئي نتائج الأبحاث التالية:

١ - بحث قام به «جون بولين» أثبت فيه أن اضطراب كثير من الجانحين يرجع في أساسه إلى العلاقات المضطربة التي تكونت بسبب انفصال الأطفال في سني حياتهم المبكرة عن الأم.

٢ ـ بحث قام به دكتور لورسي الاختصاصي النفسي الأمريكي. أجري هذا البحث على مجموعة من أطفال إحدى المؤسسات، بلغت ٢٢ طفلاً، ألحقوا بها عندما كانت أعمارهم أقل من عام. وقد ترك هؤلاء الأطفال في المؤسسة حتى بلغت أعمارهم حوالي أربع سنوات، بعد ذلك نقلوا إلى إحدى دور الكفالة، وعندما بلغت أعمارهم خمس سنوات أجريت عليهم مجموعة من الاختبارات والفحوص النفسية، فتبين أنهم كانوا مصابين باضطرابات نفسية أخذت المظاهر المرضية التالية:

عدوان ـ أنانية ـ سلبية ـ تبول ليلي ـ صعوبات في الأكل والكلام.

٣ ـ بحث قام به العالم «كمب» في كوبنهاجن على ٣٥٠ فتاة ممن يحترفن الدعارة. ولقد اتضح للباحث أن ثلثهن نشأن بعيداً عن المنزل وفي ظروف يسودها الاضطراب.

٤ ـ يشير الدكتور مصطفى فهمي إلى دراسات غربية أخرى أجريت على أطفال انفصلوا عن أمهاتهم، وكانت أعمارهم لا تزيد عن أسابيع قليلة. وُضع هؤلاء الأطفال في مؤسسات لتربية الأطفال، فظهرت آثار هذا الانفصال بوضوح عليهم؛ حيث كان الأطفال لا يستجيبون بابتسامة للمنبهات الخارجية، كما أنهم فقدوا شهوتهم للأكل والشرب، إضافة إلى أن لعبهم بالأصوات «المناغاة» كاد أن يكون معدومًا، وأصيبوا بالهزال والشحوب، وقله الحركة، وانخفاض الوزن، واضطراب النوم وسهولة التعرض للمرض.

وقد استنتج الباحثون من دراسات مباشرة قاموا بها على مجموعات

مختلفة من الأطفال، أن نموهم في المؤسسات يختلف عن نموّهم في أسرهم، ومرد ذلك إلى أن حرمان الطفل من رعاية أمه يعطل نموّه الجسمي والذهني والاجتماعي.

وتكاد البحوث جميعها تتفق على أن مستويات النمو تهبط هبوطًا كبيرًا في نهاية السنة الأولى من العمر، وذلك في حالة الحرمان من رعاية الأم، وخاصة عندما ينشأ الطفل في مؤسسة. وأن مثل هذا التأخر يلاحظ في السنة الثانية وحتى الرابعة[1].

هذا جانب من أبحاث كثيرة.. تظهر مدى خطورة أن يفقد الطفل حنان أمه ورعايتها وعطفها.

فيا أيتها الأم المسلمة.. لا تحرمي ابنك من حنانك.

* * *

(١) الصحة النفسية، ص٦٩، ٧٠.

محشي أم مكرونة!

طلب الزوج حنا توفيق من زوجته منى بنيامين، أن تطبخ له على الغداء طبقًا من المكرونة، ولما عاد من عمله ظهراً، فوجئ بأن زوجته أعدت له محشيًا بدلاً من المكرونة التي طلبها، فثارت ثائرته، وحمل قدر المحشي الساخنة وألقى بما فيها في وجه زوجته، فأصابها بحروق. . ونشبت بين الزوجين مشادة كلامية حادة انتهت بقيام الزوجة بسكب كمية من الكيروسين على جسدها. . وهددته بإشعال النار في نفسها إن لم يهدأ، فما كان منه إلا أن أحضر الكبريت ورمى بعيدان الثقاب المشتعلة على ثياب زوجته المبللة بالكيروسين. . فاشتعلت النيران فيها. . وصارت تصرخ مستغيثة بجيرانها. . وخرجت إلى الشارع؛ حيث أطفأ المارة النيران بمعاطفهم ونقلوها إلى المستشفى وهي في حالة سيئة[1] .

هذه واحدة من مشكلات كثيرة تقع بين الأزواج بسبب الطعام. قد يراها بعض الناس أسبابًا تافهة للخلاف ويعجبون إذا قيل لهم: إنها كانت سببًا في نزاع مرير بين زوجين. . وإنها أحيانًا تؤدي إلى طلاق الزوجين. . أو إلى جريمة مثل هذه الجريمة التي نقلتها لك كما نشرتها جريدة «الحياة» المصرية مؤخراً.

عدم ترتيب السرير، نوع الطعام الذي أعدته الزوجة، طريقة الزوجة

(١) جريدة «الحياة» المصرية ٢٠/ ٩/ ١٩٩٧ .

الخاصة في بعض الأفعال، بعض أمور كثيرة قد تثير الزوج وتغضبه وتخرجه عن طوره!

وقد تسألين؟ وهل الزوج محق في ثورته وهياجه؟

وأقول: لا. إن كان الزوج يشتهي بعض الأطعمة أو يرغب في أسلوب حياة معين، فإنه يستطيع أن يوضح لزوجته هذا.. مرة، ومرتين، وثلاثًا.. لكنه لا يملك أن يغضب.. أو يهتاج!.

ترى كم من المشكلات الزوجية ستختفي.. أو تقل.. لو أننا جعلنا حياة النبي ﷺ مع زوجاته قدوة لنا؟ وكم ستسعد البيوت وتطمئن فيها الحياة لو كان أربابها مقتدين بالمصطفى ﷺ؟

لنعد إلى المشكلة التي نقلتها في بداية الرسالة.. ولنقرأ ما تحدثنا به السيرة عن خلق من أخلاق النبي الكريم ﷺ في بيته:

«ما عاب النبي ﷺ طعامًا قط.. إذا أحبه أكل منه.. وإذا لم يحبه تركه».

ولو فعل ذاك الزوج مثل ما فعل النبي المصطفى ﷺ، هل كان سيحدث ما حدث؟

اقرأوا حياة النبي ﷺ مع زوجاته.. وفي بيته.. وافعلوا مثل ما كان يفعل.. ثم انظروا كيف ستكون النتيجة.. وأخبروني.

* * *

احذري الوأد الخفي

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

ومن منا لا يعرف وأد البنات في الجاهلية.

إنه دفن المولودة حيّة في التراب.

ولم يكن يمارس هذا الوأد عرب الجاهلية وحدهم بل كان يمارسه أقوام آخرون.. مثل الرومان.. كما تجدين في رسالة أخرى من رسائل هذا الكتاب.

هذا هو الوأد المعلن.. الظاهر، فهل هناك وأد خفي؟

الوأد الخفي، عزيزتي هو أن لا تحسني تربية أولادك، ولا تنشئيهم على الخلق الحسن، والسلوك الفاضل.

أن تفسديهم بالإفراط في الدلال وتلبية ما صح من رغباتهم وما بطل، أن لا تحثيهم على صلاة وصيام، وعبادة وقيام، وذكر الله والتوكل عليه.

فأنت هنا لم تدفني أولادك في التراب، وأبقيتهم على الحياة؛ لكنك دفنتهم في الظلام، حرمتهم الهداية، وربما يكون هذا أخطر من الوأد الظاهر.

ألم تقرئي قوله تعالى: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. فالآية واضحة في وصف الهداية بأنها حياة. ﴿ لما

يُحْيِيكُمْ﴾ كما أن الهداية في الدنيا سبب للحياة الناعمة في الجنة في الآخرة.

إذًا فإفسادك لأولادك وأد خفي.. لا ينتبه إليه كثير من الأمهات والآباء.

واقرئي هذا الحديث:

أخرج الطبراني عن عزة بنت خايل - رضي الله عنها - أنها أتت النبي ﷺ فبايعها أن «**لا تزنين، ولا تسرقين، ولا تئدين فتبدين أو تخفين**» قالت عزة: «أما الوأد المبدي فقد عرفته، وأما الوأد الخفي فلم أسأل رسول الله ﷺ ولم يخبرني، وقد وقع في نفسي أنه إفساد الولد، فوالله لا أفسد لي ولدًا أبدًا».

فاحذري يا أخت من الوأد الخفي.. من دفن أولادك في ظلمة الضلال والبعد عن هدي الإسلام وأخلاقه.

• • •

ميريل ستريب

٢

المثلة الأمريكية الحائزة على جائزة الأوسكار لعام ١٩٨٣م، تثور ضد هوليوود، وضد المرأة الاصطناعية، وترفض أن يطلق عليها لقب نجمة سينمائية وتقول: «لقب نجمة سينمائية يخيفني، أنا لا أفكر قط بأنني جميلة إلى درجة أن أصبح نجمة كما في مفهوم النقاد السينمائيين».

وتقول: «من الصعب أن يحتفظ الإنسان بحياته الطبيعية عندما تقوم الصحافة بإطلاق ألقاب أو إلصاق صفات به»، «في كل مرة كنت أذهب فيها إلى أحد الأماكن العامة كان الناس يتفحصون مقاييس جسمي للتأكد من أنني جميلة وأستحق لقب أفضل ممثلة أمريكية. وبالطبع فقد كان هذا الأمر يزعجني كثيرًا.. لأن لدي انطباعًا بأن الناس ينظرون إليّ من أجل معرفة مقاييسي الجسمية فقط».

وترفض «ميريل ستريب» كافة مطالب حركات ما يسمى «تحرير المرأة» في التحرر من كل شيء حتى يصبح هذا التحرر ـ كما تقول ـ خروجًا على القيم والأخلاق. وتقول: «أنا لا أحب الأفكار السائدة اليوم عن المرأة. إنهم يرون أن المرأة المثالية هي فقط تلك المرأة الرشيقة القوام. والرجال اليوم يطالبون بأن تكون كل النساء رشيقات شقراوات نحيفات، ولهذا فإن فكرة هوليوود تجعلني أصبح مريضة. وأنا أعتقد أن أجواء هذا المجتمع الفني العالمية اصطناعية بعيدة عن الحقيقة؛ ذلك لأنه من الحماقة الظن أن المرأة المثالية هي

فقط تلك المرأة الرشيقة والحلوة».

وتلمع عينا «ستريب» بالسعادة عندما تتحدث عن حياتها الشخصية وعن زوجها وأطفالها، وتقول بشيء من التحدي لأفكار المجتمع الأمريكي عن الزواج: أجد من الممتع أن يعيش الإنسان مع آخر يحبه، وأن يستمر هذا الحب رغم كل الصعوبات. وتستهويني جداً فكرة أن أقضي حياتي كلها مع إنسان واحد ونتقاسم معًا كل شيء.. من حلو الحياة إلى مرّها»[(١)].

هذه شهادة أخرى من «ميريل ستريب» التي عرضت لشهادة سابقة لها[(٢)].

وهي هنا، كما هي هناك، تصدر عن فطرتها، ولا تسمح لقيم المجتمع الأمريكي بأن تتحكم فيها، وتقترب من الإسلام دون أن تدر، حين ترفض أن تكون مثالية المرأة في شكلها، وحين تدافع عن الزواج.

* * *

(١) مجلة «الحوادث» العدد ١٣٩٨.
(٢) ص٢٥٣.

لو قرّت المرأة في بيتها..

أم مستهترة تترك طفلتها وحيدة في البيت وتذهب لتسهر حتى منتصف الليل، ثم تعود لتجد الصغيرة قد قتلت.

فقد تركت المطلقة كريستين سبنسر «٢٨ عامًا» طفلتها نيكولا «٧ أعوام» وحيدة في الغرفة التي تعيشان فيها بالطابق العلوي في بيت ببلدة سكنجنس بمنطقة لينسز ببريطانيا، وذهبت في الساعة التاسعة مساء إلى حانة قريبة من المنزل والتقت هناك بصديقة لها تدعى جولي سوامز، ثم التقيتا بصديق آخر هو نايجل ماريوت. وفي الساعة العاشرة والنصف طلبت كريستين سبنسر «أم الصغيرة» من ماريوت أن يذهب إلى غرفتها لكي يجلب دواء لها لمرض الربو الذي تعاني منه، وحين دخل الرجل إلى الغرفة وجد الصغيرة ملقاة على الأرض جثة هامدة، فعاد مسرعًا إلى المرأتين ليخبرهما بالأمر.

وحين وصل رجال الشرطة والإسعاف، وجدوا أن الصغيرة قد خنقت بينما كانت تشاهد التليفزيون، ولم يعثروا على أي أثر لاستعمال العنف في الدخول إلى الغرفة، مما يدل ـ كما قال رجال الشرطة ـ على أن القاتل كان يعرف أن الطفلة وحدها في الغرفة، وربما يعرف الصغيرة وهي تعرفه.

وكان رجال الشرطة قد ركزوا تحرياتهم بعد الحادث على العثور على والد الطفلة.

وقال أحد ضباط الشرطة الذين يشرفون على التحري أن سلوك بعض الأمهات يثير الحيرة، إذ كيف تبلغ الأنانية بأم إلى درجة أن تضحي بفلذة كبدها لقاء متعتها هي وتترك طفلة صغيرة وحدها حتى منتصف الليل لتقضي هي وقتها مع أصدقائها وصديقاتها؟!

هذه هي بعض الثمار الفجة لخروج المرأة الغربية من بيتها، واتباعها هواها، وإيثارها متعتها على رعاية أطفالها الذين هم أحوج ما يكونون إليها.

إن الأمر الإلهي الحكيم للمرأة المسلمة بأن تقرّ في بيتها، كفيل بأن يقي المجتمعات من هذه الأحداث الأليمة.. التي يذهب ضحيتها أطفال أبرياء.

فهل يريد دعاة التفلت، وتحرير المرأة من بيتها، أن يلحق بالمسلمة ما لحق بالغربية من أذى.. وما يزال يلحق؟!

* * *

يا مسكينة..!

الزوج البـريطاني مـا يزال يرتدي السـروال داخل منزله ويجلس واضـعًا ساقًا على ساق أمام الشاشة الصغيرة تاركًا زوجته ـ مديرة كانت أو غير مديرة ـ لتقبع داخل المطبخ أو تتولى كي الملابس وغسلها أو تنظيف المنزل وكنسه، هذا بالطبع بعد عـشرات السنوات مما وصف بأنه «ثورة» تحرير المرأة البـريطانيـة، وغير البريطانية في عموم القارة الأوروبية.

جاءت المعلومات الجديدة عن وضع الزوجة البريطانية في دراسة مسحية أعدها مركز دراسات سياسة الأسرة البريطاني وكان موضوع الاستقصاء هو كـيف تقـضي الزوجة يومي العطلة الأسـبـوعـيـة «السـبت والأحـد»؟ لكن الإجابات جاءت غير متوقعة تمامًا لاسيما فيما كشفته من حجم المشاق. فقد أوضحت الغالبية العظمى من الزوجات أنهن يقضين يومي السبت والأحد في الغسيل والتنظيف والكنس والكي والطهي والتسوق.

صـدرت الدراسـة المسحية بعنوان «داخل الأسرة» وهي تعطي عـددًا من النسب المئوية قائلة إن ٨١ في المائة من الزوجات يتولين خلال يومي السبت والأحد مهام الغسيل والكي، وأن ٦١ في المائة يتولين أعمال الطهي، فيما تتولى نسبة ٥٢ في المائة مهام التسوق.

وماذا يفعل الزوج البريطاني؟ يعاون في أعـمال الإصلاحات بدلاً من استدعاء السباك أو الكهربائي أو الميكانيكي للسيارة. . أما فيما عدا ذلك فهو

لا يفعل شيئًا ويجلس واضعًا ساقًا على ساق أمام الشاشة الصغيرة .

هل هذا هو ما ظلَّت المرأة الغربية تناضل من أجله في العقود الأخيرة؟

هل هذا هو ما حققته حركات تحرير المرأة بعد سنوات النضال الطويلة؟!

عمل مع الرجل في الدوائر والوزارات والمؤسسات . . والمزارع . . ثم كنس في البيت وطهي وغسيل؟!!

يوما الإجازة الأسبوعية اللذان يفترض أن تمضيهما الزوجة مع زوجها وأولادها في نزهة . . تقضيهما في الكنس والطهي والغسيل . . ؟!

إيه . . كم أنت مسكينة أيتها المرأة الغربية المخدوعة . . وحذار حذار . . أيتها المسلمة أن يجروك في طريقها . . ويخدعوك كما خدعوها . . ! .

* * *

المتزوجة.. ذات مناعة قوية

من الممكن أن نسمع المرأة المتزوجة تشكو وتتذمر من التعب، في شؤون البيت وتربية الأولاد ومتطلبات الزوج إضافة إلى المسؤوليات الاجتماعية الأخرى، وطبيعة العمل - إن كانت موظفة -.

ولكن رغم كل ذلك، فإن هذه المرأة تستطيع أن تحمد ربها على نعمة تحصل عليها دون أن تنتبه. وهي أن نظام المناعة لديها أقوى وأسلم مما هو لدى المرأة المطلقة والمنفصلة أو حتى غير المتزوجة وقد تجاوزت الثلاثين أو الخامسة والثلاثين.

أستاذة علم النفس يانس كيكولت وزوجها أستاذ علم الفيروسات رونالد غليزر مع زملاء آخرين من المتخصصين بعلم النفس في جامعة أوهايو، قاموا بتجربة موسعة ودراسة تناولت في المرحلة الأولى ٣٨ امرأة متزوجة تعيش في جو يمكن أن نسميه سعيدًا أو مقبولاً، و٣٨ امرأة أخرى مطلقة أو منفصلة أو غير متزوجة أو متزوجة وتعيش في ما يمكن أن نسميه تعاسة زوجية وعدم تفاهم.

وبنتيجة الدراسة والفحوصات الطبية تبين أن المتزوجة وتعتبر نفسها سعيدة تتمتع بجهاز مناعة قوي أفضل من جهاز المناعة لدى الأخريات، رغم أنها تعمل وتتعب وتمضي أكثر وقتها في الأعمال المنزلية والوظيفية بحيث إنها تكاد لا تجد متسعًا من الوقت للاهتمام بنفسها وراحتها.

الدكتورة يانيس كيكولت تقول : إنه لا يمكن دفع المرأة إلى الزواج ولكن يمكن إفهامها بوضوح لكي تتمسك قدر الإمكان بحياتها الزوجية، وتعتبر أن ذلك النفع الصحي أهم ربما مما تظن أنه حريتها حين الطلاق أو الانفصال .

تنتقد الدكتورة يانيس التوجه الذي يسود الحركات النسائية في الوقت الحاضر ، والذي يمكن تلخيصه بأنه التحرر وأنه أفضل للمرأة أن تعيش وحيدة مطلقة من أن تعيش مع رجل لا تنسجم معه ، والحقيقة ، كما تقول هذه الباحثة النفسية : إن إعادة التفكير في الإيجابيات والسلبيات يمكن أن يدفع المرأة المتزوجة إلى بذل جهد أكبر في توفير جو مقبول في البيت يشكل الحد الأدنى من السعادة أو الرضا على أساس أن ذلك يتيح لها التمتع بنظام مناعة قوي .

وجرى حقن النساء اللواتي أخضعن للتجربة من الفريقين بأنواع متعددة من البكتيريا في المختبرات . وتبين أن المرأة السعيدة بزواجها تتمتع بمناعة أقوى من التعيسة ، وأن المتزوجة عامة تتمتع بنظام مناعة أقوى من غير المتزوجة إن تجاوزت الخامسة والثلاثين .

وتعتبر السنة الأولى من الطلاق قمة الانهيار في نظام المناعة الذي ينهار بسرعة . ولكن بعد انقضاء السنة الأولى يبدأ التحسن قليلاً ، لكنه لا يعود أبدا إلى ما كان عليه قبلاً . ![١] .

هل تأملت في هذا البحث ونتائجه العلمية . . عزيزتي حواء؟ وهلا وقفت عند نقد الدكتورة «يانيس» لتوجه الحركات النسائية المعاصرة . .

---

(١) «القبس الدولي» العدد ٩٢٥ .

بالدعوة إلى استقلال المرأة . . وأن عيشها وحيدة خير لها من أن تعيش مع زوج لا تنسجم معه . . وكيف أن هذا يضعف جهاز المناعة في المرأة؟!

أليس في هذا تأكيد على أن الزواج، وما يوفره من استقرار نفسي، يُبقي الخير، كل الخير، للمرأة، وللمجتمع؟!

واسمعي إلى ما قالته الممثلة الفرنسية بريجيت باردو مؤخرًا: «أيها الأبناء . . أعيدوا إلى مؤسسة الزواج احترامها . . ولا تعتقدوا أن الجنس يكفي لجلب السعادة . . اسألوني أنا التي علمتني الأيام أن الزواج يجب أن يكون مقدسًا»[1].

• • •

(١) الرأي العام ـ الملحق ـ العدد ٨٧٣٧ .

هل تريدين أن تبكي؟

خلق الله المرأة ليسكن الرجل إليها.

وجعل سبحانه وتعالى البيت قراراً للمرأة، ترتاح فيه، تبكي فيه متى تشاء، وتتحدث فيه مع زوجها وأولادها بحرية.. دون تكلف يحملها عبئًا هي في غنى عنه.

بينما هي في العمل خارج البيت، تُحمّل نفسها عبئًا يضغط على نفسها، ويكبت عواطفها، ويحرمها من التنفيس عن هذا كله بالبكاء الذي يخفف عنها كثيراً من معاناتها النفسية الناتجة عن العمل.

في دراسة للدكتور ويليام فراي مؤلف كتاب« البكاء: سر الدموع» يقول: «إن النساء يبكين أربعة أضعاف الرجال، وبعض هذا البكاء يتم في مكان العمل، إذا استدعته الظروف».

وتقول «جين كوني» صاحبة إحدى المؤسسات العقارية: إنني حذرة جداً في تشغيل أية امرأة لا تستطيع السيطرة على عواطفها، ولم أر امرأة ناجحة تبكي؛ لأن المرأة الناجحة - في العمل - تصبح أكثر قسوة وأقل حساسية وعاطفة.

ومن أسباب بكاء المرأة في العمل، كما ذكر العلماء: الفشل، ثم الطرد من العمل، وعدم القدرة على التفاهم مع الرئيس.. مما يثير الحساسية..

فالبكاء.

ويعتقد د. فراي أن هناك أسبابًا كيماوية لذلك.. وهي أن دم المرأة يحتوي على زيادة من الهرمونات تصل إلى ٦٠٪ وهي مواد توجد في الدموع.

وتقول الدكتورة فرانك: إن الرجل أكثر قدرة على العودة إلى طبيعته والمشاركة في العمل ونسيان المشكلات.. بينما تلجأ المرأة إلى تصنيفها.. وخاصة وهي تحاول أن تكون طيبة. وعندما يُوجه نظر المرأة إلى خطأ.. فإنها تعتبر ذلك نقدًا شخصيًا.. وترى رئيسها مخيفًا بعد ذلك، لا يحبها، مما يوقعها في خوف من الفصل.. وهذا الإحساس يدفع عواطفها إلى لحظة الانفجار.

* * *

موعظة.. من ألمانية مسلمة

«لا تنخدعن بالغرب، في أفكاره وموضاته، فهذا كله خدعة يستدرجوننا بها ليبعدونا عن ديننا تدريجيًا، وليستولوا على أموالنا».

«الإسلام وأنظمته الأسرية هو الذي يوافق المرأة؛ لأن من طبيعتها أن تستقر في البيت. ولعلكم تسألون: لِمَ؟ لأن الله خلق الرجل أقوى من المرأة في تحمله وعقله وقوته الجسدية، وخلق المرأة عاطفية، جياشة الشعور، لا تملك الطاقة الجسدية التي هي للرجل.

وهي - إلى حدّ ما - متقلبة المزاج عنه، لذلك فالمنزل سكن لها ولنفسها، والمرأة المحبة لزوجها وأولادها لا تترك منزلها من غير سبب، ولا تختلط بالرجال إطلاقًا».

«إن ٩٩٪ من الإناث في الغرب لم يصلن إلى ما وصلن إليه من مناصب - حتى الوزيرة - إلا بعد أن بعن أنفسهن.. سواء بابتسامة أو بغيرها.. فلا خوف في قلبها لله..».

«وخروج المرأة للعمل في العالم الغربي بهذا الشكل المكثف، جعل الرجل يمارس - رغمًا عنه - دور المرأة، فقعد في البيت يغسل الصحون، ويسكت الأطفال ويشرب الخمر.

وأنا أعلم أن الإسلام لا يمانع في معاونة الرجل لزوجته في البيت، بل

يرغب في ذلك، ولكن ليس إلى الحد الذي تنقلب فيه الأدوار، وتختلط الموازين، وتبعثر المقاييس، بحيث يأخذ الرجل دور المرأة وتأخذ المرأة دور الرجل. واقرأن قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

«إني أنصح أخواتي وإخواني بأن يعطوا قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، حقّه من التطبيق، وذلك بدوام ذكر الله عز وجل.. فنحن نضحك كثيراً.. نتحدث ونلهو.. ولا نذكر الله إلا دقائق..».

«كم يؤلمني أن أرى أخواتي وإخواني المسلمين يركضون إلى المكان الذي هربت منه.. بعد أن كاد يقتلني ويخنقني. ورغم أني من تلك البلاد.. فلن أعود إليها حتى أعي ديني جيّداً.. وأدرس تفاصيله كلها.. فالدنيا دون إسلام جحيم دائم..».

«ارجعي إلى الله يا أختي المسلمة وتوبي توبة نصوحًا»[1].

واضح من كلام هذه الأخت أنها مسلمة. ومسلمة متمسكة بأهداب دينها. ولكنك هل لاحظت من عباراتها الأخيرة.. بأنها لم تكن مسلمة. وأنها هربت إلى الإسلام من بلاد كانت تشعر فيها بأنها تكاد تختنق إلى درجة القتل..؟

إنها فتاة ألمانية، أسلمت قبل خمس عشرة سنة، وزوجها فرنسي أسلم قبلها، وهي في حديثها السابق، توفر عليك تجربة تلك الحياة الغربية المريرة

---

(١) مجلة «النور» صفحات «مؤمنة» العدد ٥٥.

وتدعوك ـ أنت يا من ولدت من أبوين مسلمين ـ إلى أن تعرفي عظمة هذا الدين الذي تنتمين إليه.

فهلا عملت ، أختنا، بنصيحتها؟ وهلا استفدت من تجربتها؟ الأيام تمضي ويمضي معها العمر ، فمتى نفيق؟!

• • •

والبقية تأتي..

«بدأ في لندن تشغيل باصات للنساء فقط، ابتداء من السادسة مساءً وحتى منتصف الليل، وذلك للحد من حوادث الاعتداء المتكرر عليهن.

وتقوم السيدة بالاتصال هاتفيًا بمقر قيادة الباصات، وتحدد لها وجهتها ويخطرها المسؤول بموعد وصول الباص أسفل منزلها لتوصيلها إلى المكان الذي تريده.

والجدير بالذكر أن هذا المشروع كلف بلدية لندن حتى الآن ٣٨ ألف جنيه استرليني دفعتها من أجل راحة النساء فقط».

هذا الخبر الذي نقلته وكالات الأنباء، لو كان عن دمشق أو القاهرة، أو أية مدينة عربية أخرى، لخرج علينا كثير من الناس يستنكرون هذه الخطوة «الرجعية» في زمن «التقدمية» ويستكثرون هذا المبلغ الذي دفعته بلدية لندن، لو دفعته بلدية عربية قائلين: «إن كثيرًا من المشاريع أولى بهذا المبلغ وأحوج إليه من دفعه لتسيير باصات خاصة بالنساء»؟!

هكذا تكون ردّة فعل المتحللين ودعاة الاختلاط تجاه هذه المبادرة من أجل حفظ النساء من تحرش الرجال أو إيذائهن أو خطفهن، لو أقدمت عليها بلدية عربية..!

أما وقد أقدمت عليها بلدية لندن في عقد الثمانينات من القرن العشرين،

فلم يعترض أحد ولم يستنكر! لأن ما تقدم عليه لندن أو باريس أو واشنطن أو موسكو، عند أولئك الفرقاء لا يأتيه الباطل. أما ما تقدم عليه بلادنا، أو ما تدعو إليه جهات مخلصة فيها، فهو الرجعية والتأخر والتخلف!!.

إن من الدلالات الأولى لهذا الخبر، أن الاختلاط الذي دعا إليه الغرب لم ينجح، ويشهد على هذا عشرات الآلاف من جرائم الاغتصاب ومئات آلاف الخيانات الزوجية في الغرب.. وهذه الخطوة التي أقدمت عليها لندن رجوع واضح عن الاختلاط في وسائل النقل العامة طوال ست ساعات من ساعات اليوم.. وهذه بداية والبقية تأتي!!.

أمهات جاحدات

١٩٠ ألف امرأة في ألمانيا الغربية، وقفن، ومنذ عام ١٩٤٥م أمام كاتب العدل، للتوقيع على وثيقة تتخلى فيها كل واحدة منهن عن طفلها إلى الأبد!!

وعلى أساس بحوث ميدانية أجريت على هذه المشكلة.. اتضح أن ٧٧٪ من الأمهات اللواتي تخلين عن أطفالهن كن أرامل أو مطلقات.

وتبين كذلك أن أغلبهن من النادلات، البائعات، العاملات، الموظفات الصغيرات. و٥, ٣٪ منهن اعتبرن قاصرات عن تربية أطفالهن، و٢, ٥ كن مومسات.

وتلخص إحدى الباحثات الاجتماعيات نتيجة هذه المشكلة بقولها: «إنها رغبة في الخلاص من مواجهة الإنفاق على الطفل منها وحدها».

وتجدر الإشارة إلى أن الأبوين اللذين يتخليان عن ولدهما ينبغي أن لا يعرفا ـ وفق شروط التخلي عن الطفل ليتبناه غيرهما ـ مكان ولدهما: أين يعيش ومع من.

تقول الأستاذة الجامعية كرستيان سفننك من هانوفر ـ وكانت تقوم بوساطة التبني وهي تقف ضدها الآن ـ تقول: «إن حالات التبني التي تبلغ في ألمانيا الغربية عشرة آلاف حالة كل عام.. هي قبل كل شيء تعبير عن الواقع

الاجتماعي غير المستقر للأم والطفل معًا».

وقد قامت السيدة سفننك بتأليف كتاب يتناول مصائر هؤلاء الأمهات «الجاحدات» توصلت فيه إلى نتيجة أن «القلق والخوف والخجل دائمًا ما يسبغ حياة هؤلاء الأمهات لسنوات تستمر طويلاً».

تأملي العدد: ١٩٠ ألف أم، خلال أربعين عامًا، وفي ألمانيا الغربية وحدها، يتخلين عن أطفالهن.

وفي مجتمعاتنا المسلمة، وعلى الرغم من عدم التمسك الكامل بمبادئ الإسلام وأوامره، وطوال مائة عام، لا أربعين فقط، وفي العالم الإسلامي كله الذي يضم ألف مليون نسمة، لن نجد هذا العدد من الأمهات اللواتي يتخلين عن أطفالهن.. رغم الفقر والعوز والحاجة.

صحيح أننا لا نملك إحصاءات دقيقة، ولكن لنتأمل حولنا، فسنجد الأمهات متمسكات بأطفالهن أشد التمسك.

إلى أين يصير حال المجتمع الغربي الشارد عن الله..؟.

* * *

من تسلط.. إلى تسلط

اقرئي معي هذه القوانين التي كانت سائدة في أمريكا :

ـ حتى عام ١٨٨٢م كان الزوج يملك قانونيًا كل الملابس والمجوهرات التي قدمها لزوجته .

ـ في أيام جورج واشنطن ، كان في إمكان الرجل أن يضرب زوجته بالعصا ، وبصورة قانونية ، شريطة ألا يزيد سمك العصا عن سمك إبهامه .

ـ حتى بداية هذا القرن ، لم تكن المرأة في ثلث الولايات الأمريكية تُعطى اعترافًا قانونيًا بأنها تملك ما تملك . . حتى ولو كانت تعمل لتُعيل زوجًا عاطلاً .

ـ أحد قوانين اكسفورد بولاية أوهايو كان يمنع المرأة من التعري أمام صورة الرجل وكان هناك قانون في أوينربورو لا يسمح للمرأة بشراء قُبَّعة . . إلا إذا جربها زوجها أولاً .

ـ وحتى عام ١٩٨٤م كانت المرأة من ممتلكات زوجها قانونيًا .

ـ نساء سان فرانسيسكو كن ممنوعات من تبليل الملابس التي يقمن بكيها . . بماء يقمن برشه من أفواههن .

ـ كانت مدينة نيويورك تمنع النساء من التدخين علنًا . . وقد ألقيت امرأة في السجن عام ١٩٠٤م؛ لأنها تحدت هذا المنع .

هل تأملت هذه القوانين؟ لعلك لاحظت أنها ـ في معظمها ـ جائرة وتظهر بوضوح انتقاصها من المرأة، وتفضيل الرجل عليها.

ولم تكن هذه القوانين في عصر ما قبل الميلاد أو حتى في العصور الوسطى، بل إنها حديثة، وبعضها استمر حتى عام ١٩٨٤م.. كما قرأت.

وحين أراد من أراد أن ينقذ المرأة من هذه القوانين، أو هكذا زعموا، لجأوا إلى تعرية المرأة، وإخراجها من بيتها، ودفعها للاختلاط بالرجال، فكان أن انتقلت ـ حواء المسكينة ـ من تسلط القوانين.. إلى تسلط الحاجة.. وتسلط المجتمع.. جعلوها ألهية.. ومصدر متعة.. إلى آخر ما تعانيه المرأة الأمريكية اليوم.

* * *

اعتراف ليلى

بين يديّ مقالة للأديبة الكويتية ليلى العثمان. مقالة أقرب ما تكون إلى اعتراف. . بل هي نفسها تبدأ مقالتها بقولها: «سأعترف اليوم».

وقيمة هذه المقالة، أو هذا الاعتراف أنه صادر عن امرأة. وليس عن أي امرأة. . إنما امرأة أديبة. . تعرف ما تقول. . وتعني ما تقول.

وليس لأحد أن يصف ليلى العثمان بأنها رجعية. أو متزمتة. أو منغلقة. . فالجميع يعرفون أنها «متحررة». . وغير محجبة. . ولا يمنعها أحد من قول ما تريد. . أو يرغمها على قول ما لا تريد.

أختي حواء. . اقرئي معي مقالة ليلى العثمان. . أو اعترافها. . بالنص. . ودون حذف أي كلمة. . ودون أي إضافة مني:

❑ أولاً:

أحسن مدرسة هي غرفة المعيشة في البيت.

«ارنولد جلاسون»

● حرية المرأة

سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير من الأشياء ضد ما يسمى «حرية المرأة» تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها، وعلى حساب كرامتها، وعلى حساب بيتها وأولادها. سأقول إنني أحمل نفسي ـ كما تفعل كثيرات ـ مشقة

رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل. . نعم أنا امرأة. . يقع عليها الظلم المتوارث منذ بدء الخليقة وتقع عليها ـ كارثة ـ نظرة الرجل التعسفية. تطالعنا من الأعلى ـ أنتن نساء ـ وكأن نون النسوة تهمة ألصقت بنا. . وكأن عارنا أننا ـ ولدنا ـ الرجل لنزيد كمية الظلم اللاحقة بنا. لكن!! هل يعني هذا أن أتنكر لأنوثتي وأرفضها وأتمنى أن أكون رجلاً؟.

هل يعني هذا أن أرفض. . نعومة وهبها الله لي لأصبح امرأة تعلق شاربًا وتتحدى أقوى الرجال؟ وهل يعني هذا أن أتصرف وكأنني رجل لا يرده خجل. . ولا تكسر عينه حتى بصقة صغيرة يقذفها ثغر صبية بعمر ابنته فكر أن يغرس نظرته الوقحة في أدق تفاصيلها؟

هل يعني هذا أن أتحدى فأفعل ما يفعله الرجل ، ما هو مشروع له وما هو مرفوض، لأؤكد لذاتي بأنه ـ لا أحد أحسن من أحد ـ وأننا سواسية، وأحرار ولدتنا أمهاتنا؟ هل يعني هذا أن أنظر إلى البيت ـ جنة المرأة التي تحلم بها ـ على أنه السجن المؤبد. . وأن الأولاد ما هم إلا حبل من مسد يشد على عنقي. . وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر الذي يكبل قدمي خشية أن تسبقه خطوتي ، وعليه فإنه يجب أن أرفس هذه الجنة وأبحث عن آفاق ـ حرة ـ أكثر؟

لا. . أنا أنثى. . أعتز بأنوثتي. . وأنا امرأة أعتز بما وهبني الله. . وأنا ربة بيت ولا بأس أن أكون بعد ذلك عاملة أخدم نطاق الأسرة. . ولكن ـ ويا رب اشهد ـ بيتي أولاً. . ثم بيتي. . ثم العالم الآخر. هل يعيب هذا أية امرأة؟ وهل يعني هذا أنها أصبحت ـ لا شيء ـ لأنها لم تطالب بمساواتها مع الرجال؟ بعضهن يتحدى. . ويصر. . فيحدث العجب. وخذوا بعض الحكايات.

ـ رأيت امرأة تسوق «وانيت»!! جاءت لتتبضع من الجمعية والخضار لأجل ـ الشاليه ـ ما الفرق! هل الرجل أحسن منها! أليست حرة؟.

ـ رأيت واحدة أعرفها.. كنت عائدة وزوجي من سهرة فرأيتها في سيارتها في ذلك الوقت المتأخر.. ترتدي الغترة والعقال «نسيت أن تزيل الروج عن شفتيها» حجتها في ذلك أنها تخشى معاكسة الرجال ـ فتشبهت بهم ـ ويا أختي.. لماذا تعودين بعد منتصف الليل وحدك؟ تنفتح عيناها بدهشة: هوه!! مالي روح؟ ليش هو يسهر على كيفه بالمزارع والدواوين؟ يا سلام!! مساواة!! حالها.. حاله.

ليلة رأس السنة.. والقناديل والقمر.. والسهر، والفرح كان أب حنون يسهر على راحة أولاده. يُعشّيهم يغيّر ملابسهم.. ويغني لهمليناموا أغنية العام الجديدة.. والأم!! أين الأم؟ كانت معزومة ـ مع شلة حريم ـ إلى أحد الشاليهات ونامت هناك.. هل صحيح هي نامت؟ هل استطاعت عيناها أن تحتضن في بداية عام جديد عيونًا غير عيون زوجها وأطفالها؟ ألم تصب «بالحكة» وهي تستلقي على فراش غير فراشها؟ وليش لا! هي حرة تريد الوناسة ـ وهو.. سيذهب كثيراً بعد ذلك.

وأغرب ما خرجت به «طالبات المساواة» اللاهثة نفوسهن على «تأكيد الذات» هي قضية ـ الدراسات العليا ـ وأنا بالطبع لست ضد هذا المبدأ العظيم.. إنني أؤكد هنا.. بأن أهم قضيتين أساسيتين على المرأة أن تناضل من أجلهما هما: اختيار الدراسة.. واختيار الزوج. ولكن أن تترك المرأة بيتها.. وأولادها.. وزوجها ـ وتهاجر ـ لمدة أربع.. أو خمس سنوات لتحصل على الماجستير أو الدكتوراه. فهذا شيء أرفضه تمامًا، حتى وإن

عادت فاتحة للبوابة العربية المؤدية لنصر الأمة. الزوج هنا.. والأولاد في سن الشباب.. لهم مشاكل عديدة.. والبنات في سن زواج بحاجة إلى وجود الأم وإشرافها، والحياة غاصة بالهموم.. وبالجنون.. وبالوحدة والفراغ.. وأين هذا الحنان السماوي الذي بذره الله في كل ضلع من ضلوع المرأة؟ كل هذا تلقيه خلف ظهرها مع مسؤوليتها كأم وتغادر.. تختار شقة، وتسكنها - وحيدة.. أو غير وحيدة - الله أعلم!! وتصر على أنها ستكمل تعليمها - وهي قد جاوزت الخمسين - إنما هي تريد أن تعوض ما ضاع من سنوات.. وأن تتساوى مع الرجل وتحمل أعلى الشهادات!! وبالطبع هي لا تقصر بواجبها تجاه الأسرة.. فهي تزورها كل - إجازة - لتطمئن على أنهم ما زالوا يأكلون ويشربون.. ويمارسون - طقوسهم - الخاصة.. وإن الرجل ما يزال حاملاً - لقرنيه الطويلين - بانتظار - الدكتوراه - هذا هو مفهوم الحرية.. والمساواة عند بعض النساء، وهن كثيرات.. وغير هذا أعظم، ثم نقول: شبابنا ضائع، يدمن على صنوف الموبقات.. ومجتمعنا ينهار ويتفكك. ابحثوا معي.. وستجدون أن النتيجة هي وراء كل ضياع للأسرة.. امرأة تافهة تطالب - دون وعي - بالمساواة.

□ أخيرًا:

إنما الأطفال نَبْتٌ ... يشبه الغُصْنَ طريًا

حينَ ترعاهُم ستجني ... ثمرًا حُلوًا شهيًا

كُنْ لهم خيرَ صديق ... مخلصَ القلب وفيًا

يرفعوا ذكرًا سيبقى ... ساطعًا مثل الثريّا[1]

* * *

(١) نشرت مقالتها هذه في جريدة الوطن، العدد الصادر في ٢١ / ١ / ١٩٨٦.

أخطاء.. وتصحيحات

«السلوك الحسن» عنوان كتاب ألفه ثلاثة علماء تربية غربيين هم د. ستيفن غاربر، د. ماريابر، ورويت سبينرمان. وقد ضمّنوه مجموعة من الملاحظات حول الأساليب الصحيحة للتعامل مع الأبناء حتى يعدلوا سلوكهم. ويشير المؤلفون إلى أهم عشرة أخطاء يمارسها الآباء عادة.. وإلى طرق تصحيح هذه الأخطاء[1].

هل تريدين، عزيزتي حواء أن أعرض إليك بعضها.. لعلك تستفيدين منها.

- لا يجوز للآباء والأمهات أن يلجأوا إلى التهديد الفارغ؛ لأن تكرار مثل هذا التهديد دون تنفيذه، يجعل الأطفال لا يأخذونه بشكل جاد، إن على الوالدين أن يضعا حدوداً لتهديداتهم، وأن يفسرا أسباب هذه التهديدات بحيث يفهمها الأطفال، إن الأطفال يستجيبون للفعل أكثر من استجابتهم للكلام الذي لا ينتهي.

- ينبغي التركيز على السلوك السيئ، وملاحظة ما يفعله الطفل ملاحظة دقيقة، بحيث يُمدح على سلوكه الطيب، وكلما حدد الوالدان السلوك الذي يتم امتداحه.. كان ذلك أفضل لفهم الطفل.

---

(١) القبس، العدد ٥٦٩٥.

ـ على الوالدين أن يعملا معًا كفريق، وأن يتفقا على أية مشكلة تواجههما في تربية الأولاد، حتى لا تتناقض طلباتهما ويقف الأولاد أمامهما حائرين، كما أنه من المستحسن أن يتفق الوالدان على خطة لتوجيه أولادهما إزاء الأخطاء السلوكية التي يرتكبونها. وأن يقوما معًا بتنفيذ الخطة.

ـ الصواب هو انتقاد السلوك لا الشخصية، وعلى الوالدين أن يبعدا كثيراً من الكلمات الجارحة التي تقفز إلى شفاههما عند مخاطبة أولادهما من مثل وصف ولدهما بأنه متمرد، أو أناني، أو كسول؛ لأن الصفات السلبية تجرح نفس الطفل، وتخفق في تصحيح سلوكه. إنما يجب تحديد التصرف الخاطئ الذي ارتكبه.. كأن يقال له: ضربك أخاك الصغير تصرف غير حسن، بدلاً من أن يقال له: إنك ولد سيئ الخلق.

ومثل الأمر السابق مفيد أيضًا في الاتجاه المقابل فبدلاً من القول: إنك ولد طيب، عندما تكونين مسرورة من سلوكه، يمكنك القول: يعجبني ما قمت به من إشراك أخيك الصغير في ألعابك؛ وذلك لأن رسالة القول الأول التعميمية تعني أنه طيب دائمًا.. وهو شبه مستحيل.

ـ على الرغم من أن المقارنات بين الإخوة تكون صغيرة.. إلا أنها كثيراً ما تجرح إحساس الطفل. ولهذا ينبغي مراعاة ذلك وعدم إكرام أخ أو تفضيله على إخوته أمامهم.

عزيزتي:

علمنا الإسلام أن الحكمة ضالة المؤمن.. أنى وجدها فهو أحق الناس بها. ولعل خلاصة الدراسات هذه من الحكمة التي نستفيد منها.

● ● ●

حين يتغاضب الزوجان

الخلاف بين الزوجين، أو مغاضبة أحدهما الآخر، أمر شائع في كل بيت، لا ينجو منه زوجان. وهذه المغاضبة إما أن تمر مرور الكرام، وتمضي دون أن تترك أثرها البالغ، وإما أن تتطور إلى شجار حاد، وتكون سببًا في خلاف قد يفضي إلى الطلاق.

كيف يتصرف الزوج؟

وكيف تتصرف الزوجة؟

لعل أفضل عمل هو تجنب الاستمرار في المغاضبة والانسحاب من المواجهة، حتى تهدأ الأعصاب الثائرة، وينطفئ الغضب المشتعل.

تعالي، عزيزتي حواء، نقرأ هذا الحديث الشريف الذي أخرجه الشيخان: عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاء النبي ﷺ إلى بيت فاطمة رضي الله عنها، فلم يجد عليًا، رضي الله عنه، فقال ﷺ: «**أين ابن عمك؟**» فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج.

فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو**» فقال: هو في المسجد راقد.

فجاءه وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل النبي ﷺ يقول: «**قم يا أبا تراب، قم يا أبا تراب**». قال سهل: وما كان له اسم أحب إليه منه.

لقد كان خروج علي رضي الله عنه، إثر مغاضبته لفاطمة رضي الله تعالى عنهما، فرصة لتهدئة الخواطر الثائرة، والمشاعر الفائرة.

وتأملي حكمة النبي ﷺ، حين بادر إلى علي رضي الله عنه، في المسجد، ومداعبته له بندائه بأبي تراب، وتطييب خاطره، دون سؤاله عن تفاصيل الخلاف أو أسبابه.

وكذلك فعلت فاطمة رضي الله عنها، فإنها لم تحدث أباها، ﷺ بتفاصيل الخلاف بينها وبين زوجها علي،رضي الله عنه، واكتفت بقولها: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج.

فيا أيها الناس.. تعلموا من رسول الله ﷺ، وابنته فاطمة رضي الله عنها.

* * *

توددي.. ولو تكلفًا

عزيزتي حواء :

من الأخطاء البليغة التي تقع فيها الزوجة، وقد تكون سببًا في خلاف حاد مع زوجها، إفصاحها عن جميع مشاعرها، والبوح بمختلف آرائها، وبخاصة مشاعرها السلبية تجاه زوجها. . وآرائها التي تسجل فيها عدم رضى عن موقف من مواقفه أو رأي من آرائه.

يقول الدكتور هتشسن في مجلة «الرابطة الطبية» تحت عنوان: «السلام الضائع بين الأزواج» مخاطبًا هذه الزوجة:

«إنه قد يكون على خطأ، بل أغلب الظن أنه على خطأ، ولكن ما الداعي لأن تقولي له إنه على خطأ؟ إن الرجال يحبون أن يدركوا أنهم يعلمون خيرًا مما يعلم غيرهم، فلم لا تتركينه يظل على إدراكه هذا؟! إن عليك أن تدفعي هذا الثمن، فهو وايم الحق ثمن قليل تشترين به الأمن والسلام وحسن الصحبة»[1].

تقول خبيرة في الشؤون الزوجية وعلم النفس، وهي الدكتورة نورما لانكستر من نيويورك: «إنه لا يدمر الحياة الزوجية شيء مثل الصدق المطلق الذي لا يعرف الحدود حين تتفاوت قدرات الزوجين النفسية والعقلية. .

---

(١) مجلة العربي، العدد ٢١.

وتفاوت المفاهيم التربوية والاجتماعية أيضًا».

وتتساءل الخبيرة قائلة: «هل يمكن أساسًا أن يكون المرء صادقًا مع شريك حياته مائة بالمائة؟ الواقع أن ذلك مجرد أحلام وتمنيات ومثاليات لا وجود لها في الحياة الواقعية إطلاقًا».

وتحكي الدكتورة لانكستر الكثير من القضايا والتفصيلات التي تعرفت عليها خلال عملها في مركز الاستشارات الزوجية والتربية في نيويورك فتقول: إنه جاء إليها رجل متزوج منذ عشر سنوات، ويشغل منصبًا ممتازًا في إحدى الجامعات، وروى لها كيف أنه تزوج من زميلته في الدراسة، وكانت ذكية وواعية وفاهمة؛ ولهذا فقد اتفق معها على أن يكون صريحًا، لا يخفي عنها أمرًا، وابتدأ بنفسه فراح يحكي لها كل تفاصيل حياته الماضية، مثل نشأته في بيت كان أبوه فيه متسلطًا وأمه مستخذية ضعيفة.

ويضيف الزوج أنه بعد أن انقضى بعض الوقت على الزواج، كانت زوجته حين يختلفان لسبب بسيط تقول له: إنك مثل أبيك.. ورثت حب السيطرة عنه.

ومع الوقت، كانت هذه الكلمات من زوجته تجرحه وتسبب له الإحراج، حتى أدرك أخيرًا أنه أخطأ بإطلاعه زوجته على ماضي حياته الخاصة، وأنه ما كان يجب أن يكون صريحًا إلى ذلك الحد[1].

وتؤكد هذا أيضًا الدكتورة كينيت رئيسة مركز فنون وعلوم الاتصالات الإنسانية في تقرير لها حول الصراحة بين الزوجين بقولها: إن الصراحة التامة

---

(١) جريدة القبس العدد ٥٦٣٩.

بين الزوجين عادة ما تكون مضارها أكثر من منافعها. وأكدت أن الأبحاث الميدانية التي أجرتها على مدى عام وشملت ١٨٤ من المتزوجين، أظهرت أن الصراحة المطلقة لا تناسب الزوجين. وحذرت من اتباع الصراحة بين الزوجين فيما يتعلق بالمشاعر المرتبطة بالتغيرات المزاجية وقالت: إنه يحسن عدم البوح بمثل هذه التقلبات، خاصة وأنها في معظم الأحيان سريعة الزوال.

وأكدت أن فكرتها الجديدة لا ترمي إلى حبس الشخص لنفسه في عزلة عن شريك حياته.. ولكن المقصود بها هو مراعاة أن ظروف الحياة لم تعد تمكن الطرف الآخر من تحمل كافة الاضطرابات المزاجية لشريك أو شريكة الحياة. وأوضحت أنه يجب التمييز بين الصراحة والأمانة(١).

وهكذا، عزيزتي حواء، ينبغي على الزوج، وعلى الزوجة، أن لا يفصح كل منهما عن حقيقة مشاعره وأفكاره.. إذا كانت هذه المشاعر أو الأفكار تجرح الآخر أو تؤذيه. بل لا بأس من الكذب فيها، بأن تظهر الزوجة المودة لزوجها.. وإن لم تكن تشعر بالمودة في تلك الساعة، وتبدي قناعتها ببعض آرائه العامة.. حتى ولو لم تكن على قناعة تامة بها.

وهذا الذي وصل إليه علماء النفس والاجتماع اليوم، دعا إليه الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا. الإسلام الحازم الحاسم في تحريم الكذب حتى على الأطفال يبيحه للزوج على زوجته.. وللزوجة على زوجها:

عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: «**ما سمعت رسول الله ﷺ رخص في**

---

(١) مجلة «البراق» آب ١٩٨٨.

شيء من الكذب، إلا في ثلاث: الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته.. والمرأة تحدث زوجها» رواه مسلم.

وروي أن ابن أبي عذرة الدؤلي أيام خلافة عمر، رضي الله عنه - كان يخلع النساء اللائي يتزوج بهن، فطارت له في النساء من ذلك أحدوثة يكرهها، فلما علم بذلك.. أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله، ثم قال لامرأته: أنشدك بالله هل تبغضينني؟ قالت: لا تنشدني بالله. قال: فإني أنشدك بالله. قالت: نعم «أي إنها تكرهه». فقال لابن الأرقم: أتسمع؟

ثم انطلقا حتى أتيا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: إنكم لتحدثون أني أظلم النساء، وأخلعهن، فاسأل ابن الأرقم، فسأله فأخبره، فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها، فقال: أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أول من تاب، وراجع أمر الله تعالى، إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب. أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم فاكذبي، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك، فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب.

* * *

اهتمام سويسري بالمرأة المسلمة

علي بن حديد صحفي جزائري. يعمل في صحيفة «٢٤ ساعة» السويسرية الواسعة الانتشار، إذ تطبع أكثر من (١١٠ آلاف نسخة) في اليوم.

كتب في الصحيفة مقالة قصيرة عن حقوق المرأة في الإسلام وأحدثت ضجة في الأوساط الثقافية والاجتماعية في سويسرا، وتركت أصداء مختلفة.

فقد تلقى «علي» أكثر من مائة رسالة، بعضها يطلب فيها أصحابها مزيداً من المعلومات عن المرأة في الإسلام بل عن الإسلام كله، وبعضها الآخر يتساءل فيها أصحابها، إن كان صحيحًا ما جاء في المقالة؟ فكيف يتفق مع ما سمعوه عن الإسلام والمرأة المسلمة. وبعضها الثالث يهاجم عليًا ـ كاتب المقالة ـ ويهدده. وبعضها يشتمه ويسخر منه.

المهم أنه لم تكن بين هذه الرسائل المائة رسالة واحدة من عربي أو مسلم يعلق على ما كتبه الصحفي الجزائري في مقالته، أو يضيف إليه أو يثني عليه ويشكره.

ومن ضمن هذه الرسائل تلقى علي رسالة من أستاذ سويسري اسمه «بواسار» يدرس «الدراسات العليا العالمية» في جامعة جنيف، يشكره فيها ويهديه معها كتابه «إنسانية الإسلام».

ويحكي علي كيف أراد أن يوسع دائرة الاهتمام بالموضوع فاتجه إلى أحد السفراء العرب في جنيف ليأخذ رأيه في الموضوع، إلا أن السفير اعتذر عن استقباله، ورغم هذا فقد نجح علي في الدخول إلى مكتب السفير الذي تهرب من الحديث، ثم حمي الحوار بينهما، فقال الصحفي: أنت المسؤول ومن الآن لن أكلمك بالعربية ونادى السكرتيرة لتترجم له حديثه إلى السفير الذي أصر على عدم المشاركة في الحديث وإبداء رأيه في الموضوع.

على أي حال، فإن المقالة تبعتها محاضرات عن الإسلام، نظمتها جهات مختلفة بعد الاهتمام الذي أثير لدى الناس هناك تجاه الإسلام، والرغبة في معرفة أكثر عنه.

وبعد ثلاثة أشهر خرجت إحدى الصحف السويسرية وعلى غلاف صفحتها الأولى عبارة «لا إله إلا الله» وفي الداخل مقالة عن الإسلام، على الرغم من أن ميول هذه الصحيفة صهيونية. يقول علي: «حين رأيت المجلة أحسست بالدموع تترقرق في عيني».

وقد قامت المجلة بدعوة كاردينال جزائري وأستاذ من فرنسا مسلم وأدارت الحوار بينهما حول الإسلام.

والآن.. ماذا يقول علي بن حديد في مقالته تلك؟ لقد أكد علي في مقالته على أن الإسلام هو الشريعة الوحيدة التي أعطت المرأة حقوقًا كاملة لم تحصل عليها في أية شريعة سماوية أو وضعية أخرى. حتى حركة تحرير المرأة في أوروبا لم تحقق للمرأة مثل ما كفله لها الإسلام.

وللمرأة حق الاحتفاظ باسمها بعد الزواج «وهذا ما حققته مؤخرًا فقط

المرأة الدنمركية واعتبرته نصراً كبيراً».

فللمرأة في الإسلام حق اختيار الزوج، وحق رفض من يتقدم للزواج منها. ولها حق طلب الطلاق إذا لمست أي تقصير من زوجها تجاه حقوقها، أو أي نشوز منه.

وإذا كان للمرأة مال أو متاع، فلا يحق لزوجها أو أبيها أو أخيها، أو قريب آخر، أن يأخذ منه شيئًا دون إذنها.

وإذا كانت المرأة الكتابية ـ نصرانية أو يهودية ـ زوجة لمسلم، فمن حقّها أن تطلب منه مساعدتها على أداء عبادات دينها، كأن يوصلها إلى الكنيسة ويعود ليأخذها إلى البيت بعد انتهاء عبادتها.

والعمل الجنسي المشروع ليس مقبولاً فحسب للمرأة، بل هو واجب ولا ينقص من قدرها أبدًا.

ومن حق المرأة أن تشترط على زوجها حين عقد القران ألا يتزوج عليها ثانية ويكتب هذا الشرط في عقد الزواج ويلتزم به الرجل.

ويمضي الصحفي الجزائري علي بن حديد في الحديث عن حقوق المرأة في الإسلام، ومكانتها العالية فيه.

فيعقد مقارنة بين الزوجات الحليلات في الإسلام والنساء الخليلات «العشيقات» في الغرب الآن.

حيث للرجل هناك زوجة واحدة، ولكن له أكثر من خليلة يقيم معها علاقات غير شرعية.

ويتطرق إلى حجاب المرأة في الإسلام، فيذكر أنه يشبه لباس الراهبة في كونه يحجب جسد المرأة إلا وجهها وكفيها، فكيف يستنكر المستنكرون على المسلمة حجابها ولا يستنكرون على الراهبة لباسها.

ويضرب مثلاً من واقع المرأة المسلمة فيشير إلى أن عدد المستشارات القانونيات والمحاميات في تونس مثلاً أكثر من عددهن في فرنسا.

ويختم علي بن حديد مقالته قائلاً: إن لكل دين «طرطوفًا» فيجب ألا ننظر إلى الإسلام من خلال هؤلاء الذين نجد أمثالهم في كل دين.

وطرطوف مسرحية شهيرة لموليير تحكي قصة شخص يُدعى طرطوف يستغل الدين لقضاء مصالحه الشخصية.

* * *

لو كان الطلاق بيدك

جعل الإسلام حق الطلاق في يد الرجل. وفي الوقت نفسه أعطى المرأة سعة من الأمر فأباح لها أن تطلب من زوجها تسريحها حين يمسها الضرر ويلفحها الأذى ولا ترغب في إبقاء العلاقة. وهذا ما يسمى في الشريعة بالخُلع، حيث تتنازل المرأة عن صداقها لزوجها مقابل تطليقها. فإن أبى الرجل فراق زوجته على هذا الشرط. رفعت الأمر إلى القاضي ليرفع عنها الضرر.

وفي جعل الإسلام حق الطلاق في يد الرجل ضرورة واضحة، فإن إنهاء الحالة الزوجية وفصم عراها لابد أن يكون في يد من يغلب عقلُه عاطفته، لا في يد من تغلب عاطفتُها عقلها. فالمرأة بطبيعتها متقلبة، لا تستقر عاطفتها على حال، وهي سريعة التأثر، وقد تكره اليوم ما تحبه غداً[1].

وهذا ما أكده استفتاء أجري في الغرب مؤخراً: المرأة أكثر قابلية لاتخاذ قرار الفراق من الرجل.. حين تملك الحرية لذلك؛ فقد أكدت نسبة غير قليلة من النساء المشاركات في الاستفتاء أنهن لن يترددن في الانفصال إذا كان ذلك سيحسن ظروف حياتهن.

وهذه بعض الإجابات:

---

(١) د. مصطفى عبد الواحد، الزواج في الإسلام ص١٠٥، ١٠٦.

- إذا أحسست بأنني سأكون سعيدة دون زوجي، فلن أتردد في تركه.

- أفضل أن أكون سعيدة بنفسي أكثر من أن أكون غير سعيدة بوجود زوجي.

- سوف أفعل ذلك خلال دقيقة.. فالإنسان ليست لديه سوى حياة واحدة!

- نعم سأترك زوجي إذا أحسست أن ذلك سيساعدني في عملي.

- إذا كانت حياتي تصبح أجمل.. فلن أتردد.

- إذا كان تحسن حياتي يعني السعادة فسوف أتركه. فإذا كان العشب أكثر اخضراراً في مكان آخر.. فلماذا أستمر مع القش؟![1].

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

* * *

(١) «القبس» العدد ٥٥٣٧.

أعظم من الأمومة؟!!!

الممثلة جوانا لوملي، تبدو وكأنها تملك كل شيء تتمناه المرأة: الثروة، والشهرة، والعمل الذي تحبه، والزوج الذي يحبها، لكنها في الفترة الأخيرة فقدت أكثر شيء كانت تتمناه ـ الطفل الذي كانت حاملاً به ـ.

جوانا «٤٠ سنة» أسقطت الحمل في شهرها الثالث، وهي تخاف الآن من أنها أصبحت أكبر سنًا من محاولة أخرى. تقول جوانا: «أنا أعتقد أن الأطفال هم أهم ما في الحياة، فعندما نراقب طفلاً ينشغل بألعابه، نعرف لماذا كانت الحياة أصلاً».

وهذه الرغبة في الحصول على الأولاد تشارك جوانا فيها مجموعة كبيرة من نجمات السينما الشهيرات خاصة وهن يعرفن صعوبة الاهتمام بالعمل، حين تكون هناك عائلة تحتاج إلى الاهتمام.

إن الأمومة تغير طبيعة الحياة تمامًا. تقول ميرل ستريب: «لقد حملت لي الأمومة أكبر فرح توقعته في حياتي. لم أكن مستعدة لذلك؛ لأن كل من حولي كان يقول: إنها ستغير حياتي، وستحمل المصاعب إلى عملي. لكن أحدًا لم يستطع أن يجعلني جاهزة لاستقبال الفرح الذي يجيء مع الأطفال».

وستريب لها طفلان، وتقول: إنها كانت تريد أطفالاً منذ زمن بعيد، دون أن تدري سبب ذلك «فالإنسان لا يستطيع أن يعرف إلا عندما ينظر في

وجوه الأطفال». وكانت أحلام الأمومة قد سبقت أحلام النجومية عند ستريب، وهي تقول: «عندما كنت طفلة، كنت أحلم ببيت وأولاد. أما حلم التمثيل فقد جاء متأخرًا بعد ذلك».

أما صوفيا لورين «٥٣ سنة» فتقول: إن حبي لأطفالي هو أفضل وسيلة لمقاومة تجاعيد السن. وقد تتحدث بعض النساء عن أسعد أوقات حياتهن بطريقة أو بأخرى، وغالبًا ما يذكرن سن الثامنة عشرة، أو الثانية والعشرين. أما بالنسبة لي فهو سن الرابعة والثلاثين حين أنجبت ولدي الأول، وسن الثامنة والثلاثين، حين أنجبت الثاني.

ولدى جاكلين سميث «٣٩ سنة» ولد من زوجها المصور توني ريتشاد سون، اسمه غاستون «٥سنوات» وهي تقول: حياتي رائعة الآن. إن أحدًا لا يستطيع تصور مشاعري الداخلية. إنني قادرة على كل شيء من أجل ولدي، وكثيرًا ما أحس بأن قوتي مستمدة منه. إن ما يصبح واضحًا عندما يكون لدى الإنسان طفل هو وضوح ما هو حقيقي، وما هو صناعي. وقد مرت بي فترات تردد في الاختيار، لكن اختياري الآن حاسم: إن أولوية كل شيء في حياتي تكون لعائلتي. وتوافق كوليز على ذلك تمامًا، وهي تقول: لم أحس بأنني أحببت أي رجل بالطريقة التي أحب بها بناتي، إنني مستعدة للتضحية بحياتي من أجلهن، وأنا أم شديدة العون لابنتيّ كتا وساشا، أما بالنسبة لتارا فأنا صديقة.

وتقول نجمة الروك سوزي كواترو «٣٥ سنة»: إن وجود ابنتها لورا قد غير حياتها، وخلصها من الأنانية ونشر الحب حولها. بينما تقول ليندسي واغنر «٣٨ سنة»: إن ولدها دوريان هو أروع ما في حياتها، وقد منحها طاقة

لم تكن تملكها قط، وحين يكون إلى جانبها وهي تعمل تكون في أقصى درجات الراحة.

وأنجبت المغنية باتي بولاي «٣٢ سنة» طفلين ايما «٩ سنوات» وسيباستيان «٣ سنوات» فأحست بالكثير من الاطمئنان، وهي تقول: أكثر ما يدهش بعد الإنجاب هو كمية الحب التي يكون الإنسان عارفًا بأنه يختزنها في داخله. إنها تتفاعل داخلي، حتى والطفل بعيد، وإذا كنت خارج المنزل، فإنها تدفعني إليه.

وتؤكد الممثلة سوزان بنهاليغون «٣٨ سنة» أن ولادة طفلها ترون «٧سنوات» قد غيرت حياتها كليًا. فقد أحست فجأة أنها مسؤولة مسؤولية كاملة عن إنسان يعتمد كليًا عليها. وقد يموت إذا فقد عنايتها به، لقد كان الأمر بالنسبة لها نضوجًا سريعًا، غيرها من امرأة غير منظمة، إلى امرأة منظمة، إلى امرأة قادرة على النجاح.

ما رأيك، عزيزتي حواء، بهذه الشهادات التي لا تحتاج إلى أي تعليق؟! وممن؟ من ممثلات شهيرات، جميلات، ثريات..!

لم تسعدهن الشهرة، ولم يوفر الجمال لهن الطمأنينة، ولم يجلب لهن الثراء راحة البال.. **إنما أسعدهن ووفر لهن الطمأنينة، وجلب لهن راحة البال.. طفل فجّر فيهن مشاعر فياضة من الحب والعطاء.. وأحاسيس مختزنة من العطف والحنان.**

فيا أيتها الأم.. لا يشغلك عن أطفالك عمل، ولا مال، ولا هوى من الأهواء.. لأن هذا هو نداء فطرتك.. فهل تلبين النداء؟!.

أمهات.. بلا أبناء

ثلاث معمرات : إحداهن في الثانية والتسعين، والثانية تقترب من التسعين، والثالثة في الثالثة والثمانين وجدن قتيلات في دورهن . . القتلة ضربوهن حتى الموت طمعًا في العثور على جنيهات قليلة عرف عن المسنات أنهن سيحتفظن بها في منازلهن احتياطًا لمواجهة طارئ أو قضاء منفعة .

تلك عينة مما بلغه حال الناس في بريطانيا مثل بقية المجتمعات الغربية . الأرملة فلورنس بريكونز التي قتلت عن ٨٣ عامًا كانت تجلس ليلة الأحد أمام التليفزيون تشاهد أحد برامجها المفضلة حين اقتحم منزلها الكائن في مدينة هكسام بمقاطعة نورثهمبرلاند بأقصى الشمال الإنجليزي لص أراد مالها .

الأرملة التي وصفت بأنها شجاعة جسور، رغم كونها هزيلة البنية نحيفة، لم تستسلم بسهولة أمام اللص، بل قاومته وحاولت منعه من سرقة جنيهاتها القليلة. فانهال عليها اللص، حسب قول الشرطة، ضربًا باللكمات وبهراوة كانت معه ولم يتركها إلا جثة هامدة .

برنارد اوزبورن، مأمور قسم الشرطة لمدينة هسكام وصف الواقعة بأنها «هجوم وحشي» . . بل إن الشرطة وجدت آخر وجبة للأرملة من رغيف خبز وقطعة جبن وقد أكلت نصفها ولم يمهلها القاتل لإكمال النصف الآخر .

وذكر مأمور الشرطة أن الأرملة القتيل لم تكن ثرية ولم يوجد بمنزلها ما له

قيمة تذكر. عثر على جثة الأرملة بعد أن لاحظت مسؤولة الرعاية الاجتماعية التي اعتادت زيارتها أن ستائر المنزل بقيت مسدلة على غير العادة فاستدعت ابنها ايريك «٥٧ عامًا» الذي دخل إلى المنزل ليرى أمه مكومة جثة هامدة.

الجريمة البشعة كانت أحدث الجرائم في ثلاثي بشع.. ففي وقت سابق عثر على جثتي عانستين، سوزان ايجرتون «٩٢ عامًا» وشقيقتها فلورنس التي اقتربت من التسعين.

وكان الجيران قد لاحظوا أنهم لم يروا سوزان أو فلورنس لفترة. ولدى تحري الأمر وجدت جثتاهما داخل المنزل الكائن بقرية «تشو» قرب أولدهام في مقاطعة لانكشير[١].

عزيزتي حواء:

هذه الجرائم الثلاث، أمثلة لمئات، بل آلاف الجرائم التي يذهب ضحيتها نساء ورجال مسنون.. في كل عام في أوروبا.

لماذا تكثر هذه الجرائم في الغرب.. وتندر عندنا في الشرق إلى درجة العدم؟ إنهم هناك ينفصلون عن آبائهم وأمهاتهم بعد زواجهم.. ولا يزورونهم إلا في المناسبات، ومن ثم يضطر أولئك الآباء والأمهات إلى العيش وحدهم في البيوت.. دون ابن أو حفيد.. فيطمع اللصوص بهم..

---

(١) هذا الخطر الذي تتعرض له النساء المسنات في ألمانيا.. جعلهن يتدربن على الرياضة وطرق الدفاع عن النفس في تدريبات أسبوعية. تقول واحدة من هؤلاء السيدات: «علينا أن نستخدم كل الوسائل للدفاع عن أنفسنا عندما نكون وحدنا، ويجب ألا يقتصر عمل أيدينا على حمل الحقائب الصغيرة فقط.. بل يجب أن تتحول إلى قبضة قوية ضد من يحاول الاعتداد علينا». الشرق الأوسط، العدد ٣٤٠٧.

ويستغلون ضعفهم الناتج عن كبر سنهم . . وعدم إقامة أحد من أولادهم معهم .

بينما في شرقنا المسلم ؛ حيث مازال لقيم الإسلام العظيم في برّ الوالدين . أثرها في الأبناء . . فإن الآباء والأمهات يقيمون مع أولادهم . . بل يتسابق هؤلاء إلى كسب رضا أمهاتهم وآبائهم . . وقلما نجد امرأة عجوزاً في بلادنا تقيم في سكن وحدها . . كما هو الحال في بلدان أوروبا وأمريكا .

وهكذا تفتقد المرأة الغربية المسنة الأمن . . فيقتلها اللصوص من أجل بضعة جنيهات أو دولارات . . لأنها لا تجد من أولادها من يقيم معها ، أو تقيم معه ، ليحميها .

ولقد حدثني صديق عن امرأة إنكليزية لها ابنة وحيدة . . قررت مفارقتها بعد أن بلغت الثامنة عشرة لتعيش مع من ستتزوجه . . فدعتها الأم لتعيش هي وزوجها معها في بيتها الكبير . . فأبت ، ورجتها فرفضت . وتوسلت إليها فأصرت ، فاشتكت إلى القضاء ، لكن القضاء حكم للابنة . . لأن القانون يعطيها الحق في الاستقلال بحياتها إذا بلغت الثامنة عشرة . . !

ولعلك تذكرين تلك المرأة النمساوية التي نصحت ابنتها بالزواج من مسلم . . إذا أرادت أن تبقى أمها معها بعد زواجها[1] .

• • •

---

(١) «رسالة إلى حواء»، ص .

سكن.. لا شقة

الرجال الذين يزعمون أنهم يؤيدون عمل المرأة مع الرجال. . كم تبلغ نسبتهم من مجموع الرجال؟ ثم هل هم جادون صادقون في تأييدهم هذا؟

في كتاب صدر في الولايات المتحدة الأمريكية اسمه «كيف يشعر الرجل: مواقفه إزاء مطالبة المرأة بالمساواة والسلطة» وهو من تأليف انتوني استراكان. في هذا الكتاب دراسة تشير إلى أن ٨٨٪ من الرجال الأمريكيين يقولون: إنهم لا يمانعون أن تعمل زوجاتهم أو «أخواتهم وأمهاتهم». ولكن بعد استجواب هؤلاء الرجال بدقة. . تبين أن الذين يؤيدون فعلاً عمل المرأة على قدم المساواة مع الرجل لا يتجاوزون خمسة إلى عشرة بالمائة[١].

وهكذا، عزيزتي حواء، على الرغم من مضي عشرات السنين على عمل المرأة في الغرب فإن الرجال مازالوا غير مؤيدين لعمل المرأة معهم، ولكن لماذا؟

الإجابة هينة وواضحة: الرجل لا يريد أن تجف في المرأة أنوثتها. . لا يريدها أن تصل إلى البيت معه ليجدها متعبة مثله. . !

يريدها أن تستقبله إثر عودته. . لتنزع عنه سترته. . وتسمع منه آهته! يريدها ليسكن إليها. . لا شريكًا مستأجرًا معه شقة!!!

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾[الروم: ٢١].

* * *

(١) مجلة «المجلة» العدد ٣٤٧.

أعطوا.. أكثر مما تأخذون.. تسعدوا

يستطيع الزوجان أن يتجاوزا الكثير من الأزمات التي تواجه حياتهما الزوجية إذا اتبعا خطة أعدت بدقة من خلال أحد كبار علماء النفس في أمريكا.

هناك ثلاثة أخطاء عامة يرتكبها الزوجان عندما تواجه حياتهما مشكلة ما، لكن هناك خطة من ثلاث نقاط تستطيع أن تساعدهما على حل أية أزمة، والمحافظة على تماسك الزواج، كما يقول د. هارفي روبن، أستاذ علم النفس في جامعة ييل، وهذه الأخطاء الشائعة هي:

١ ـ عدم الاعتراف بالمشكلة، أو عدم التعامل معها فور حدوثها، والإلقاء بها إلى زاوية ما، بتأجيل بحثها.

فإذا كانت حماة الزوج مثلاً تحاول أن تعلم الزوجين كيف يجب أن يقوما بتسيير حياتهما، وكان الزوج متضايقًا، ولم يقل شيئًا في حينه، أو إذا قال شيئًا وأجابت الزوجة بأن هذه هي طبيعة والدتها، فإن الزوجين بعد أن ينجبا فإن الحماة ستستمر في تدخلها وفي تعليم ابنتها كيف تتعامل مع الأولاد، وهذا أمر سيثير الرجل كثيراً وسوف ينعكس ذلك على شكل عراك مع زوجته لتكون بينهما مشكلة كبيرة، لكن إذا تم التعامل مع تصرفات الحماة منذ البداية، فإن المشكلة لن تصل إلى حدودها الصعبة أبداً.

٢ ـ عدم التحدث معًا حول القضايا المالية: فقد تقوم المرأة بتسليم كل هذه القضايا للرجل، وقد يحدث العكس، ثم يحدث شيء طارئ يجعلهما بحاجة إلى المال، ولا يجدانه فيحدث جدال، ثم تقع المشكلة الكبرى، التي كان بالإمكان تجنبها لو أن الزوجين تحدثا معًا من قبل حول هذه الأمور.

إن الأمور المالية يجب أن تكون مشتركة باستمرار سواء كان الزوجان يعملان، أو أحدهما فقط.

٣ ـ عدم استماع أحدهما إلى الآخر: كأن لا ينتبه أحد الزوجين إلى ما يقوله الآخر، أو لا يحس بحاجاته، وعندما تبدأ الأزمة، فإن كلا منهما سيحاول البحث عن حل يناسبه وحده، وتكون النتيجة جدالاً مستمرًا بدلاً من البحث عن الحلول.

ويقول د. روبن: إن لديه ثلاث طرق للتعامل مع الأزمات، سواء كانت مالية أو جنسية أو اجتماعية أو أية أزمات مشتركة يمر بها الزوجان، وهذه الطرق هي:

ـ الاستعداد للتنازل، وقبول ستين بالمائة من العطاء في مقابل ٤٠٪ من الأخذ، فحينما يصر الزوجان على أن تكون العلاقة مشاركة بالمناصفة فإن كل واحد منهما سينتظر الآخر كي يقدم أولاً حصته، لكن حينما يكون هناك استعداد لتقديم ٦٠٪ في انتظار ٤٠٪ فإن الأمر ينتهي بأن يقبل الزوجان على إرضاء أحدهما الآخر.

ـ قبل البدء في بحث أية مشكلة على كل طرف أن يؤكد للطرف الآخر أنه يحبه، فهذا الأسلوب يجعل المزاج هادئًا، وهو يذكر كل زوج بأنه موضع

اهتمام من الآخر، بالرغم من المشكلة الطارئة.

- التباحث لا التجادل، وذلك بوضع كل الأوراق على الطاولة: هذا ما أريده، وهذا ما أفكر به، فهذا يسمح بالحوار من أجل الوصول إلى حل يكون مقبولاً من قبل الطرفين.

ويقول د. روبن: عندما يستخدم الزوجان هذه الأساليب الثلاثة، فإنهما سيكونان قادرين على حل أية مشكلة تواجههما، وبذلك سيحفظان علاقتهما من الانهيار.

عزيزتي حواء:

ثلاث مشكلات، وثلاثة حلول، يقدمها الدكتور روبن، أستاذ علم النفس بعد دراسات وأبحاث على العلاقات الزوجية.

الجدال هو أحد مسببات الشجار الزوجي، كما يرى د. روبن، وهو ما سبق إليه الإسلام حين نهى عن الجدال بشدة، ليس في العلاقات الزوجية وحدها، بل في علاقات الحياة جميعها. ويقترح الدكتور روبن إحلال التباحث محل الجدال، وهذا ما كان يفعله الرسول ﷺ مع زوجاته، على الرغم من أنه نبي مطاع.

الحل الثاني الذي يقترحه عالم النفس هو الاستعداد للتنازل، وقبول ستين بالمائة من العطاء مقابل ٤٠٪ من الأخذ. والإسلام سبق أيضًا في هذا، ولم يَحُث الزوجين على تبادل العطاء بهذه النسب فحسب، بل حث على التسابق في العطاء.. لأن فيه الأجر الكبير من الله سبحانه[١].

---

(١) يرجع إلى رسالة إلى حواء ـ رسالة: لا تبار ولا مقابل في الأسرة المسلمة.

الخطأ العظيم

إذا صحّ قولهم: إن المرأة تستطيع أن تقوم بما يقوم به الرجل.. فهل يصح القول: بأن الرجل يستطيع أن يقوم بما تقوم به المرأة؟

عزيزتي حواء:

الأديب الروسي تولستوي، يستأنس بقول كاتب معروف في عصره يقول كلامًا يشبه التساؤل الذي بدأت به رسالة اليوم إليك.. يقول: أنا لا أناقش في أن المرأة تستطيع أن تقوم بكل عمل يمكن أن يقوم به الرجل، بل إنها قد تتفوق عليه في إتقان بعض الأعمال.. ولكن الذي لا أشك فيه.. هو أن الرجل لا يستطيع بحال من الأحوال، أن يقدم للعالم ما يمكن أن تقدمه المرأة.

ويعلق تولستوي بقوله:

كم يصدق هذا القول، لا على الحمل والولادة وتربية الأطفال، وإنما على عملية الحب في حد ذاتها. هذا الحب المخلص المتفاني الذي يكرس صاحبه كل حياته في سبيل أن يسعد من يحب. هذا الذي ما زالت المرأة الطيبة توليه زوجها وابنها وأخاها وأباها.

ما أتعس العالم لو أن المرأة توقفت عن أن تحب. إن العالم يستطيع أن يستغني، في بساطة ويسر عن جهد الطبيبات والمعلمات والمحاميات وعاملات الهاتف والكاتبات، ولكنه من دون الأمهات والمواسيات والحانيات

على الفقير والمريض، من غير هؤلاء اللاتي يحببن في الإنسان خير ما فيه. من غير هؤلاء تكاد الحياة على هذه الأرض أن تكون مستحيلة.

ماذا لو فقد العظيم من أحبته، وآمنت به، وآزرته؟ ماذا لو فقد المعذبون وضحايا الظلم والاستبداد فكرة أن قلبًا واجفًا يدعو الله من أجلهم؟ وأن امرأة ما تتطلع إلى السماء بالدعاء على من ظلموهم. ماذا لو فقد البؤساء من كل صنف، والأشقياء من كل نوع فكرة أن إنسانًا قريبًا منهم يحنو ويحب؟!

ثم يضيف تولستوي:

إن المغالطة الكبرى التي تسمى قضية المرأة، قد ألحت، كما تلح كل فكرة فارغة في أغلب الأحيان على عقول الناس في زماننا، أن المرأة تريد أن ترقى!

ومن ذا الذي يعارض في أن ترقى النساء جميعًا؟ ولكن عمل المرأة- لاختلاف رسالتها في الحياة- يجب أن يختلف عن عمل الرجل. والمثل الأعلى للمرأة لا يمكن أن يكون المثل الأعلى للرجل. وأنا لا أدري ما هو هذا المثل الأعلى، ولكني واثق من شيء واحد، وهو أنه- بلا أي شك- ليس المثل الأعلى للرجل بحال من الأحوال. ومع هذا، فكل هذه الجهود في زماننا، وبخاصة جهود المرأة الحديثة توجّه نحو تحقيق هذا الخطأ العظيم.

فيا عزيزتي حواء:

لا تحرمينا عطف الأم.. ورعاية الزوجة.. ومودة الأخت.. وبرّ الابنة.. من أجل أن تكوني مثل الرجل.

• • •

ادفعي بالتي هي أحسن

تكون المشكلة بين الزوجين هينة، ويمكن حلّها بتحديدها، وإرجاعها إلى أسبابها، بهدوء ورويّة.

لكن الذي يحدث، في الأغلب، أن يتصرف أحد الزوجين تصرفات غير صائبة، مما يزيدها حدّة، ويعقدها، فتنقلب إلى شجار عنيف بين الزوجين.

من هذه التصرفات تذكير أحد الزوجين للآخر بسلبياته، أو قيامه بمقاطعة حديثه وعدم انتظاره حتى إتمامه، أو إطلاق اتهامات فاصلة، والنظر إلى المشكلة من وجهة نظر ذاتية دون اعتبار لوجهة نظر الزوج الآخر.. وهكذا.

وقد جمعت الدكتورة سوزان كامبل مؤلفة كتاب «بعد عراك القوة: التعامل مع الصراع في الحب والعمل» هذه التصرفات غير الصائبة.. ووضعت لها البدائل التي يمكن ـ لو عمل بها الزوجان ـ أن تخفف كثيرًا من المشكلات، وتلغي بعضًا منها.

تعالي ـ عزيزتي حواء ـ نقرأ هذه النصائح معًا، فهي تساعد الزوجين على أن يخرجا من الصراع منتصرين لصالح زواجهما.. أيًا كانت الخلافات بينهما:

ـ الابتعاد عن المقاطعة: لأن إظهار الاحترام تجاه الطرف الثاني يجعله يظهر الاحترام لما يقوله الطرف الأول أو يفعله.

ـ التأكد من استكمال الحوار، بحيث يتاح لكل طرف أن يقول ما يريد، ولذلك لا يجوز لطرف أن يقطع الحديث، وينسحب قبل أن يسمع وجهة النظر الأخرى.

رؤية المشكلة من وجهة نظر الطرف الآخر. فمثل هذه المحاولة قد تحل الكثير من الخلافات خاصة إذا أشار الذي يقوم بها إلى أنه يفعل، ولعل قول الزوجة لزوجها: أعتقد أنني أفهم لماذا تشعر بهذا، أو أنني أحاول أن أفهم ما تقول، قد يفتح الطريق إلى نوع من الاتصال الذي يسيره الحب.

ـ عدم التهجم على الطرف الآخر، وعدم وصفه بأوصاف سيئة؛ لأن الأمر يحول الحوار إلى نوع من الحرب، لا تصلح المفاوضات لتهدئتها.

ـ عدم الاتهام المطلق، كأن يقول أحد الطرفين للآخر: إنك دائمًا تفعل كذا، أو أنك تفعل كذا أبدًا. فهذا يقود إلى حوار جانبي حول (دائمًا وأبدًا) يبتعد عن موضوع الحوار الأصلي.

ـ البحث في موضوع واحد في المرة الواحدة، وعدم إدخال كل المشكلات معًا قبل حل الموضوع الذي يجري الحوار حوله.

ـ التحدث عما يريده أحد الطرفين، بدلاً من الشكوى حول ما لا يريده وبدلاً من قول: «إنك لا تقضي أبدًا شيئًا من الوقت معي» يجب القول: «إنني أتمنى لو نذهب للعشاء معًا مرة في الأسبوع». فهذا يعطي الطرف الآخر مادة حقيقية عما يمكن أن يحمل السعادة لمن يطلب.

ـ التحدث عن شيء إيجابي خلال الجدال مثل قول: إنني فعلاً أحبك، وأنا أعتقد أننا نستطيع التغلب على هذه الصعوبة. فمثل هذا القول قد يجعل

الغضب ينسحب بعيداً.

- عدم استعمال كلمات الواجب؛ لأن الإنسان بطبيعته يرفض أن يقوم بما يؤمر به، أو بما يطلب منه قسراً. وبدلاً من كلمة (يجب) يمكن استخدام كلمة (أريد..) مع تحديد الطلب بدقة.

عزيزتي حواء.. ما رأيك في أن تجربي العمل بهذه النصائح.. ولو لأشهرٍ ثلاثة؟

* * *

ما أبعد ما بينهما

صحفي أمريكي، كتب في جريدة «نيويورك بوست» في عام ١٩٧١ يقول: «ليس هناك ما يثير الغضب مثل أن يجد الإنسان امرأة واحدة تنفق ١٢٠ ألف دولار على أزيائها في السنة، في الوقت الذي لا يجد فيه ملايين من البشر ما يحميهم من برد الشتاء. ومن المحزن أن يلحظ الإنسان امرأة واحدة تنفق على معاجين تنظيف البشرة في الشهر الواحد ما يكفي دخلاً لأحد مواطني أمريكا اللاتينية على مدى مائة عام».

عزيزتي حواء، هل تعرفين من تكون تلك المرأة؟

إنها جاكلين كيندي.

أو جاكلين أوناسيس فيما بعد.

عزيزتي حواء، هل تعودين معي أربعة عشر قرنًا، إلى سيدة نساء أهل الجنة، فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ:

أخرج أحمد عن علي، رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بعث معها بخميلة «قطيفة» ووسادة من أدم حشوها ليف «قشر النخل»، ورَحَيَين وسقاء وجرّتين.

فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوتُ حتى اشتكيتُ، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه «أي اطلبي منه خادمة» فقالت: وأنا والله

لقد طحنت حتى مجلت يداي «ثخن جلدها وتعجّر وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة» فأتت رسول الله ﷺ فقال: «**ما جاء بك أي بُنيَّة؟**» قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت.

يا الله!!

ما أبعد ما بين تلك المرأة المدعوة جاكلين كيندي يومًا.. وجاكلين أوناسيس يومًا آخر.. وبين بنت سيد الخلق، وخاتم الأنبياء رسول الله ﷺ.

تنفق جاكلين ١٢٠ ألف دولار في السنة على أزيائها!

ويكفي ما تنفقه على معاجين البشرة في شهر واحد.. لإعاشة مواطن أمريكي جنوبي مائة عام!! بينما جلد بنت النبي ﷺ يثخن ويتشقق!

ومع هذا، فإن معظم بناتنا يحلمن بأن يكون عندهن ثروة جاكلين، ولا يحلمن بأن يكون عندهن خلق فاطمة رضي الله عنها!!.

* * *

احذري مخالطة الأقارب

عزيزتي حواء:

لعلك تعرفين، كما أعرف، أسراً متمسكة بتعاليم الإسلام، فلا يرى الشاب فيها ابنة خالته، مثلاً، بعد دخولها سن البلوغ، لالتزامها بالحجاب، وكذلك لا يرى الشاب ابنة عمه.. بعد التزامها بالحجاب أيضًا.

وكان كثير من الناس يرون في هذا تزمتًا، وتعنتًا، ولهذا نجد بناتهم يختلطن بأبناء خالاتهن وأخوالهن، وعماتهن وأعمامهن، وإخوة أزواجهن.

ولبيان جانب من جوانب حكمة الإسلام في منع المرأة المسلمة من كشف نفسها، وإظهار زينتها على أقاربها الرجال، عدا من أباح الله لها منهم[1]، فإني أعرض ما توصل إليه عدد من الباحثين الاجتماعيين الغربيين من نتائج تظهر بعض تلك الحكمة:

- ثلث حوادث الاغتصاب من فعل الأقارب.

- ثماني عشرة في المائة من حوادث الاغتصاب ارتكبها أناس كانوا من معارف الضحايا.

---

(١) والمجموعون في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ...﴾ [النور: ٣١].

يعلق الأستاذ هانز جواكيم شنيادر من جامعة منستر في ألمانيا الغربية على الإحصاءات بقوله:

«يعتقد الناس أن الخطر كامن خارج نطاق الأسرة، وأن الأسرة مكان آمن. ولكن الواقع غير ذلك، وخصوصاً بالنسبة إلى النساء.. فإن الأسرة مكان خطير للغاية حسب الدراسات التي أجريت حتى الآن».

ويضيف استناداً إلى الإحصائيات نفسها: «إن تناول المسكرات والخمر بالدرجة الأولى يمهد الطريق للشرارة الأولى واستفحالها إلى حريق شامل يؤدي إلى ارتكاب الجريمة».

«وربما كانت أرقام الجرائم المتعلقة بالأهل أعلى مما جمعت الدراسات الجنائية؛ لأن الأقارب ـ في نسبة غير محددة من الحوادث ـ يتعارفون على إخفاء الحقائق.. إلا إذا ضيقت السلطات عليهم الخناق للوصول إلى الحقيقة» كما تقول صحيفة ستتجارتر الألمانية.

ويقول الضابط يودورمان مدير المباحث الجنائية في حديث للجريدة نفسها: «إن إحصائية أخرى كشفت أن الثلث سقطوا ضحايا لأقاربهم.. ولو أضافوا إلى القتلة الرئيسيين شركاءهم لارتفعت نسبة الأقارب كثيراً».

وهكذا، عزيزتي حواء، نعيش أفقاً من آفاق الزمان.. لنرى فيه آية أخرى من آيات الله التي وعد سبحانه بأن يريها عباده في الآفاق.

* * *

(١) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٣٢٣٥.

حتى لا تكوني امرأة سوء

عزيزتي حواء:

دور الزوجة في تقوى زوجها المسلم، وثباته على دينه، وعطائه لدعوته، دور هام وخطير.

وإنا لنعلم عددًا غير قليل من الشباب الدعاة، المتحمسين الباذلين، بردت حماستهم، وقل بذلهم بعد زواجهم. حتى إن بعض الإخوة وصف الزواج بأنه «مقبرة الدعاة».

وعلى هذا، فإن دورك أيتها الأخت المتزوجة، في زيادة إيمان زوجك أو نقصانه، دور فاعل.

احرصي دائمًا على تذكير زوجك، بالإشارة اللطيفة، والتوجيه غير المباشر، بصلاة الجماعة، والصيام النافلة، وفعل الخير والصدقة، وكوني عونًا له على ذلك، ولا تكوني عامل صرف وتثبيط.

حدثيه عن جاركم الذي يحرص على صلاة الفجر جماعة في المسجد.. دون أن تقولي له: لماذا لا تفعل مثله؟، اكتفي بتلك الإشارة غير المباشرة.

أخبريه عن زوج صديقتك فلانة، وحرصه على صيام الاثنين والخميس، دون أن تطلبي منه صيام الاثنين والخميس. وهكذا..

واقرئي يا أختي ماذا قال الصحابي الحارث بن حسان حين عاتبه صحبه

لخروجه إلى صلاة الفجر ليلة زفافه:

أخرج الطبراني في الكبير بإسناد حسن عن عنبسة بن الأزهر قال: تزوج الحارث بن حسان رضي الله عنه وكانت له صحبة ـ وكان الرجل إذا تزوج تخدر[1] أيامًا فلا يخرج لصلاة الغداة، فقيل له: أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟ قال: والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء[2].

فتأملي يا أختنا حرص الحارث بن حسان رضي الله عنه.. وتأملي كيف يرى زوجته لو أنها منعته من صلاة الفجر في جماعة.. ومتى؟ في ليلة زفافه! فاحرصي يا أخت ألا تكوني امرأة سوء.

وكوني عونًا لزوجك على الشيطان.

ولا تكوني عونًا للشيطان عليه.

* * *

(١) أي لزم البيت فلا يخرج منه.

(٢) حياة الصحابة، جـ٣، ص١٢٣، ١٢٤.

صحوة جين فوندا

إنها ممثلة أمريكية شهيرة!

قامت بعدة أدوار مثيرة، منها دورها في فيلم «باربا ريلا» ودورها في فيلم «كلوت».

إنها جين فوندا.

هل قرأتم تصريحها الذي تطالب فيه بالحد من تيار الفساد والانحلال الخلقي في الولايات المتحدة الأمريكية؟

لقد حذرت في تصريحها ذاك من مغبة إباحة نشر الكتب القذرة، والأفلام البذيئة، وطالبت بحظر نشرها، وإلا «فإننا سنشهد انهيار هذه الأمة»، أي أمريكا.

وقالت أيضًا: يجب المبادرة في الحال لتعقب وكف أيدي الذين يتاجرون بالفساد الخلقي وتقديمهم إلى المحاكمة.

وأضافت قائلة: «يجب بذل كل الجهود الممكنة للتأثير على القوى الفاعلة في ثقافة المجتمع.. مثل صانعي الأفلام، ودور النشر والصحافة.. لتخفيف درجة الحرارة وإيقاف ما يتعلق بالإثارة الجنسية».

هل نسمي هذا صحوة من جين فوندا التي كانت هي نفسها أداة من تلك الأدوات التي تدعو اليوم إلى إيقافها ومنعها والحظر عليها؟!

لعلها صحوة فعلاً؟ .

وأهمية هذه الصحوة تنبع من أمور ثلاثة :

١ ـ هذه الصحوة صادرة عن ممثلة كانت أداة من أدوات الإفساد ، فهي تدرك أثره أكثر من غيرها ، وخطره على المجتمع ، وتهديده للأمة كلها . ففساد أي مجتمع هو مرحلة من مراحل انهيار الأمة .

٢ ـ وهي صادرة عن امرأة . . لا عن رجل . والمرأة لها حسّ خاص تجاه القيم الاجتماعية ، وتدرك كم يمكن للمرأة أن تفعل في إصلاح أي مجتمع أو إفساده .

٣ ـ وصادرة عن امرأة أمريكية . . لا عن امرأة شرقية . ونحن نعلم أن أمريكا بلغت حداً من التحلل ربما لم تبلغه حتى بعض أقطار أوروبا . ومن ثم فصحوتها وتحذيرها لهما وزنهما .

* * *

مازال التاريخ يكشف

التاريخ الإنساني حافل بألوان الاضطهاد والإذلال للمرأة.

ويبدو أن ما تحفظه كتب التاريخ من معاناة المرأة.. غيض من فيض، فمازالت الدراسات الحديثة تكشف حقائق لم تسطرها كتب التاريخ.

ففي دراسة حديثة نشرتها مجلة «علم النفس التاريخي» ورد أن الآباء في روما القديمة كانوا يتمتعون بسلطات غير عادية على أبنائهم، وكان لهم حق قتل من يولد لهم حديثًا دون أن يكون للأم حق الاعتراض.

وأشارت الدراسة إلى أن الآباء الرومان كانوا يستطيعون بيع أبنائهم كما كانوا يبيعون الدواب. كما كانوا يستطيعون جلدهم ونفيهم وسجنهم أو تقييدهم بالأغلال ليعملوا في الحقول مع العبيد.

وقال الدكتور كارل ماونتير كاتب الدراسة: إن المخلوقات البشرية في روما لم يكن ينظر إليهم نظرتنا إلى الإنسان في الوقت الراهن. وأضاف أن المجتمع الروماني، كان مجتمعًا يسيطر عليه الأب سيطرة مطلقة، وكانت الزوجة والأولاد والعبيد مجرد ممتلكات يمتلكها الرجل.

وذكر الدكتور ماونتير أن الرومان كانوا يعتبرون قتل الأطفال الرضع بمثابة شكل من أشكال تحديد النسل، وأنهم كانوا يقتلون الأولاد المشوهين ولاديًا بصورة روتينية، وأن الأطفال الإناث كنّ أسوأ حظًا من الذكور.

وقال: إن الآباء الأكثر رحمة كانوا ينبذون أبناءهم غير المرغوبين على قارعة الطريق فيأتي من يتلقفهم ويربيهم عبيداً ومتسولين وبائعات هوى.

أما الأطفال الذين كانوا ينجون من الموت على أيدي آبائهم فتنتظرهم حياة ملؤها الشقاوة والتعاسة.. إذ كان آباؤهم يحرمونهم من الطعام لتقليص نفقاتهم ويستخدمونهم في أعمال السخرة ويستولون على أتعابهم جميعها[1].

عزيزتي حواء:

تصوري تلك الأم المسكينة.. يقتل زوجُها طفلها أمامها.. دون أن تملك حق أي اعتراض.

تصوري الزوجة.. الإنسانة المفعمة بالأحاسيس والمشاعر.. لا تتجاوز النظرة إليها متاعًا من أمتعة الرجل.. وشيئًا من أشيائه.. وواحدة من ممتلكاته!

تصوري الطفلة يلقي بها أبوها على قارعة الطريق.. ليلتقطها من يربيها لتكون بائعة هوى..!!

ثم انظري إلى المرأة في الإسلام كيف أكرمها طفلة وزوجة وأمًا..! فجعل تربيتها طفلة وقاية من النار.. وبرها أمًا طريقًا إلى الجنة..!

* * *

(١) الشرق الأوسط، العدد ٣٣٢٣.

إحسان عبد القدوس

من منكن لا تعرف إحسان عبد القدوس، أو تسمع به، أو قرأت له رواية من رواياته التي حث فيها الفتاة على التحرر، والمرأة على العمل؟

جميع رواياته، أو معظمها، أخرجت للسينما أو التليفزيون، وشاهدها مُمثَّلة على شاشات السينما والتليفزيون ملايين الفتيات والنساء في عالمنا العربي المسلم.

ولعبت رواياته وكتاباته دوراً في إخراج المرأة من بيتها، ودفعها للتمرد على قيم دينها وأعراف مجتمعها.

إحسان عبد القدوس هذا، استضافه التليفزيون المصري في سهرة عن حياته وأدبه وأفكاره. ومما قاله في هذه السهرة:

- كان يحرص قبل زواجه، أن تكون زوجته غير عاملة. وحقق حرصه هذا، فعلى الرغم من أن الفتاة التي تزوجها كانت جامعية، فإنه لم يسمح لها بالعمل؛ لأنه يرى أن رسالة المرأة الحقيقية في بيتها: ترعى زوجها وتربي أبناءها.

- كشف أنه كان يعمل بجد في شبابه، ليتولى رئاسة مؤسسة روزاليوسف الصحفية، التي كانت ترأسها أمه روزاليوسف، وذلك بهدف تركها للعمل، وتفرغها لبيتها، وله؛ لأنه كان محروماً من اهتمامها ورعايتها، فقد نشأ

إحسان عبد القدوس في بيت أهل والده، وربته عمته، وأرضعته أيضًا.

ـ لم يرزق إحسان عبد القدوس ببنات، إنما رزق بولدين، وقال جميع الذين شاركوا في تلك السهرة، من نقاد وغيرهم: إنه لو رزق ببنت، لما سمح لها بممارسة ما كان يدعو إليه في رواياته من تحرر وانطلاق. كما أن كثيراً من أفكاره التي ضمنها رواياته ستكون مختلفة.

ووصفه عدد من الذين شاركوا في السهرة، وكانوا يعرفونه عن قرب، بأنه «متزمت»!

ـ إحدى المشاركات في السهرة الخاصة عن إحسان عبد القدوس ذكرت أنه يرفض تصوير زوجته ونشر صورها في الصحف. ثم سألت مقدم البرنامج مفيد فوزي: هل صورتم زوجته أو نجحتم في لقائها لأخذ رأيها بزوجها؟ فرد بقوله: لقد حاولنا.. ولكن إحسانًا رفض السماح بتصويرها..!

ـ ذكر ولده، الصحفي الإسلامي محمد عبد القدوس أنه حين اختار ابنة الشيخ محمد الغزالي ليتزوجها، فإن والده ـ إحسان عبد القدوس ـ خطبها له، وأيده على اختياره، ووافقه عليه. ومعلوم أن كريمة الشيخ الغزالي فتاة مسلمة متدينة، ليس فيها أي شبه ببطلات روايات إحسان.

ـ هذا هو إحسان عبد القدوس، لم يكنْ مؤمنًا بما حرّض عليه المرأة في كتاباته ورواياته، وكانت حياته مخالفة لما دعا إليه.

ومن هنا تفقد دعواته إلى تمرد المرأة، وخروجها من بيتها، واختلاطها بالرجال.. قيمتها.. إن كان لها قيمة.

* * *

امرأة غير طبيعية!

كانت نموذجًا صارخًا للمرأة الحديدية. . تتوفر فيها صفات الوعي بدورها في المجتمع، والإصرار على الرأي، والحماسة في أداء العمل، والمحافظة على المواعيد، والحرص على سرعة الإنجاز. . غير أن هذه الصرامة لم تمنعها من طبيعة أنثوية وعاطفة جياشة تتغلب عليها أحيانًا في وزنها للأمور.

وتستمدُّ «سارة» - وهذا هو اسمها المجازي - هذه الصلابة من قدرة عجيبة يغبطها عليها الكثيرات من بنات جنسها، تلك هي قدرتها على المزج بين الأصالة في المحافظة على قيم المجتمع السليمة وتراثه الراسخ، وبين الاتسام بالعصرية والسعي لتفهم مشكلات الجيل الجديد من بنات اليوم.

كثيرًا ما كانت تسلب عقول مستمعاتها عندما تحاضرهن بأن العمل النسائي اليوم أحوج ما يكون إلى فهم هذه الطبيعة التكاملية للمرأة.

فالمرأة عند صاحبة قصتنا هذه ليست فقط بابًا لتوفير الزوجات الصالحات لهذا السواد الواسع من شباب اليوم، بل هي رديف الرجل ونصفه المكمل، لا المنافس. ومهمتها. . وإن تبلورت في تربية الأولاد وفق الأسس التربوية السليمة إلا أنها يراد لها أن تتعدى هذه المهمة بكثير. المرأة - عند سارة - مدعوة للمشاركة الأدبية الناضجة، والبحث العلمي الواسع، والإسهام الصحفي المنتشر، بل وحتى التحليل السياسي والاقتصادي الراقي لواقع البلد ومشكلاته ومستقبله.

وفي إحدى جلسات الحوار العديدة التي كانت تعقدها السيدة سارة في منزلها المطل على شاطئ البحر تحدثت إحداهن بفرح وإفاضة عن رحلتها الأخيرة إلى بعض الدول الأوروبية. وراحت تسرد الأخبار وتكشف الأسرار عن تفاصيل السفرة يومًا بيوم ودقيقة بدقيقة، مستعرضة بذلك أسماء ما زارت من أماكن، وما أكلت من طعام، وما اشترت من هدايا، وما صرفت من نقود في مبالغة لم تخف على الجليسات اللواتي كن يتغامزن كأن في نفوسهن سؤالاً ملحًا.. وتقطع إحداهن الحديث لتريح الحاضرات وتسأل السؤال إياه: شريفة.. لم أسمعك تتحدثين عن طفلك الصغير وائل، ألم تأخذيه معك؟

وتبادر شريفة بالإجابة:

ـ وكيف كنت تتوقعين أن نستمتع برحلتنا لو كنا أخذنا الصغير معنا، على العموم، لقد تركته عند الخادمة.. وتصدقون يا بنات، لقد قامت الخادمة بواجبها على أحسن وجه لدرجة أن «وائل» لم يشعر بغيابي، بل إنه لم يبك نهائيًا عند خروجنا من البيت مسافرين. وعند عودتنا قالت لي الخادمة: إنها كانت تسليه طوال الوقت إلى الدرجة التي لم يفتقدني معها بالمرة.. المهم، دعوني أكمل لكم سوالف أوروبا..

وتستكمل شريفة حديث السفرة إياها، ليبدأ عندها جمهورها المتواجد بفقدان شهية الاستماع والرغبة في تغيير موضوع الحديث. ويدخل «الشاي والحلو، والمكسرات» لإنقاذ الموقف، فيتغير مجرى الحديث وينشغل الجميع بالمائدة.. الجميع.. إلا سارة فقد كانت تطيل النظر لصديقتها شريفة وهي تروي أخبار سفرتها وهداياها وابنها المسكين الذي تركته وحيداً مع الخادمة.

أخذت سارة تمعن النظر إلى تلك المرأة وتقول: تُرى ماذا كان نوع تلك التسلية التي قدمتها الخادمة لوائل الصغير لتنسيه حتى والدته؟ وكيف قبلت شريفة لنفسها أن تسافر تاركة ابنها الوحيد في كنف الخادمة؟.. ولنفرض أن هذا كان معقولاً.. ترى هل كان معقولاً أن تفرح شريفة عندما تعود وتعرف أن ابنها لم يفتقدها بالمرة؟!.. كان عليها أن تبكي؛ لأن طفلها لم يعد يعترف بها كحاضنة أولى وأساسية. كان عليها أن تندب حظها على تلك السفرة التي كشفت كم هي واهية تلك العلاقة التي كانت تربطها بوليدها الوحيد. حقًا إنها امرأة غير طبيعية.

ما رأيك، عزيزتنا حواء، بقصة هذه المرأة التي تحدث عنها الدكتور أحمد محمد أبو زيد في جريدة «الأنباء الكويتية»؟ أليست امرأة غير طبيعية؟.

* * *

حين تشهد صحفية أمريكية

غادرت القاهرة الصحفية الأمريكية «هيلسيان ستانسبري» بعد أن أمضت عدة أسابيع هنا، زارت خلالها المدارس، والجامعات، ومعسكرات الشباب، والمؤسسات الاجتماعية، ومراكز الأحداث والمرأة، والأطفال وبعض الأسر في مختلف الأحياء، وذلك في رحلة دراسية لبحث مشاكل الشباب والأسرة في المجتمع. و«هيلسيان» صحفية متجولة تراسل أكثر من ٢٥٠ صحيفة أمريكية، ولها مقال يومي يقرؤه الملايين، ويتناول مشاكل الشباب تحت سن العشرين، ، وعملت في الإذاعة والتليفزيون والصحافة أكثر من عشرين عامًا، وزارت جميع بلاد العالم، وهي في الخامسة والخمسين من عمرها.

ماذا تقول هذه الصحفية الأمريكية بعد زيارتها الشاملة لمصر؟ إنها تقول: «إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول. وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم أخلاق موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك: عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا. ولذلك فإن القيود التي يفرضها مجتمعكم على الفتاة الصغيرة ـ وأقصد ما تحت العشرين ـ هذه القيود صالحة ونافعة، ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم. امنعوا

الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا.

امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه في أمريكا الكثير. لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا مقعدًا، مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة.. وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين.. يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية. إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداث، وعصابات للمخدرات والرقيق.. إن الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأوربي والأمريكي قد هددت الأسرة وزلزلت القيم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشباب وترقص «تشاتشا» وتشرب الخمر والسجائر، وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية.

والعجيب في أوروبا وأمريكا.. أن الفتاة الصغيرة تحت العشرين تلعب.. تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها، بل وتتحدى والديها ومدرسيها والمشرفين عليها، تتحداهم باسم الحرية والاختلاط، تتحداهم باسم الإباحية والانطلاق. تتزوج في دقائق.. وتطلق بعد ساعات، ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء، ومبلغ زهيد من المال، وعريس ليلة.. أو بضع ليال، وبعدها الطلاق.. وربما الزواج فالطلاق مرة أخرى..».

كلام هذه الصحفية الأمريكية نشرته جريدة الجمهورية القاهرية في يوم السبت ٦/ ٦/ ١٩٦٢ ونقله الشيخ سيد سابق حفظه الله في كتابه فقه السنة «جـ٢ ص ١٨٥ ـ ١٨٦».

إذاً فتاريخ هذا الكلام يعود إلى أكثر من ربع قرن «٢٦ عامًا» ومنذ ذاك التاريخ وحتى اليوم . . زاد الفارق بين المجتمعين: المصري من جهة، والأمريكي والأوربي من جهة أخرى، فالفساد والتحلل زادا في المجتمعات الأمريكية والأوربية بينما المرأة المصرية قطعت شوطًا طيبًا في العودة إلى إسلامها وحجابها.

فلو زارت الصحفية، أو غيرها من النساء الأمريكيات أو الأوربيات العاقلات ، مصر ثانية . . فماذا تراها تقول؟!

* * *

السمكة والصنارة

لم يسبق للمرأة أن كانت مسحوقة، ومنهارة، ومستعمرة، وخامدة، مثلما هي عليه الآن. ويمثل عصرنا أكثر العمليات دناءة في تاريخ المرأة.

فالمظاهر خدّاعة، ذلك أن الفخ مموّه على نحو يثير الإعجاب. والجنسان في العمل يُبديان وجهًا خارجيًا باهتًا على نحو متماثل. ومع ذلك، لم يطرأ أي تغيير على صراعهما، بل ربما أصبح أكثر ضراوة.

والورود تحف بمعتقل العمل في الخارج. فالنساء من جهة، ينلن حقوقهن العادلة. . الاجتماعية والقانونية. والعمل من جهة أخرى، ممنوح لهن في هذا العالم إلى حد الإشباع. ولكن، في أي عالم؟ في عالم الرجال بالطبع.

والنجاح الكبير في السياق من الخداع أن المرأة تظن غالبًا أن هذه الحالة الجديدة حرية حديثة. ويمكن للرجال الذين يرغبون في استعباد المرأة أن يتنفسوا الصعداء. لقد تمّ الأمر ووقعت في الفخ. إنها على وشك أن تفقد شخصيتها وأصالتها الخاصتين. ومفعول روعتها وقدرتها الداخليتين تم إبطاله.

بل يتساءل المرء عما إذا لم تكن المرأة في سبيلها إلى الزوال، الأمر الذي يلائم كثيراً من الناس.

عزيزتي حواء:

هذه الكلمات السابقة، لكاتب فرنسي اسمه بيير داكو، جاءت في كتاب له عنوانه «المرأة: بحث في سيكولوجية الأعماق» وكان عنوان الفصل الذي وردت فيه: «خدعة الحرية».

والكلمات، كما ترين، تشير إلى الفخ الذي وقعت فيه المرأة بعد تمويهه عليها، وتزيينه لها.

أما الأمور التي تألفت منها «الخطة المعادية للمرأة» كما يصفها بيير داكو، فهي:

أولاً: أن ينجذب العدد الأكبر من النساء إلى عالم العمل.

- ولتحقيق ذلك، ينبغي تملقهن، وإتخامهن من الناحية القانونية والاجتماعية.

- منحهن الانطباع بأنهن متحررات من وصاية الذكر، تعق في الوقت نفسه حريتهن الداخلية.

جذبهن إلى الأعمال التي تلزمهن بالتخلي عن وصفهن نساء.

ثانيًا: استئجار النساء في أعمال، حتى ذات الأهمية الكبرى منها ولكن في أعمال لن يكون للأنوثة أي علاقة بها.

- وستضمر الأنوثة بوصفها غير مستعملة، وستفنى.

ثالثًا: يمكن للمرأة أن تصبح شاهدًا حيًا، وبالتالي يُخشى جانبه. فلابد من استبعاد هذا الشاهد. ومن أجل ذلك، لنجعل منها شريكًا في الجرم، وعندئذ تنطلي الخديعة. وهي، بوصفها شريكنا في الجرم، لن تجرؤ على أن

تحشر أنفها في أعمالنا بصفتها شاهد إثبات. ونحتفظ نحن بالمهمة السهلة؛ لأننا نفتح لها الأبواب.. أبوابنا على الأقل.

رابعًا: ولكي نجعل هذه العبودية كاملة، سنجبر ملايين النساء على أن يفقدن شخصيتهن. ومن أجل هذا، نستخدم الأزياء، والكيمياء، والإعلان، والملايين. ونصنع فتيات هن أقرب إلى الجمود.. بحيث يستبعد كل خطر.

وهكذا، عزيزتي حواء، يفضح بيير داكو الخطة المعادية للمرأة ويكشف وسائلها. لكنها وللأسف انطلت على كثير من النساء، فالسمكة ـ كما يقول داكو ـ كانت جائعة.. وكان يكفي إلقاء الصنارة في الماء.. حتى تنخدع بها.

• • •

استبشروا بالأنثى

أليس لنا أن نعجب حين نجد أمهات وآباء مسلمين يفرحون أشد الفرح حين يرزقون بأبناء ذكور، ويحزنون ويأسفون إذا رزقوا بإناث. . !

أهكذا يفعلون والرسول ﷺ يعدهم بالجنة على تربية البنات، بل يجعل مكانتهم قريبة من مكانته ﷺ ؟!

أتراهم لم يقرؤوا هذه الأحاديث؟

اقرؤوها وتأملوها:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو** ـ وضم أصابعه». أخرجه مسلم والترمذي وعنده: « **دخلت أنا وهو الجنة كهاتين**، وأشار بأصبعيه».

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «**من عال ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات**، أو أختين، أو ابنتين، **فأدبهن وأحسن إليهن**، وزوجهن، **فله الجنة**» أخرجه أبو داود والترمذي.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده ـ يعني الذكر ـ عليها، أدخله الله تعالى الجنة**».

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم خرجت فدخل عليّ رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «**من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**» أخرجه الشيخان والترمذي.

ألا تجعل هذه الأحاديث.. الأب المسلم، والأم المسلمة، يفرحان حين يرزقان بأنثى.. ويستبشران بطريق من الطرق الموصلة إلى الجنة؟

استبشروا بالأنثى.. وافرحوا بها.. ولا تكرروا خلق الجاهلية.

* * *

الزوجة ينبوع الأجر والثواب

١ ـ عن أبي مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة**». رواه البخاري.

٢ ـ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك**». رواه البخاري.

٣ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «.. **وفي بضع أحدكم صدقة**.قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويؤجر؟ قال: **نعم، أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**». رواه مسلم.

هذه الأحاديث الثلاثة، الصحيحة، فيها تكريم عظيم للمرأة، وأسباب مفضية إلى سعادة الزوجين، عمودي الأسرة، ووقاية فعالة من الخلافات الزوجية الكثيرة المعقدة، التي ينتهي كثير منها إلى الطلاق وما ينتج عنه من تهدم بيوت، وتفكك أسر، وضياع أطفال.

أما التكريم العظيم للمرأة، في هذه الأحاديث النبوية الشريفة، وهو تكريم لم تحصل عليه حتى الآن جميع حركات تحرير المرأة، فيمكن بيانه فيما يلي:

١ ـ على الرغم من أن إنفاق الرجل على زوجته واجب، فإن له في هذه النفقة أجرًا إذا احتسبها خالصة لوجه الله سبحانه، وهذا يدفع الرجل إلى عدم المنِّ على زوجته بالإنفاق؛ لأن المنَّ مع الصدقة يبطلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

فحتى يحصل الزوج علي الأجر بإنفاقه على زوجه، عليه ألا يمنّ عليها. وهذا واضح في قولهﷺ في الحديث الأول: «**يحتسبها**». وفي الحديث الثاني: «**تبتغي بها وجه الله**».

فإذا كان واجب الإنفاق على الزوجة يسقط عن الزوج بإنفاقه المجرد، عليها فإن الأجر الذي وعد به الرسول ﷺ لا يأتي إلا بابتغاء وجه الله تعالى، واحتساب النفقة لله، وعدم المنّ على الزوجة.

فإذا أدركنا هذا، أدركنا كم أكرم الإسلام المرأة حين لم يوجب لها النفقة فحسب، إنما دعا إلى إكرامها من خلال هذه النفقة، وجعل هذا الإكرام من الزوج سببًا في حصوله على الأجر من الله تعالى.

٢ ـ قولهﷺ في الحديث الثاني: «**حتى ما تجعل في فم امرأتك**» وفي رواية: «**في في امرأتك**» تأكيد آخر لهذا المعنى، وحث واضح على المودة، مودة الزوج لزوجته.

فما يضعه الزوج في فم زوجته من طعام تم دفع ثمنه مسبقًا، وتحصّل فيه أداء واجب الإنفاق، فهو هنا ـ إذًا ـ للتشجيع على كسب المودة، وإشاعة الحب، واستمالة القلب، وإذا تحقق هذا بين الزوجين، تحقق وفاق عظيم، وألفة قوية بينهما، ومن ثم زادت رابطتهما الزوجية وثوقًا، وحسنت العشرة بينهما، وقل الخلاف والشجار.

٣ ـ ماذا فعلت حركات تحرير المرأة للمرأة؟ لقد نجحت بعض النجاح في جعلها تعمل مع الرجل في بعض أعماله، لكنها لم تنجح في معظم أنحاء العالم، في جعل أرباب العمل يعطونها أجر الرجل نفسه.

ولانحسب أنه دار في ذهن رب من أرباب العمل، أن له أجرًا من الله تعالى لأنه يُشغّل المرأة في شركته أو مصنعه أو متجره، فهو ينظر نظرة مادية صرفًا إلى عمل المرأة عنده، مثل أي عامل أو أجير آخر.

فأيهما أكرم للمرأة؟ أن تعمل خارج البيت، لتتقاضى أجرًا آخر الشهر، فيه كل المنّ من ربٍّ العمل الذي ليس أسهل عليه من أن يستبدل بها أخرى، ثم تعود إلى بيتها مرهقة من العمل، لتجد عملاً آخر ينتظرها في بيتها.. ؟!! أم أن تستقر في بيتها ويلزم بنفقتها زوجها، وإن لم يكن فأبوها أو أخوها أو ابنها، معززة مكرمة، لا منٌّ لأحد عليها، فهو إنما يعطيها حقها الذي أوجبه لها الشرع الحنيف؟!!

٤ ـ وفي الحديث الثالث يتأكد المعنى ذاته: الزوجة مصدر أجر لا ينضب لزوجها فإذا أنفق عليها النفقة الواجبة حصل على الأجر، وإذا أطعمها بيده حصل على الأجر، وإذا أتاها يروي منها شهوته حصل على الأجر. كيف لا يحرص الزوج بعد هذا على زوجته، كيف لا يكرمها ويحسن إليها، ويترفق بها، وهي التي ينبع منها هذا الأجر العظيم له.. ؟!

وأي إكرام لها أعظم من هذا الإكرام: الإسلام يجعلها مصدر الخير، وينبوع الأجر، وغير الإسلام يجعلها السبب الأصلي في آلام العالم وأحزانه (كما في الأسطورة الإغريقية القديمة)، وهي «**بلية العالم**» كما يسميها اليونانيون، وهي **الشيطان الجميل** وينبوع المسرات السامة كما يدعوها

اللاتينيون، وفي شرائع الهند: «أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار.. خير من المرأة». وفي التوراة التي حرفها يهود: «وجدت أمرّ من الموت: المرأة التي هي شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود».

هكذا يكرمك الإسلام، أختي المؤمنة، ويجعلك سببًا في الأجر الكثير، والثواب الجزيل، إذا أنفق عليك زوجك محتسبًا، وأطعمك بيده يبتغي وجه الله، ولبّى فيك حاجته.. فتأملي.

* * *

لا تخضعن بالقول

«هواتف الثرثرة». . .

فكرة شيطانية أخرجتها للوجود الشركة البريطانية «بريتش تيليكوم» مع مجموعة شركات متعاقدة معها.

ما على المرء إلا أن يرفع السماعة ويطلب رقمًا معينًا ليجد على الطرف الآخر امرأة تتحدث أحاديث رخيصة. . أو أن ترفع المرأة السماعة لتستمع إلى رجل يتحدث أحاديث رخيصة.

كل دقيقة تكلف ٣٨ بنسًا في أوقات ازدحام الخطوط أثناء النهار و٢٥ بنسًا في الليل.

فراغ الشباب، وإدمانه على كل شيء، جعلا الإقبال على هذه الهواتف كبيرًا جدًا حتى فوجئ الأهالي بفواتير الهاتف تتعدى العشرة آلاف جنيه.

بعض المراهقين اضطروا إلى ترك بيوتهم خشية غضب الأهل من الفواتير الضخمة. . . بعضهم انتحر. . . والحقيقة أن هذه الأحاديث لا تقتصر على المراهقين بل تعدتهم لتشمل جميع شرائح الأعمار. . . من الأطفال إلى العجائز والمتقاعدين. .

امرأة في السبعين وجدت في الهاتف ضالتها، وحين جاءتها فاتورة الهاتف بعشرة آلاف جنيه رفضت دفعها فاضطرت الشركة إلى قطع الهاتف عن منزلها، لكن العجوز المدمنة صارت تتحدث من الهاتف العمومي في

الشارع.

تفجرت القضية في المجتمع ، فأعلنت شركة الهواتف البريطانية وقف هذه الهواتف. . لكن الشركة المتعاقدة معها رفعت دعوى ضدها ، فالأرباح المالية كبيرة، وشركة «بريتش تيليكوم» تأخذ ٢٠ بنساً عن كل دقيقة وتترك الباقي للشركات التي تصل أرباحها إلى ملايين الجنيهات.

أليس فسادًا عظيمًا؟ أليس أشبه بالسوس ينخر في بنيان المجتمع حتى يهدمه من أساساته؟

وهل هناك مجتمع فيه وقاية من هذا السوس؟ هل هناك مجتمع تحرّم قوانينه أمثال هذا الخضوع في الأحاديث. . . في الهاتف وغير الهاتف؟

وهل يكون هذا المجتمع غير الإسلامي الفريد؟

لقد أنزل الله ـ تعالى ـ على رسوله الكريم ﷺ آية في سورة الأحزاب يخاطب فيها أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن ناهيًا لهن عن الخضوع في القول:

يقول ـ تعالى ـ: ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾. [الأحزاب: ٣٢].

يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ: «ينهاهن حين يخاطبن الأغراب من الرجال أن يكون في نبراتهن ذلك الخضوع اللين الذي يثير شهوات الرجال، ويحرك غرائزهم، ويطمع مرضى القلوب ويهيّج رغائبهم!

ومن هن اللواتي يحذرهن الله هذا التحذير، إنهن أزواج النبي ﷺ وأمهات المؤمنين، اللواتي لا يطمع فيهن طامع، ولا يرف عليهن خاطر

مريض ▪ فيما يبدو للعقل أول مرة.

وفي أي عهد يكون هذا التحذير؟ في عهد النبي ﷺ وعهد الصفوة المختارة من البشرية في جميع الأعصار.

ولكن الله الذي خلق الرجال والنساء يعلم أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول، وترقق في اللفظ، ما يثير الطمع في قلوب، ويهيج الفتنة في قلوب، وأن القلوب المريضة التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد، وفي كل بيئة، وتجاه كل امرأة، ولو كانت هي زوج النبي الكريم، وأم المؤمنين، وأنه لا طهارة من الدنس، ولا تخلص من الرجس، حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس.

فكيف بهذا المجتمع الذي نعيش فيه، في عصرنا المريض الدنس الهابط، الذي تهيج فيه الفتن، وتثور فيه الشهوات، وترف فيه الأطماع؟ كيف بنا في هذا الجو الذي كل شيء فيه يثير الفتنة، ويهيج الشهوة وينبه الغريزة، ويوقظ السعار الجنسي المحموم؟ كيف بنا في هذا المجتمع، في هذا العصر، في هذا الجو، ونساء يتخنثن في نبراتهن، ويتميعن في أصواتهن، ويجمعن كل فتنة الأنثى، وكل هتاف الجنس، وكل سعار الشهوة، ثم يطلقنه في نبرات ونغمات؟! وأين هن من الطهارة؟ وكيف يمكن أن يرف الطهر في هذا الجو الملوث، وهن بذواتهن وحركاتهن وأصواتهن ذلك الرجس الذي يريد الله أن يذهبه عن عباده المختارين»؟!

﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢]

«نهاهن من قبل عن النبرة اللينة واللهجة الخاضعة، وأمرهن في هذه أن يكون حديثهن في أمور معروفة غير منكرة، فإن موضوع الحديث قد يطمع

مثل لهجة الحديث، فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لين ولا إيماء، ولا هذر ولا هزل، ولا دعابة ولا مزاح، كي لا يكون مدخلاً إلى شيء آخر وراءه من قريب أو من بعيد.

والله سبحانه الخالق العليم بخلقه وطبيعة تكوينهم هو الذي يقول هذا الكلام لأمهات المؤمنين الطاهرات، كي يراعينه في خطاب أهل زمانهن خير الأزمنه على الإطلاق».

فتأملي، أختي المسلمة، صُورتَيْ هذين المجتمعين، الصورة الأولى صورة المجتمع البريطاني الذي انتشرت فيه ثرثرة الهواتف الفاسدة أعظم فساد، وصورة المجتمع الإسلامي الذي تختفي فيه هذه الثرثرة. . . بل ما هو أقل منها بكثير.

والآن، كيف تفعلين لتعملي بهذه الآية الكريمة؟

١ ـ حاولي ألا تردي على الهاتف أو تفتحي باب البيت إذا كان فيه زوجك أو أخوك أو ابنك. . . أو أحد أطفالك، دعي أحد هؤلاء يفتح الباب أو يرد على الهاتف.

٢ ـ إذا اضطررت إلى الرد لغياب محارمك عن البيت فاختصري الكلام ما استطعت ولا تليني في حديثك أو ترققيه.

لا تغالي حتى في العبادة

عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من بني أسد فقال: «**من هذه؟** قالت: فلانة، لا تنام الليل. تذكر من صلاتها. قال: **مه. عليكم بما تطيقون من الأعمال. فوالله لا يملَ الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه**». رواه البخاري.

شرح الحديث:

«**لاتنام الليل**» لكثرة صلاتها وفي رواية الحسن بن سفيان: «**وهي أعبد أهل المدينة**».

«**تذكر من صلاتها**». في رواية بضم التاء: «**تُذكر من صلاتها**». أي يذكرون أن صلاتها كثيرة. وفي رواية بفتح التاء، أي أن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تذكر من صلاة المرأة للنبي ﷺ.

«**مه**» كلمة مبنية على السكون، وهي اسم سُمي به الفعل، والمعنى: اكففوا عن هذا الفعل، وقد أخذ بهذا المعنى جماعة من الأئمة فقالوا: يُكره صلاة جميع الليل.

«**عليكم بما تطيقون**» أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، وانتهوا عن تكلف ما لا يطاق، قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون عامًا في الأعمال الشرعية، وقد عبر بقوله: «**عليكم**» ولم يقل: «عليكن»

مع أن المخاطب النساء طلبًا لتعميم الحكم.

«**لا يمل الله حتى تملوا**»: الملال استثقال الشيء ونفور النفس منه بعد محبته. والملال محال على الله تعالى باتفاق. وقال الإسماعيلي وجماعة من المحققين: إنما أطلق هذا على جهة المقابلة اللفظية مجازًا، كما قال تعالى: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال القرطبي: وجه مجازه أنه تعالى لما كان يقطع ثوابه عمن يقطع العمل ملالاً... عبر عن ذلك من باب تسمية الشيء باسم سببه. وقال الهروي: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه.

«**وكان أحبَّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه**». قال ابن الجوزي: «إنما أحب الدائم لمعنيين:

أحدهما: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل، فهو متعرض للذم، ولهذا ورد الوعيد في حق من حفظ آية ثم نسيها... وإن كان قبل حفظها لا يتعين عليه «حفظها».

ثانيهما: أن مداوم الخير ملازم للخدمة، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتًا ما كمن لازم يومًا كاملاً ثم انقطع».

أختي المسلمة:

على الرغم من أن الحكم في هذا الحديث الشريف يشمل الرجال والنساء معًا، كما مرّ في شرحه، فإنه بالمرأة ألصق، وطبيعتها إليه أحوج، ولقد جاء الحديث نفسه حول امرأة كثيرة الصلاة في الليل.

أعرف فتاة من جيراننا كانت سافرة متكشفة، لا تصلي، وأذكر أنه نشر

خبر في إحدى الصحف المحلية حول العثور على جثة فتاة في أثناء إزالة إحدى المقابر، لإقامة مشروع عليها، وشوهد جسد الفتاة وقد احترقت الأماكن التي كانت تكشفها في حياتها حتى اسودّت.. بل تفحمت، وبقيت الأجزاء التي كانت مستورة بلباسها على ما كانت عليه لا حروق ولا اسوداد فيها.. وعلّل الناس هذا بأن الفتاة كانت تعذب بالنار لعدم ستر نفسها كما أمرها ربها.

وفوجئت بجارتنا المتكشفة، بعد سماعها بالخبر، تستر جسدها، وتضع الحجاب وتقيم الصلاة وتنصرف بكليتها إلى العبادة والذكر، هاجرة الدنيا بما فيها ومن فيها.

ولم تمض سوى أشهر قليلة، حتى عادت جارتنا، فنزعت الحجاب، ورجعت إلى ملابسها التي تكشف ذراعيها ورجليها وصدرها وظهرها... تاركة الصلاة.

وبعيداً عن الخبر الذي شاع وانتشر بين الناس آنذاك، إن كان صحيحًا أم غير ذلك، فإن ما أريد بيانه هنا هو أن الأنثى، بعاطفتها الجياشة، ومشاعرها السريعة الإثارة، تأخذها الحماسة نحو عمل فتعطيه جميع اهتمامها ونفسها ووقتها... لكنها سرعان ما تفتر حماستها، وتبرد عاطفتها، فتترك هذا كله.

ولو أن تلك الفتاة تلقت تربية إيمانية سليمة في بيتها، قائمة على الفهم الواضح والتطبيق المتوازن لدينها، تصوم وتفطر تصلي في الليل وتنام، وتقر في بيتها دون أن تهجر الدنيا، تعف دون أن يمنعها هذا العفاف من التفكير في الزواج، ثم الزواج فعلاً، والتمتع بما أباح الله تعالى لها من التمتع بزوجها، لما صارت إلى ما صارت إليه.

إن فقدان هذه التربيه هو الذي يجعل الفتاة متأثرة بما توسوس به الأفلام والمسلسلات والقصص من حولها، فتحركها عاطفتها تجاه التفلت، وتزين لها متع الدنيا الحرام، وتملأ تفكيرها ومشاعرها بأوهام وتصورات وخيالات شيطانية.

إن التحول المفاجئ لمثل هذه الفتاة نحو دينها، نتيجة موعظة أو خبر أو حدث، إشارة خير لا يمكننا بخسها، لكنها إذا لم تتبع بالتربية السليمة، والبيئة النظيفة، والتوجيه المستمر، والرقابة الدائمة، فإن الأثر العاطفي لذاك الخبر سيزول، ويزول معه هذا التحول نحو الدين.

لقد وجدنا نهي رسول الله ﷺ عن المبالغة في الأعمال، حتى الصلاة في الليل، حازمًا وحاسمًا: **«مه.عليكم بما تطيقون من الأعمال»**. **«وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»**.

ولتتذكري أختي المسلمة أن الأجر في الإسلام ليس قاصرًا على الصلاة الكثيرة، ففي حسن تربيتك لأطفالك أجر كبير، وفي برّك أمك أجر كبير، وفي طاعتك زوجك أجر كبير، وفي حسن معاملة جيرانك، وصلة رحمك، والكلمة الطيبة... في هذا كله أجر كبير.

❋ ❋ ❋

مؤتمر وجائزة ومجلة للمسلمة

قضايا المرأة المسلمة ما زالت بحاجة إلى اهتمام أكبر في مجتمعها المسلم. هي بحاجة إلى مؤتمر يبحث دورها ومشكلاتها واستراتيجيتها في العصر الحديث.

بحاجة إلى مجلة متخصصة في شئونها وقضاياها وسط هذا الفيض من المجلات النسائية التي تهتم بأزيائها السافرة وتزين في عينيها المرأة الغربية، وتجعلها قدوة لها.

بحاجة إلى جائزة سنوية تقدم لامرأة خدمت الإسلام في شأن من الشئون، أو مجال من المجالات، وجائزة سنوية أخرى لأحسن كتاب صدر عن المرأة المسلمة.

المرأة في العالم تعقد لها المؤتمرات، وتشكل لها الجمعيات، وتمارس دوراً رقابيًا على المجتمع، وتتصدى لما يمس أنوثتها، أو يشكل إهانة لها.

حتى المرأة غير الملتزمة في بلاد المسلمين، لها جمعيات تنشط في مجالات كثيرة معظمها مخالف للإسلام وداع إلى غير ما يدعو الإسلام إليه المرأة.

فمتى نسمع عن دعوة لعقد مؤتمر يخص المرأة المسلمة بقضاياه وبحوثه وأوراق عمله؟

متى نسمع عن مجلة نسائية تقدم للمرأة المسلمة كل ما تحتاجه في دينها ودنياها معًا، فتستغني بها عن تلك المجلات التي تملأ المكتبات؟

متى نشجع الكتابات والمؤلفات عن المرأة المسلمة بتخصيص جائزة سنوية لأحسن بحث أو كتاب عنها؟

لقد كثرت المؤتمرات الإسلامية في السنوات العشر الأخيرة، وهي ظاهرة خير إن شاء الله، لكننا لم نجد حتى الآن مؤتمرًا اهتم اهتمامًا واضحًا بالمرأة المسلمة ودورها العظيم في الحياة... فهلاَّ سمعنا قريبًا؟!

* * *

ارفعي صوتك ضد الخلاعة

في الوقت الذي ما زالت فيه «حركات تحرير المرأة!» في بلادنا تنادي بتحرير المرأة المسلمة من بيتها وحجابها وقيمها، تظهر في الغرب حركات لتحرير المرأة من الامتهان، والاستغلال الجنسي، وجعل المرأة وسيلة للمتعة.

«أليس شفارزر» مثلاً امرأة ألمانية تحمل راية الدفاع عن الحقوق الإنسانية للمرأة في مواجهة استغلالها في تجارة «الخلاعة».

بدأت «أليس شفارزر» حملتها قبل عامين تقريبًا، حين نشرت مجلة «إيما» النسائية ملفًا خاصًا حول الخلاعة، وأعطت الكلمة في هذا الملف إلى عالمة الاجتماع الأمريكية «أندريا دوراكن» التي نشرت كتابًا في العام ١٩٧٩م «قبل عشر سنوات» تحت عنوان «خلاعة». .

وكتبت العالمة الأمريكية: «بدافع اللذة يربطوننا وكأننا قطع لحم، ويعلقوننا على الأشجار، ويصورون الاغتصاب، ويعرضونه في السينما وينشرونه في المجلات».

ودعمًا لأقوال عالمة الاجتماع نشرت مجلة «إيما» صورًا لنساء عدة يخضعن لممارسات كريهة.

واقترحت «أليس شفارزر» ـ من أجل وضع حد لهذه الممارسات ـ قانونًا لمكافحة الخلاعة رفع مشروع بشأنه إلى أعضاء البوندستاغ «البرلمان الألماني

الغربي» مرفقًا بملصق كتب عليه كلمة «خلاعة».

هذا المشروع الذي وصفته وزيرة الصحة «ريتاسويسموث» بأنه مهم، يعطي كل امرأة الحق برفع شكوى على الصعيد المدني إثر نشر صورة أو فيلم خلاعيين والمطالبة بعطل وضرر.

وتشرح أليس شفارزر هذا المشروع قائلة: «كل من يسيء إلى نزاهة النساء، وإلى حقهن في الكرامة والحرية، من خلال إنتاج الخلاعة ونشرها، يجب أن يتحمل مسئولية أفعاله أمام العدالة».

وتلقى التجارة المرتبطة بالإنتاج الخلاعي في ألمانيا الغربية ازدهاراً كبيراً... ويبلغ عدد مجلات ومكتبة بيع الأدوات وأشرطة الفيديو الخلاعية ٥٥٠٠ محل ومكتبة.. ويصل ثمن أعمالها إلى ٨٥٠ مليون مارك في السنة.

وتسيطر امرأة على الجزء الأكبر من هذه السوق هي «بيت أوهز» التي حققت في العام ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ مئة مليون مارك بزيادة ٤٠ مليونًا عن قيمة أعمال العام ١٩٨٦م-١٤٠٦هـ.

أما قيمة أعمال مجمل النشاطات المرتبطة بتجارة الخلاعة فتصل إلى نحو ١,١ مليار مارك في السنة.

وشهريًا تؤجر مكتبات الفيديو نحو ٥٠٠ ألف كاسيت من بينها ٢٠٠ ألف تعتبر عنيفة وبشكل ظاهر.

وجاء رد «بيت أوهز» على الحملة الخلقية لـ «أليس شفارزر» وقحاً وقاسياً إذ قالت: «ليس من الضروري أن يكون الطعم المعلق في الصنارة مناسبًا لذوق الصياد.. بل لذوق السمكة»!

وكما توقعت أليس شفارزر فلم يوافق على مشروع قانونها الذي تقدمت به. لكنها نجحت في تحقيق هدفها في أن يثار جدل عام في وسائل الإعلام حول الموضوع. وقد خصصت الصحف والمجلات الألمانية أعمدة كاملة للمشكلة.

* * *

بعد قراءة هذا الكلام، لنقف معًا هذه الوقفات العاجلة:

- مليار ومائة مليون مارك مجموع تجارة الخلاعة في ألمانيا الغربية وحدها! وملايين الجوعى في أفريقيا لا يجدون ما يأكلونه. عشرات الآلاف يموتون من الجوع كل عام.

مليار ومائة مليون مارك من أجل متعة حرام تنفق كل عام، تكفي لإشباع أكثر من مليون جائع كل عام في أفريقيا.

- آلاف من تلك الأشرطة الخلاعية المنتجة في ألمانيا، وفي غيرها تُهَرَّب إلى مجتمعاتنا المسلمة، ويشاهدها الملايين من شباب العالم الإسلامي، مُفسدة لأخلاقهم، مُحرضة لهم على الانحراف، دافعة إياهم إلى الرذيلة، ومع ذلك فالتصدي لهذا ما زال ضعيفًا -غير متناسب مع الخطر الذي تحمله.

وعلى الرغم من أن نساء في ألمانيا يحاولن التصدي لهذا الإنتاج الخلاعي، فإننا لم نسمع حتى الآن أي صوت يصدر عن الاتحادات والجمعيات النسائية في بلادنا المسلمة لحماية أبنائنا وبناتنا.. ولحفظ كرامة المرأة من ذاك الامتهان.

- واضح أن المرأة تحتاج إلى حركة تحرير جديدة، تحرير من استغلالها

البشع في تجارة الفاحشة التي تجد سوقًا رائجة في معظم أنحاء العالم. ونحن نهدي صورة هذه التجارة إلى من أخرجوا المرأة المسلمة من بيتها، ويزينون لها التبرج في الشارع والمكتب والمتجر، ويدفعون بها في طريق تسعى الغربية نفسها للخروج منها.

وإذا كانت القوانين السائدة في الغرب تبيح هذه التجارة فإن القوانين - في بلادنا المسلمة - مازالت، ولله الحمد، تحرمها وتمنعها، وهذا يعطي فرصة لعمل أهل الخير للحيلولة دون اتساعها وانتشارها وتهديدها لأمننا الاجتماعي.

ونأمل أن تكون القوانين أكثر صرامة، وتنفيذها أكثر جدية، وأن يفسح المجال رحبًا أمام التربية الإسلامية للشباب الناشئ، فهي خير وقاية وحماية لأبنائنا وبناتنا.

أيتها الأخت المسلمة، ارفعي صوتك بالاحتجاج على الفساد، اكتبي إلى كل المجلات والصحف معترضة على ما تنشره من صور وإعلانات تمس كرامة المرأة، قاطعي منتجات الشركات التي تسيء إلى المرأة.. ولا بد أن يجد صوتك يومًا.. من يسمعه.

❊ ❊ ❊

أيتها النساء تعلمن من أسماء

كثير من الخلافات الزوجية ينشأ عن عدم القناعة، القناعة بما قسم الله، فترى الزوجة تطالب زوجها بما لا يطيق، تذكّره بما يحضره زوج أختها لأختها، أو بما يحضره أخوه لزوجته، أو بما يحضره لجارتها زوج جارتها.. وهكذا.

ومن الخلافات أيضًا ما ينشأ بسبب إخفاء الزوجة كثيرًا من الأمور عن زوجها، ثم يعلم الزوج بها من طرف ثالث، فيضيق بكتمان زوجته الأمر عنه، وعدم إخباره به.

ومنها أيضًا ما ينشأ عن عدم مراعاة الزوجة غيرة زوجها، فتهمل في عدم اختلاطها بأقاربها مثلاً، أو خروجها من البيت دون إذنه، وهكذا..

تعالَي أختنا المسلمة، نتعلم درسًا في حسن طاعة الزوج ومراعاته، من الصحابية أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ.

أخرج ابن سعد عن أسماء ـ رضي الله عنها ـ قالت: تزوجني الزبير ـ رضي الله عنه ـ وما له في الأرض مال، ولا مملوك، ولاشيء غير فرسه.. فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤونته، وأسوسه، أدق النوى لناضحه ـ أي بعيره ـ وأعلفه، وأسقيه الماء، وأخرز غربه ـ أي دلوه ـ وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكُن نسوة صدق.

ثم تقول ـ رضي الله عنها ـ: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ أي أعطاها له ـ وهي على ثلثي فرسخ. فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعاني ثم قال «للجمل حتى يبرك»: إخ إخ.. ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان من أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت.. فمضى فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملُك النوى كان أشدّ عليَّ من ركوبك معه.

أختي المسلمة:

لعلك لاحظت صفات الزوجة القانعة، والراضية، والعاملة على رعاية زوجها، وتقدير غيرته، في شخصية أسماء ـ رضي الله عنها ـ.

فها هي ـ رضي الله عنها ـ تزوجت الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ وليس عنده مال، ولا خادم يخدمه، ولا شيء غير فرسه، فلا تشتكي أسماء وهي بنت الصديق أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لا بل إنها كانت تقوم بإطعام فرسه، وتغنيه عن مؤونته وسياسته. وكذلك كانت تفعل مع بعيره. وهي إلى هذا كله تعجن، وتنقل النوى على رأسها مسافة غير قصيرة.

أرأيت إلى رضا أسماء وقناعتها. أرأيت إلى صبرها على خدمة زوجها، وإلى احتمالها هذا الجهد تبذله كل يوم!

ألا يدفعك هذا إلى الرضا والقناعة.. وأنت التي تعيشين اليوم في بيت فيه كل متطلبات الراحة، غسالة كهربائية تغسل وتنشف، ومكنسة كهربائية

تغنيك عن بذل الجهد في تنظيف سجاد بيتك، وهكذا. . كما أنك لا تعجنين ولا تخبزين فالمخابز في الأسواق تقدم لك أكثر من صنف من الخبز، ولا تعتني بفرس زوجك الذي يملك سيارة تنقلك إلى حيث تشائين.

ثم تأملي ـ أختي المسلمة ـ كيف راعت أسماء ـ رضي الله عنها ـ غيرة زوجها، فلم تركب خلف رسول الله حتى لاتكون قريبًا من الرجال الذين كانوا معه. ومنعها من هذا أمران: حياؤها. . وذكرها غيرة زوجها.

وانظري ـ بعد هذا ـ إلى عدم كتمانها ما جرى معها عن زوجها الزبير ـ رضي الله عنه ـ فأبلغته به فور عودتها إلى بيتها، ولم تؤجله أو تخفيه.

وإذا كانت الأخوة من الرجال يقرؤون معنا هذه السطور، فإننا ندعوهم لتأمل ملمحين من ملامح شفقة المسلمين بالنساء فيما حكته لنا أسماء ـ رضي الله عنها ـ:

الملمح الأول: شفقة الرسول ﷺ على أسماء ـ رضي الله عنها ـ حين شاهدها تحمل النوى فوق رأسها وهي تقطع تلك المسافة الطويلة فدعاها للركوب خلفه ليخفف عنها عبء ما تحمله فوق رأسها. . وعبء المسافة الطويلة التي تقطعها على قدميها.

الملمح الثاني: شفقة الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ على زوجته أسماء ـ رضي الله عنها ـ حين أخبرته بدعوة الرسول ﷺ لتركب خلفه رحمة بها. . وكيف أنها لم تركب مراعاة لغيرة زوجها. . فقد رد ـ رضي الله عنه ـ بأنه كان يفضل ركوبها على حملها النوى، على الرغم من غيرته، وفي هذا دلالة على إشفاقه العظيم بزوجته.

فيا أيها الرجال.. تعلموا الشفقة بالنساء من مئات المواقف للرسول ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم.

ويا أيتها النساء.. تعلمن من أسماء.. ومن الصحابيات الكريمات رضوان الله عليهن.. طاعتهن لأزواجهن.. وقناعتهن بما قسم الله سبحانه لهن.

ما أسعد بيوتنا.. وما أقل مشكلاتها.. لو كانت فيها شفقة الرجال بالنساء.. وطاعة النساء للرجال.

❁ ❁ ❁

اعترافات نوال السعداوي

اسمحوا لي أن أعرض لكلام قالته الدكتورة نوال السعداوي، لجريدة «الوطن» الكويتية، وأن أعلق عليه.

سألتها الجريدة: هل تعتبرين الأوروبية مثالاً يحتذى ونموذجًا تجب محاكاته؟ فأجابت: «لا.. أبدًا.. فالمرأة الأوربية تقدمت في ميادين وتأخرت في أخرى، فقوانين الزواج في أوروبا تظلم المرأة، وهذا هو سبب نشأة حركات تحريرية نسائية عندهم، وكذلك في أمريكا، وهي حركات قوية جدًا وشرسة أحيانًا».

ثم تقول: «... ديننا الإسلامي أعطى المرأة حقوقًا أكثر من كل الأديان الأخرى، وضمن لها كرامتها وعزتها إلا أن الذي حدث أحيانًا، هو أن الرجل وظف بعض جوانب هذا الدين لتركيز مجتمع رجال أبوي طبقي يسيطر فيه الذكور على الإناث».

تأملوا، إخوتي وأخواتي، كلام المرأة التي ظلَّت، طوال عقدين أو أكثر من الزمان، تهاجم وضع المرأة في الإسلام، وتحاول النيل منه، وتدعو إلى الغرب، ووضع المرأة في الغرب! أليس هذا تراجعًا علنيًا واضحًا عن كل دعواتها السابقة؟ ألا يمكن اعتبار كلماتها هذه انعطافًا قويًا نحو الحقيقة؟

إنها تقر هنا بأن قوانين الزواج في أوروبا تظلم المرأة، وأن هذه القوانين الظالمة هي سبب نشأة حركات تحرير المرأة عندهم، وهي تقر في الوقت

نفسه، بأن الإسلام أعطى المرأة حقوقها وضمن لها عزتها وكرامتها، وعليه، فإن مبررات إنشاء حركات تحرير للمرأة في بلادنا المسلمة لا وجود لها؛ لأن قوانين الزواج الظالمة في الغرب، التي كانت وراء نشوء حركات تحرير المرأة، لا أثر لها في الإسلام، ومن ثم فلا مبرر لنشوء مثل تلك الحركات عندنا.

ورب قائل: إن حركات تحرير المرأة في بلادنا ليست من أجل إزالة قوانين أو تغييرها، وإنما من أجل تعسف بعض الرجال وظلمهم لزوجاتهم أو بناتهم ظلمًا يخالف ما دعا إليه الإسلام.. وهو ما أشارت إليه الدكتورة السعداوي عن رجال يعملون «لتركيز مجتمع رجال أبوي طبقي يسيطر فيه الذكور على الإناث»!

وإذا صح هذا من بعض الرجال، أو من كثير منهم، فإن الحركات التي يجب أن تنشأ ليس لتحرير المرأة.. إنما للمطالبة بإعطائها حقوقها التي أقرها الإسلام لها، وإنزالها منزلتها التي أمر الإسلام إنزالها فيها، وتوفير الكرامة التي حفظها الإسلام لها.

إن دعوات نوال السعداوي، ومن قبلها كثيرون، إلى قاسم أمين، كان يجب أن تطالب بتطبيق ما أمر به الإسلام للمرأة، لإنقاذها مما كان يلحق بها من حيف أو ظلم، لا أن تطالب بإخراجها من بيتها، ونزعها الحجاب، وتبرجها، وتقليدها الغربية التي تذوق الآن وبال أمرها.

ولنواصل قراءة المزيد من كلام نوال السعداوي الجديد: تقول: «ليست المشكلة مشكلة الأميات فقط.. فأنا أعرف أستاذات وطبيبات ومهندسات يعانين من أمية سياسية واجتماعية وثقافية».

وتقول عن خطتها القريبة: «رفع الحجاب عن العقل. . . خصوصًا عند المثقفات والمثقفين».

عظيم جدًا، إن نوال السعداوي تعترف هنا بحقيقتين:

الأولى: أن التعليم الجامعي للمرأة لا يعني أنها أصبحت ناضجة أو واعية أو حتى مثقفة.

الثانية: أن رفع الحجاب عن الوجه والشعر لا يعني رفع الحجاب عن العقل. ومن ثم يمكن أن تكون هناك مسلمة تضع الحجاب على شعرها ووجهها دون أن تضعه على عقلها.

إنهما حقيقتان هامتان، بل بدهيتان واضحتان، لكنهما اليوم تصدران عن امرأة هاجمت الحجاب والمتحجبات زمانًا طويلاً، ودعت إلى السفور بشراسة عنيدة، ها هي اليوم تعترف بأن الشهادة الجامعية لا تنفي الأمية الاجتماعية والثقافية والسياسية عن المرأة.

كم من نساء متوسطات التعليم، لكنهن واعيات ناضجات، عقولهن تزن عشرات من عقول المتعلمات المتبرجات السافرات.

وكم من نساء محجبات الوجه والشعر والجسم، يملكن عقولاً نيِّرة متفتحة. . . هي خير من عقول آلاف من سافرات الوجوه والشعور والأجساد. . . محجبات العقول والفطر.

❁ ❁ ❁

تابعوا معي قراءة اعترافات نوال السعداوي: سألتها الجريدة: بدأت «المرأة» تستعيد الكثير من حقوقها ومن شرعيتها، فهل ترين أن التاريخ سيقوم

بدورته ويعيد إلى المرأة سيطرتها وقداستها الغابرتين؟

تجيب: «لا . . . أنا لا أعتقد ذلك من منطلق واع، ولا أتمناه من منطلق إنساني. أرى أن سلطة الرجل ستضمحل عندما يعتبر المرأة إنسانًا مستقلاً بدنيًا واقتصاديًا بلا سلطة ولا وساطة أبوية. . . وهنا يحصل التكامل المثالي بين كائنين متساويين لن يسيطر أحدهما على الآخر، فتجربة سيطرة أحد الشقين فاشلة. . . الآن لابد من التكامل الفعلي بينهما».

كلام جميل، وإن كان الاعتراف فيه بالحقيقة ليس محددًا تمامًا، لكنه على أي حال، تراجع من الدكتورة نوال السعداوي عن كثير من دعواتها السابقة، إنها هنا:

أولاً: لا تؤيد فكرة الصراع بين الرجل والمرأة، أو أنها الآن تتراجع عنها، فهي لا تعتقد أن التاريخ سيعيد للمرأة ما وصفته الجريدة بـ«سيطرة المرأة وقداستها الغابرتين» وذلك من منطلق واع. وهي لا تتمناه أيضًا، حتى وإن كان ممكن الحدوث، وذلك من منطلق إنساني، وهذا الموقف هدم لأساس رئيسي من الأسس التي قامت عليها حركات ما سمي بـ«تحرير المرأة».

ثانيًا: تسلّم بأن ما بين المرأة والرجل تكامل، تكامل تصفه مرة بأنه مثالي وأخرى بأنه فعلي، وهي تدعو إلى هذا التكامل وترى فيه الحل الأمثل للعلاقة بين الرجل والمرأة، إذن، فلا معنى للتماثل بين المرأة والرجل في كل شيء، لأن التكامل بين اثنين لا يستدعي أن يكونا متماثلين.

* * *

وبعد:

لا نريد أن نقول: إن نوال السعداوي أصبحت من الداعيات إلى الإسلام، لكنه منعطف طيب نحو الحقيقة، ندعو الله أن يتحدد أكثر. فتلتزم بما أمرها الله، وأمرنا، إنه سميع مجيب.

* * *

اعترافات أخرى لنوال السعداوي

نشرت مجلة «سيدتي» لقاء جديداً مع نوال السعداوي ضم اعترافات جديدة أخرى، وتراجعات واضحة عن آرائها القديمة، وحرصًا مني على إكمال صورة انعطاف السعداوي نحو الحقيقة، أنقل لكم ما جاء في مقابلتها الجديدة من اعترافات جديدة. تقول:

«إنني في شوارع لندن.. أرى نساء شبه عاريات، وهؤلاء يعرضن أجسادهن كالبضاعة. الملابس لها وظيفة، وهي وقاية الجسم من العوامل الطبيعية، ولا ينبغي أن تقدم رسائل إغراء، لو نظرت المرأة لنفسها كإنسانة وليست كبضاعة، لما احتاجت لأن تتعرى».

من يصدق أن الدكتورة نوال السعداوي هي صاحبة هذا الكلام؟! إنها، في كلامها السابق، تعترف بالحقائق الإسلامية التالية:

١ ـ إن كشف المرأة عن جسدها يعني عرضه لجميع الناس، وعرضه لجميع الناس يجعله أشبه بالبضاعة، والإسلام ينهى عن هذا التكشف، لأنه يرى المرأة إنسانًا وليس سلعة، ليس بضاعة للعرض.

٢ ـ تقول: إن الملابس لا ينبغي أن تقدم رسائل إغراء، والإسلام ينهى عن اللباس غير الفضفاض، اللباس الذي يظهر شكل جسد المرأة، وينهى عن لباس الشهرة، وينهى عن اللباس الذي يعتبر زينة للمرأة، ينهى عن هذه الألبسة التي تعتبر جميعها رسائل إغراء للرجل.

٣ـ تقول: «لو نظرت المرأة لنفسها كإنسانة وليس كبضاعة لما احتاجت لأن تتعرى». . إذًا، فكل دعوة إلى تعرّي المرأة وتكشفها هي دعوة إلى سلبها إنسانيتها، وتجريدها من كرامتها، وجعلها بضاعة من البضائع. . !

ومن ثم فدعوة الإسلام إلى حجاب المرأة لا يعني إلا حفظها وسترها، وتكريمها وصونها، وتحريرها من أي عين يمكن أن تنظر إليها على أنها سلعة من السلع.

ثم تسألها المحررة: «لقد جعلت المرأة في طروحاتك في موقع منافس للرجل. . . فهل هي بحاجة إلى منافسته؟».

تجيب قائلة: «لا أريد من المرأة منافسة الرجل، ولا أريد من الرجل منافستها، أردتها فقط إنسانة تحظى بالتعليم الذي يناسبها والوظيفة التي تناسبها. أن تكون طبيبة أو مهندسة أو ما شاءت. والمرأة تستطيع أن تتزوج وتحقق اهتماماتها الذاتية في نفس الوقت».

عظيم إنها تتراجع عن تحريضاتها القديمة للمرأة، إنها لا ترى منافسة الرجل للمرأة ولا المرأة للرجل. إنها تسلّم بقول الله تعالى: ﴿ **بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ** ﴾ [النساء: ٢٥] وتدعو إليه. إنها تتأسى بقوله ﷺ في وصف النساء بأنهن «**شقائق الرجال**»!! لماذا كانت إذن تلك التحريضات التي سُخّرت لها وسائل الإعلام المختلفة في عقود الخمسينيات، والستينيات، والسبعينيات، والثمانينيات من هذا القرن؟ لماذا كانت تلك المعارك المفتعلة بين الرجل المرأة؟

ثم تقول عن كتابها الأول «المرأة والجنس»: «كنت في هذا الكتاب الذي أصدرته عام ١٩٦٩م، أي قبل عشرين عامًا، أريد ألا تعامل المرأة بطريقة

رخيصة، كنت في هذا ضد الازدواجية في الأخلاق. ضد أن تباع المرأة وتشترى. وضد أن تضيع المرأة وقتها في الماكياج. أذكر أنني قلت في الكتاب: من هي المرأة الشجاعة التي تواجه العالم بوجه مغسول. . ؟».

وتقول عن نفسها:

«أنا لا أضيع وقتي في الماكياج وتزييف وجهي. شعري أقصه بيدي. انظري إلى المرأة كم تنفق على الماكياج وكم تنفق على الكتب! إنني أريد أن أغير نظرة المجتمع إلى المرأة من جسد إلى عقل. من بضاعة إلى إنسانة لها إبداع وتفكير».

سبحان الله . . .

كانوا يدعون إلى خروج المرأة من بيتها، ومخالطة الرجل، ولبس ما تشاء، وفعل ما تشتهي نفسها، ثم يأتون اليوم: ليقولوا: إنهم لا يريدون أن تعامل المرأة بصورة رخيصة، وضد أن تباع المرأة وتشترى، وضد أن تضيع المرأة وقتها في الماكياج. فكيف نوفق بين هذا وذاك؟

ألا ترخص المرأة حين تبتذل ويصبح جسدها مشاعًا لكل الأعين؟ ألا ترخص المرأة حين يستغلها صاحب شركة فيعطيها أجرًا بخسًا يستغل به حاجتها؟ ألا ترخص المرأة حين يطلب مدير من سكرتيرته ما لا صلة له بعملها. . فإن لم تستجب له يفصلها من العمل؟!

وإذا كانت نوال السعداوي ضد أن تضيع المرأة وقتها في الماكياج، أفلا يعني هذا أن تتحجب؟! لأن تسعين في المائة مما ينفق على الماكياج تضعه المرأة السافرة حين خروجها من البيت سواء إلى عملها أم في تجوالها في الشوارع،

أم إلى أي مكان، أما المحجبة فإنها لا تخرج بزينتها أمام الرجال، ومن ثم فأوقات استخدامها للماكياج أقل بكثير.

ثم تقول: «إن الدين الإسلامي ضد الظلم. والله يدعو إلى العدالة»

وما دامت ترى هذا فما مبرر دعواتها جميعا؟ لماذا لم تدع منذ البداية إلى تطبيق الإسلام ما دامت تراه ضد الظلم؟ لماذا لم تطع الله سبحانه ما دامت مقرة بأنه تعالى يدعو إلى العدالة؟

وقد أدركت المحررة أن ما تقول نوال السعداوي إنها تدعو إليه هو ما يدعو إليه الإسلام، فقالت المحررة موجهة كلامها إلى السعداوي: «وما تسمينه بالعلاقة الجديدة بين الرجل والمرأة موجود في مجتمعنا في الوقت الحاضر وحتى الماضي. وعلاقة الرسول ﷺ بزوجاته كانت مثالاً مشرفًا في الإنسانية؟».

فردت السعداوي بقولها: «إنه أمر مشرف أن يكون في تاريخنا هذه الأمثلة. ولكن عهود التخلف والفترات المظلمة، وانحسار مد الحضارة العربية والإسلامية، أنجبت تراجعًا كبيرًا في القيم الإنسانية في علاقة الرجل بالمرأة».

هكذا تعترف بأن ما لاقته المسلمة من تجنّ من زوجها أو أبيها أو أخيها كان بسبب انحسار مد الحضارة الإسلامية! إذن حتى تعود هذه العلاقة المتميزة بين الرجل والمرأة، فإننا نطالب بعودة الإسلام لا بالخروج عليه... كما كانت تفعل نوال السعداوي.. ومن شابه منهجه منهجها..!!

هل تتحجب نوال السعداوي؟

الاعترافات التي نشرناها للدكتورة نوال السعداوي، ليس كل ما قالته، فثمة تراجعات أخرى لم يتسع لها المجال، ومنها موقفها من الحركات النسائية الغربية؛ حيث تقول: «أنا لا أتفق مع هذه الحركات؛ لأنها أصبحت تعادي الرجل وتتصور أنه هو العدو. صارت تنفي أنوثة المرأة الطبيعية وتحولها إلى شبه رجل. أنا كامرأة لا يمكن أن أعادي الرجل، أو أمسخ طبيعتي، أو أتحول إلى رجل ممسوخ»!

وحين سئلت إن كانت تقرأ للشاعر نزار قباني مثلاً أو للكاتب إحسان عبد القدوس، قالت: «لا أضيع وقتي مع هذه الأسماء التي تحوّل المرأة إلى بضاعة. إنني أختار ما أقرأ».

وجوابًا على سؤال: هل قرأت القرآن؟

قالت: «وكيف لا. لقد قرأت القرآن أربعين مرة، بل إنني درسته وتمحصت فيه. كيف نكون مسلمين إذا لم نفهم الإسلام. . . هل بالوراثة؟ إن إيمان التقليد الأعمى والوراثة ليس بإيمان. لابد للمسلم أن يقرأ القرآن ويدرسه ويقارن الإسلام بالديانات الأخرى ليرى تفوقه».

لقد وردت عبارة في كتابها (المرأة والجنس) قالت فيها: «من هي المرأة الشجاعة التي تواجه العالم بوجه مغسول؟»، أي وجه خال من المساحيق.

لقد أرادت نوال السعداوي أن تكون هي تلك المرأة، فهي لا تضع

المساحيق على وجهها، ونحن نوجه إليها عبارتها تلك نفسها مع تغيير قليل:

«من هي المرأة الشجاعة التي تعترف ببطلان آرائها القديمة.. بوجه محجب؟»... ونأمل أن تكون هي هذه المرأة المحجبة!

* * *

انظري إليها من عل!!

مما يزيد المسلمة اعتزازًا بدينها، وإحساسًا بتميزها عن سائر النساء غير المسلمات، ما تراه من سطحية ملايين النساء في العالم، وتفاهة اهتماماتهن، حتى وإن كان آباؤهن شخصيات فكرية أو سياسية مشهورة.

كلود شيراك ابنة رئيس وزراء فرنسا السابق جاك شيراك، مغرمة بالمغنية الأمريكية مادونا، مادونا التي مثّلت أكثر من فيلم إباحي، وتملك أفكاراً وقحة.

وحين أرادت مادونا هذه أن تحضر إلى باريس، لإرضاء جمهورها من المراهقات والمراهقين الفرنسيين، ولكسب عدة ملايين من الفرنكات الفرنسية، حار من تعاقدوا معها كيف يدبرون المكان الذي تقيم فيه حفلتها، فقاعة الأوبرا المشهورة لا تتسع لأكثر من خمسة آلاف متفرج، وقاعة الأولمبيا الباريسية لا تتسع لأكثر من ثلاثة آلاف. بينما جمهور «مادونا» ـ كما يقدرون ـ يزيد عن مائة ألف!!

ولم يجدوا سوى حدائق منتزه «سو» القريبة من مطار أورلي العالمي، وهي حدائق كبرى تتسع لمائة وثلاثين ألف شخص.. وهذه الحدائق خضراء جميلة فيها ألوف ورود الزنبق والياسمين.

وما إن قدّم الطلب إلى بلدية «سو» حتى رفضته خشية أن يفسد الجمهور جمال الحديقة ونظافتها بما يلقونه من بقايا طعام وزجاجات المشروبات.

وأصرت البلدية على رفضها رغم كل المحاولات التي بذلت من أجل إقناعها.

وهنا يأتي دور «كلود» ابنة جاك شيراك، كلود المغرمة بمادونا، فتؤلب أباها على بلدية «سو» وتلح في طلبها على أبيها ليسمح لمادونا بإقامة حفلتها على حدائق «سو».

ويأمر رئيس الوزراء شيراك، مستغلاً صلاحياته، بإلغاء قرار بلدية «سو» مقرراً السماح بإقامة الحفلة.

وحضرت مادونا إلى باريس في طائرة خاصة، وبرفقتها عشرون حارسًا، ونزلت في فندق «كريون» المشهور الذي يطل على ساحة الكونكورد.

وزيادة في التكريم، وضعت الحكومة الفرنسية قوة من الشرطة العلنية، وقوة أخرى من الشرطة السرية، لحمايتها، وسيارات ودراجات نارية لفتح الطرقات!!

ووقف الناس في طوابير طويلة أمام شبابيك التذاكر ليحجزوا لهم مكانًا، بينما نشطت السوق السوداء لتبيع التذاكر لمن لا يحبون الوقوف في الطوابير بأضعاف مضاعفة.

وأقيم الحفل أخيراً.. حضره مائة وثلاثون ألفًا.. فقط! كانت عقيلة شيراك وابنته كلود ضمن الحاضرين.

أثناء الحفلة الكبرى نقل ثلاثة آلاف مواطن فرنسي إلى المستشفيات، بقي منهم فيها أربعمائة شخص، بينما قدمت للآخرين بعض الأدوية والمنشطات

ثم عادوا إلى الحفلة. . أو إلى دورهم.

أختي المسلمة:

نموذج واضح لهوس مجنون من مائة وثلاثين ألف مراهق، على رأسهم ابنة شخصية بارزة شهيرة!

أليس للمرأة المسلمة المتزنة أن تشعر باعتزاز بدينها، وأن تنظر من علٍ إلى المرأة الغربية خاصة، والمجتمع الغربي عامة، حين يُشغلون، أو مراهقوهم على الأقل، بهذه التافهة، الماجنة، الوقحة. . . «مادونا»!؟

أليس لها أن تشعر بتميزها وهي تتجه إلى ربها خمس مرات في اليوم، تناجيه في تسليم إيماني سامق، ترجوه وتدعوه وتستعينه، مستمدة منه القوة والثبات؟!

أليس لها أن تفخر وهي في لباسها الإسلامي السابغ الساتر، الذي يحفظها ويصونها، ويؤكد على أنها إنسان كريم. . . وليست متاعًا أو سلعة؟!

أليس لها أن تعتز بإسلامها وهي ذات رسالة عظيمة في الحياة، تربي أبناءها عليها، وتوفر لزوجها سكنًا يساعده على أداء ما استخلفه الله فيه، وتؤمن أن هذه الدنيا ليست نهاية المطاف؟!

أليس لها أن تفخر على الغربية وفي جداتها خديجة وعائشة وفاطمة ـ رضي الله عنهن ـ وملايين المسلمات المجاهدات والعالمات؟!

وتبقى دعوة منا للذين يدعون المسلمة لتقليد الغربية: مَن أجدر بتقليد مَن؟

أليست الغربية الضائعة التائهة التي لا تعرف لها رسالة، ولا غاية من

حياتها، سوى اللذة واللهو والعبث... أليست هي أولى بتقليد المسلمة التي تعرف الطريق التي تسير فيها، والغاية التي تسعى إليها والرسالة التي تؤمن بها وتفسر لها كل شيء...؟

ألا يقرأ هؤلاء شكاوى الغربيات العاقلات؟ وشكاوى الغربيات اللواتي صحون من غفلتهن؟

ألا يقرأون كلام من أسلم منهن وهن يقارن بين ظلام كُنَّ يعشن فيه قبل إسلامهن.. ونور انتقلن إليه بعد دخولهن في دين الله؟

ارفعي يا أخية رأسك عاليًا، وارثي لحال المرأة في الغرب، ولكل مسلمة تقتفي أثرها... وحاولي أن تعظيها موعظة حسنة وأن تبصريها بالحقيقة الغافلة عنها.. قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.

* * *

أريد أن أعمل مدرسة وزوجي لا يرضى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد.. إني أكتب رسالتي هذه بعد تردد كثير، فإنني لم أجد ملجأ بعد الله سواك ألجأ إليه وأرجو منك أن لا تهمل رسالتي هذه.

بعد قراءتي للأجزاء الأربعة من كتابك القيم «رسالة إلى حواء» وبعد فهمي لأهدافه فإنني سأعرض عليك مشكلتي هذه وأرجو منك أن تقرأها بتمعن.

إني فتاة عادية تزوجت من شاب ملتزم ولله الحمد، وكانت هذه أمنيتي في الحياة: أن أجد من يرعى حقوق الله، ولكني بعد الزواج لم أستطع فهمه مطلقًا. وجدت الفرق الكبير بين آرائي وأفكاره، ولم يستطع أن يقنعني أبدًا بما لديه.

وكانت كثير من المشكلات في حياتنا، ولكنني كنت أصبر ولا أطلع أحدًا عليها حفاظاً على سعادة بيتنا، وربما لتفاهتها، وكانت آخر مشكلة هي التي لا أستطيع أن أصبر عليها وهي: بعد إكمالي لدراستي الجامعية، وبعد تخرجي، طلبت منه أن أتوظف معلمة ـ وكما تعلم سعادتكم أننا هنا في السعودية ليس لدينا أي اختلاط ـ ولكنه رفض بشدة، وكان عذره هو الأطفال، وبعد أن شرحت له كل الترتيبات لوضعهم ما زال مصممًا، مع العلم أنني لم أطلب استقدام مربية أو خادمة مطلقًا، وأنني من المعارضات لهن.

والآن، هذه هي مشكلتي باختصار، وأطلب منك مساعدتي في حلها، إنني إنسانة تريد أن تهتم بأطفالها وزوجها وبيتها، وفي الوقت نفسه تريد أن يكون لها كيان في المجتمع.

لا أريد أن يصبح كل هدفي الأشياء التافهة مثل الزيارات والاطلاع على المجلات كما تفعل سائر النساء، بل أريد أن أصبح عضواً فعالاً مهماً في المجتمع، وأنا أعتقد أن هذه المهنة هي تربية الأجيال، وهي إحدى طموحاتي التي لا أريدها أن تحبط، وهذا الشيء لا يتعارض مع مهمتي كأم أو زوجة، أو مع تعاليم ديننا، فإننا لو كل واحدة منا جلست في المنزل فمن يقوم بتدريس الأجيال القادمة؟

أرجو منك يا أخي أن تتفهم وضعي وأن لا تحكم عليَّ بحكم الرجل، أن تكون سنداً لي فحياتي أصبحت صعبة جداً لعدم التفاهم بيني وبينه.

وأنا في الوقت نفسه أحبه ولا أريد الانفصال عنه بعد أن قرأت في كتبك عن أهمية السعادة في المنزل والأولاد، ولكني في بعض الأحيان أقول: إنك تتكلم عن خيال وأوهام ليس لها وجود.

وفي نهاية رسالتي الطويلة هذه-والتي أرجو أن لا تملّ منها-أرجو منك النصح والعون وأن لا تطلب مني التضحية بما لا أستطيع. وفي الختام تقبل مني شكري وتقديري.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

*** ملحوظة:**

مع العلم أن توظيفي فيه مساعدة لحالتنا المادية ولقضاء الكثير من ديوننا

وخصوصًا أن زوجي لا يزال طالبًا ولم يتم دراسته بعد.

فتاة من مكة المكرمة

الأخت الفاضلة:

أمامي رسالتك التي تتحدثين فيها عن مشكلتك التي تقولين: إنك لا تستطيعين الصبر عليها، وهي رغبتك في العمل في التدريس على الرغم من معارضة زوجك لك وعدم موافقته على ذلك.

ولا أريد أن أقلل من شأن مشكلتك؛ لكني أقول: إنها هينة يسيرة إن شاء الله إذا قسناها إلى مشكلات أخرى خطيرة وكبيرة بين الأزواج.

فلو عكسنا مشكلتك، وجعلناها مشكلة زوجة تشتكي زوجها الذي يرغمها على العمل، لتشاركه في الإنفاق على البيت، وهي ترغب البقاء في بيتها، لتعتني بأطفالها وتربيتهم.. وترعى زوجها وتوفّر له السكن النفسي والمادي!! لوجدنا أنها مشكلة أخطر من مشكلتك حقًا، وأعقد منها أيضا، وتترتب عليها مشكلات أخرى كثيرة، طمع الزوج في مرتب زوجته، وغياب الزوجة عن البيت والأطفال غيابًا لا تحبه ولا ترغب فيه.

ما أجمل، أختي الفاضلة، أن يكفيك زوجك عبء العمل خارج البيت، ويتكفل بالنفقة عليك، ويغنيك عن تعب مزدوج: خارج البيت وداخله.

لقد ذكرت أنك قرأت الأجزاء الأربعة من رسالة إلى حواء وأشكرك على ثنائك عليها، ولا شك في أنك قرأت عن معاناة المرأة الغربية التي تعمل داخل البيت وخارجه، وما يسببه لها هذا من توتر وضيق وأمراض نفسية وجسدية، وما يسببه غيابها عن البيت من نقصان الاهتمام بأولادها منهما

حاولت أن تجد البديل، وغير هذا وذاك مما اطلعت عليه في الأجزاء الأربعة.

مع هذا كله، أختي الكريمة، فإني سأنظر إلى مشكلتك من زاوية أخرى؛ لأن لها أموراً خاصة بها تجعل رغبتك في العمل مقبولة ومعقولة، وهذه الأمور هي:

١ ـ أنك في المملكة العربية السعودية؛ حيث الأمان إن شاء الله، فلا خوف من تنقلك، وخروجك من البيت.

٢ ـ سيكون عملك في مدرسة للبنات، أي أنه لا اختلاط هناك، فالعمل سيكون في مجتمع نسائي.

٣ ـ طبيعة عملك هي التعليم، وهي أشرف مهنة، ولك فيها الأجر في الآخرة أيضًا ـ مع أجر الدنيا ـ إذا أخلصت النية.

٤ ـ هناك حاجة مادية إلى المرتب الذي ستأخذينه، فقد أشرت إلى ديون مترتبة على زوجك.

٥ ـ الإشراف على الأولاد وتربيتهم، وقد أشرت إلى أنك أعددت ترتيبات مناسبة لوضعهم، إضافة إلى إجازات التدريس الكثيرة وبخاصة إجازة الصيف الطويلة التي تساعدك على تعويضهم عن غيابك عنهم بضع ساعات في اليوم أثناء العام الدراسي.

مما سبق كله، أستطيع أن أقول: إن طلبك العمل مدرسة للبنات أمر شرعي يغلب نفعه على ضرره، وتزيد فيه الحسنات على السيئات، والإيجابيات على السلبيات.

المشكلة الآن هي كيف تقنعين زوجك بهذا وتجعلينه يوافق على عملك؟

هذا ما أقترحه عليك:

١ ـ إذا كنت تطلبين منه أن يوافق على عملك، كل يوم أو يومين، فاحرصي الآن على ألا تكلميه بهذا الأمر طوال شهر على الأقل، وكأنك صرفت النظر عن طلبك.

٢ ـ بعد مضي هذه الفترة الطويلة من الزمن دون مفاتحته برغبتك. لابد أن يسألك ذات يوم عن سر توقفك عن الإلحاح عليه بطلب العمل، وهذه هي فرصتك.

٣ ـ قولي له: لقد وجدت أن طلبي المتكرر وإلحاحي يسبب لنا المشكلات التي نحن في غنى عنها.. ولهذا فلم أعد أحدثك بالموضوع.

أضيفي بصوت مملوء بالحب: يا أبا فلان أريد أن أساعدك.

أعدك بأن أسلمك مرتبي كاملاً لتعطيني أنت منه ما تشاء.. ألست أنا لك وأنت لي؟ لنجرب سنة واحدة فقط.. وإذا وجدت أن العمل كان على حسابك وحساب أولادنا فإني أعدك بألا يكون هناك عام آخر... لنجرب هذا العام فقط.

جربي هذا، وأنا متفائل بالنتيجة التي آمل أن تخبريني بها، والله يوفقك إلى كل خير، ويديم مودتك لزوجك ومودة زوجك لك، ويحفظكما مع أولادكما.

قبل أن أختم كلامي أحب أن أبارك فيك عدة أمور لحظتها في رسالتك أرجو أن تحافظي عليها ولا تتخلي عنها وهي:

١ ـ حرصك على الزواج من شاب ملتزم.. حتى أنك وصفت هذا

بقولك: «وكانت هذه أمنيتي في الحياة، أن أجد من يرعى حقوق الله».

٢ ـ عدم إطلاعك أحداً على المشكلات بينك وبين زوجك، وصبرك عليها، حفاظًا على سعادة البيت.

٣ ـ عدم استعانتك بمربية أو خادمة.. وكونك من المعارضات لهذا.

٤ ـ حبك لزوجك وعدم رغبتك في الانفصال عنه.

ومن كانت فيها هذه الأمور، فإن خيراً كثيراً يرجى منها، مع دعواتي لك بالتوفيق والسداد.

والله يرعاك.

* * *

للجميع.. حرة لواحد.. مستعبدة!!!

إذا قُدِّرلك أن تسافر على طائرة أي خطوط جوية، فستستقبلك فتاة جميلة، حسنة المظهر، أنيقة الملبس، تحرص على تلبية طلباتك طوال الرحلة، مع ابتسامة رضا.

وإذا زرت مديرًا لمؤسسة، أو هيئة، أو شركة، فستستقبلك سكرتيرة بهيَّة الشكل، جذابة الملامح، شديدة الأناقة، تدعوك للجلوس، تسألك ماذا تشرب، من قهوة أو شاي أو عصير، ريثما تتلقى إشارة مديرها، لتدخل حضرتك إليه.

وإذا ابتليت بمرض ألزمك دخول المستشفى ـ وقاك الله ووقانا ـ وتمددت على السرير، فستمر بك في اليوم الواحد، «ملاك رحمة»، عدة مرات، تأخذ حرارتك، وتسأل عن صحتك، وتناولك الدواء، وتستمع لشكواك، وتحضر لك الطبيب إذا اقتضى الأمر.

أينما ولّيت، وحيثما اتجهت، فستستقبلك المرأة في أبهى حللها، وأكمل زينتها، وهي تبتسم لك.

وإذا سألتهم. سألت دعاة تحرير المرأة: ماذا يعني عمل المرأة مضيفة في الطائرة، وسكرتيرة في المكتب، وممرضة في المستشفى، وعاملة في المصنع، وسائقة للتاكسي، وبائعة في المتجر.. ؟!

قالوا لك: هذه ثمرة تحرر المرأة! إنها تعمل كما يعمل الرجل، سواء بسواء. فهي ليست أقل منه قدرة ولا كفاءة! ومن ثم لا ينبغي أن تستعبد المرأة في البيت؟

ونسألهم: وهل تعد المرأة مستعبدة إذا بقيت في بيتها؟

قالوا: نعم.

قلنا لهم: لكننا نراها الآن أكثر استعباداً!

وإذا سألونا: كيف؟

نقول لهم: كانت تعمل عمل المضيفة فتستقبل زوجها.. فقط، بابتسامتها، وهي في أبهى حلة، حين يعود إلى طائرته ـ عفواً.. أعني بيته ـ ولا تبتسم لأحد غيره، ولا تلبي طلبًا لسواه.

كانت تعمل سكرتيرة لزوجها وحده، تسجل أسماء من اتصلوا به مع هواتفهم، وترتب له أوراقه، وليس عليها أن تستقبل أحداً من مراجعيه في بيته!

وكانت تعمل ممرضة له وحده، ترعاه إذا مرض، وتسهر عليه، وتحيطه بالعناية الفائقة.. وتسقيه الدواء.. هو وحده.

بعد أن كانت ترحب برجل واحد في بيتها.. صارت ترحب بعشرات الرجال.. بل مئاتهم.. كل يوم.. بل في كل رحلة طائرة!!

وبعد أن كانت تمرّض رجلاً واحداً.. لاهمّ لها غيره.. أصبحت تمرّض عشرات، بل آلاف المرضى، وعليها أن تحمل همهم جميعًا.. وتلبيهم جميعًا.. وتستجيب إليهم جميعًا.

وليس لها، في أحوالها الجديدة، أن تتبرم، أو تضيق، أو تتأفف. وإلا خصمت عليها شركة الطيران، أو إدارة المستشفى، أو مدير الشركة. . أيامًا من راتبها.

لكنها في بيتها، قد تصرخ، قد تتبرم من كثرة طلباته، تعلن ضيقها بعبث الأولاد. . دون أن يخصم زوجها شيئًا. .

ستلمع عيون دعاة تحرير المرأة وقد قفزت إلى أذهانهم فكرة فيقولون: ولكنها في بيت زوجها لا تتقاضى مرتبًا. . وهي في عملها تتقاضى.

ويسألهم: ولماذا المرتب؟ أليس من أجل أن تنفق منه على نفسها؟ أليس خيرًا لها أن تستريح من إرضاء هذه الجموع البشرية. . لترضي رجلاً واحدًا. . ينفق عليها هو. . ويكفيها مؤونة هذا الكدح؟

لماذا تقولون: إنها مستعبدة إذا رعت رجلاً واحدًا، واعتنت به، ووفرت سكنًا لجسمه ونفسه. . وإنها حرة إذا راعت عدة رجال، وتزينت لهم وخدمتهم؟!!

أي منطق هذا. . ؟!

❁ ❁ ❁

انتحار أم

مثل كل فتاة؛ كانت «لندا» تحلم بالزواج، بتكوين بيت سعيد، يمرح فيه الأطفال ويلعبون، تمنحهم حبها، وتغدق عليهم عاطفتها، وتُظلّهم برعيتها وحنانها.

وحقق الله حلم لندا فتزوجت، ورزقها الله من زوجها سبعة أطفال، كانوا بهجة حياتها، ومنتهى أملها، وغاية سعادتها.

رعتهم كما كانت تحلم، وبذلت لهم ما كانت تملك من صحة ووقت، ووفرت لهم بيتًا مستقرًا، أشعرهم بالأمان، وساعدهم على متابعة تحصيلهم العلمي، حتى حصلوا جميعًا على المؤهلات الجامعية. بعضهم درس الجامعة في مصر، بلدهم، وبعضهم درسها في أوروبا.

أبناؤها الذين درسوا في أوروبا استقروا فيها، وتزوجوا منها، وكانوا لا ينسون أمهم من رسالة كل بضعة أشهر.

ولحق بهم إخوتهم الذين تخرجوا في مصر، وساروا على نهج إخوتهم، فكانوا لا يرسلون إلى أمهم إلا رسالة كل بضعة أشهر.

صارت الأم المسكينة تحلم برسالة من أحد أبنائها تضم «تذكرة» طائرة، مع دعوة لها للسفر إليهم. وتمضية شهر بينهم. لكن هذا الحلم لم يتحقق.

وليت الأمر انتهى عند هذا، ليت الرسالة هذه وحدها التي لم تصل، لقد

كانت المأساة أكبر؛ فقد انقطعت الرسائل انقطاعًا تامًا، ومن الأبناء السبعة جميعهم.

مرت سنة، دون أن تصل أي رسالة، قلقت الأم المسكينة. وزادها قلقًا وحزنًا أن رسائلها التي كانت بعثت بها إلى أبنائها.. تعود إليها لعدم صحة العنوان، أي أن العنوان تغير دون أن تعلم به، بل دون أن يُعلمها به أبناؤها العاقون.

وتبعت السنة التي انقطعت فيها الرسائل سنوات. بلغت لندا فرج إسحاق (وهذا اسمها الكامل) الخامسة والخمسين من عمرها.

ضاقت عليها الدنيا، ضاقت عليها نفسها، حتى زوجها العجوز لم يعد ينجح في التخفيف عنها إزاء عقوق أبنائها لهما.

ولم تشعر لندا إلا والحزن يعصرها عصرًا. والكآبة تكاد تخنقها، ووجدت نفسها تتجه إلى كنيسة مار جرجس في شرق القاهرة، وهناك صلّت ثم شربت سم فئران كانت تحمله معها.

انتبه من في الكنيسة إليها، سارعوا إلى نقلها إلى المستشفى.

فتح المحققون حقيبة الأم لندا، فوجدوا فيها ثلاث رسائل لم ترسل بعد. الأولى موجهة إلى زوجها، والثانية موجهة إلى أبنائها. والثالثة إلى راعي الكنيسة.

كانت تدعو في رسائلها الثلاث، إلى بر الأمهات والآباء، وإلى نشر المودة والحب بين أفراد الأسر. كانت تشكو ما أصابها من عقوق أولادها لها.. نسيانهم مَنْ سهرت حين كانوا ينامون، من تعبت حين كانوا يرتاحون.

من ضعفت حين كانوا يقوون.

أي عقوق أشد من هذا العقوق: ينسونها حتى من رسائلهم إليها؟! وأي عقوق أكبر من هذا العقوق: سبعة أبناء يجتمعون على عقوق أمهم؟

أيتها الأمهات.

لن تجدن أحداً أوصى بصحبتكن مثلما أوصى بها النبي ﷺ، فقد قدّمها على صحبة الزوجة، والولد، والأب، والأخ، والصديق.. على أي صحبة كانت. ولم يقدمها ﷺ مرة واحدة.. لقد قدَّمها ثلاث مرات، حين سأله أحد الصحابة رضوان الله عنهم: من أحق بحسن صحابتي يا رسول الله؟ فيجيبه الرحمة المهداة من الله إلى العالمين: «**أمك**». ويعاود السؤال: ثم من؟ وتأتي الأم مرة ثانية «**أمك**». والثالثة: ثم من؟ ويؤكد من لاينطق عن الهوى «**أمك**».

من في الدنيا كلها جعل المراتب الثلاثة الأولى للأم؟

أيتها الأخوات، وأيها الإخوان، ليتكم تمدون أيديكم الآن إلى أجهزة الهاتف، وتجرون مكالمة هاتفية مع أمهاتكم. أو تتناولون القلم لتكتبوا إليهن رسالة. وإذا كنتم تعيشون معها في بيت واحد، فأرجوكم أن تتوجهوا إليها وتقبّلوا يديها.

وإذا كانت أمك، أختي الكريمة، قد رحلت عن هذه الدنيا، كما أمي، فارفعي يديك إلى السماء وادعي لها بالرحمة والمغفرة.

❁ ❁ ❁

أيها الرجل ماذا تفعل بالمرأة؟

تقول **شمس البارودي** عن دور زوجها حسن يوسف في عودتها إلى دينها وتمسّكها به: «لقد كان لزوجي دور هام وكبير قام به وأنا في طريقي إلى ارتداء الحجاب والتفرغ لبيتي ولعباداتي، فقد كان مؤيداً لخطواتي، ومشجعًا لحياتي الجديدة، وتولّى - كرجل مسلم - مسؤولية البيت كاملة، من إنفاق، ورعاية للأولاد بتوصيلهم يوميًا إلى المدرسة، وتقديم العون لي في كل ما أحتاجه لأولادنا زينة الحياة الدنيا».

وتقول **هالة الصافي** التي اعتزلت الرقص وارتدت الحجاب والتزمت بيتها لرعاية زوجها وابنتها الوحيدة: «لقد وقف زوجي بجواري وساعدني، وأنا أعتبره صديقًا وأخًا قبل أن يكون زوجي ووالد ابنتي».

وتشير **هناء ثروت** إشارة واضحة إلى دور زوجها محمد العربي الذي اعتزل التمثيل معها في عودتها إلى دينها وطاعتها ربها.

وتذكر **شادية** دور الشيخ محمد متولي الشعراوي وما قاله حين زارته لتستشيره في قرار اعتزالها: «يا ستي.. إن الإنسان عندما يذهب إلى قبره.. يسير معه ثلاث: أهله وماله وعمله في الدنيا، وبعد دفنه يعود أهله وماله إلى الدنيا ويبقى معه في قبره عمله»

إنه الرجل إذن. الرجل الذي يساعد المرأة على أن تخطو خطوتها الأولى

في الطريق إلى الله ، كما يساعدها على أن تخطو خطوتها الأولى في الطريق إلى الشيطان .

فمنْ غير الرجل **قاسم أمين** دعا إلى ما يُسمّى «تحرير المرأة» ثم سموه هو «محرر المرأة»؟!

ومَنْ غير الرجل **إحسان عبد القدوس** أطلق رواياته التي زيّن بها الحرام في أعين الفتيات والنساء باسم الحب؟! .

مَنْ غير الرجل **نزار قباني** ألقى حبال الشيطان لتنزل عليها المرأة إلى ميادين الفتنة والهوى . . . ؟!

مَنْ غير الرجل الأب يسمح لبناته بالخروج في أبهى زينة ، من غير ستر ولا حجاب ، ولا يكترث بهن إن صلّين أم لم يصلّين؟!

مَنْ غير الرجل الأخ الذي تراه أخته يطارد الفتيات عبر الهاتف ، أو بسيارته في الشارع ، مَنْ غيره مهّد لها لتستجيب إذا هاتفها شاب أو لاحقها بسيارته؟!

مَنْ غير الرجل الزوج يمنع زوجته من ارتداء الحجاب ، ويدعوها إلى استقبال أصدقائه ، ثم تحدث هذا . . وتبتسم لذاك . . وهو يفعل مثلها . . يحدّث هذه . . ويبتسم لتلك .

لا أريد أن أقول : إنه لا يمكن للمرأة أن تؤمن دون الرجل ، وتتمسك بدينها دون الرجل . . بل هي تستطيع ذلك ، ومسؤوليتها منفصلة أمام الله عن مسئولية الرجل ، فكل نفس بما كسبت رهينة ، ولقد وجدنا امرأة فرعون لا تخضع لزوجها وتؤمن دونه ، كما وجدنا ، من جهة مقابلة ، امرأة لوط عليه

السلام، لا تؤمن مع زوجها وتكفر دونه.

لكن الرجل يبقى معينًا لها على الصلاح، أو معينًا لها على الفساد. وما أعظم خطاب الله تعالى للرجال، وما أبلغه، إذ يقول لهم: ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ:

«... والمرأة تتعامل مع هذا المجتمع الجاهلي، وتشعر بثقل وطأته الساحقة حين تهمّ أن تلبي الإسلام. سواء اهتدت إليه بنفسها، أو هداها إليه رجلها: زوجها أو أخوها أو أبوها..».

«.. والمرأة تنوء تحت ثقل المجتمع الذي يعادي ذلك التصور «الإسلامي» عداء الجاهلية الجامح! وما من شك أن ضغط المجتمع وتقاليده على حسّ المرأة أضعاف ضغطه على حس الرجل!

وهنا يتضاعف واجب الرجل المؤمن. إن عليه أن يقي نفسه النار! ثم عليه أن يقي أهله وهم تحت هذا الضغط الساحق والجذب العنيف!».

أيها الرجل.

ترفق بالمرأة.. ولا تكن سببًا في شقائها.

* * *

المرأة سكن منذ البويضة

يقول العلماء: «الأصل في هذه الحياة هو بذرة الرجل الذكر وبويضة الأنثى. والعلم يعلمنا أن بذرة الرجل هي العنصر النشط المتحرك، ويعلمنا أن بويضة المرأة هي العنصر الهادئ المستسلم، فبذرة الرجل هي التي تجري وتقفز وتسعى لدخول بويضة المرأة، وبذا يتم تلقيح البويضة، وبتتميم عملية التلقيح تبدأ حياة النسل الجديد.

إذن فبذرة الرجل هي مصدر النشاط، ومصدر القوة ومصدر الطمع، ومصدر الحركة. وبويضة المرأة هي الدعة، هي الصبر، هي الهدوء والسكون». (من كتاب: المرأة وفلسفة التناسليات).

هل تأملتم: إنها صفات الرجل نفسها فيما بعد، وصفات المرأة نفسها فيما بعد. الصفات الملائمة لما خلق له الرجل والصفات الملائمة لما خُلقت له المرأة.

وإذا كان الذين يدعون إلى خروج المرأة من بيتها يزعمون بأن المجتمع هو الذي أجلسها فيه على مر الزمان، وأن صبرها وهدوءها وسكونها ليست صفات أصيلة، إنما هي صفات مكتسبة، فإننا نسألهم: أي مجتمع أكسب البويضة هذه الصفات..؟

سنختار إجابة قاسم أمين باعتباره زعيم أولئك. يقول قاسم أمين في كتابه (المرأة الجديدة): «... وإنما تختلف «المرأة» عنه «أي الرجل»؛ لأن لها وظائف

تقوم بها غير وظائف الرجل».

ما دامت لها وظائف غير وظائف الرجل، فلماذا لا تتركونها تؤدي وظائفها في بيتها. آمنة مطمئنة!؟

* * *

إنهن يبحثن عن القوامة

«ما زالت المرأة تبحث عن القوة والكفاءة في الرجل الذي تفضله لحياتها».

هذا ما يؤكده أحد الخبراء نتيجة لمجموعة من الدراسات التي أجراها والخبرة التي حصل عليها خلال عمله الطويل في التحليل النفسي.

الخبير هو الدكتور لارتون شيفتر، نائب رئيس معهد العائلة وعلاقات العمل في كاليفورنيا والأستاذ المساعد للتحليل النفسي في جامعتها.

يقول: خلال عملي في عيادتي، قابلت آلاف الرجال والنساء وأدركت أن المرأة ترغب في القوة والثقة بالنفس لدى الرجل. وكثيراً ما أسأل المرأة عن أحاسيسها حين تلتقي رجلاً حسّاسًا وشديد العناية ومنفتحًا، وهي الصفات التي قيل: إن المرأة ترغب فيها خلال السنوات الأخيرة، لكني أفاجأ بأن المرأة لا تحب هذا النمط من الرجال؛ لأنه لا يشعرها بالراحة، بل إنها تشعر بأنها ليست مع «رجل حقيقي».

ويضيف: إن المرأة تبحث أولاً عن الرجل القوي، الكفؤ، الواثق بنفسه والناجح، وهي الصفات التقليدية التي بحثت عنها المرأة في الرجل باستمرار. لكنها إذا وجدت اللطف والحساسية إلى جانب الصفات السابقة.. لن يكون الأمر سيئًا.

ويذكر الخبير شيفتر أنه سأل النساء فيما إذا كُنَّ على استعداد لقبول الانفتاح والمبادرة في الرجل بدلاً من القوة والكفاءة فقلن جميعًا: نريد القوة والكفاءة قبل أي شيء آخر.

من الأسباب التي يذكرها د. شيفتر في تفسير هذه الحقيقة، هو أن المرأة تريد أن تكون واثقة من أنها لو تزوجت من الرجل، وأنجبت وتفرغت للعناية بطفلها، فإن الرجل سيكون قادرًا على إعالة أسرته والعناية بها.

سبحان الله!؟ أليست النتيجة التي توصل إليها هذا الدكتور الخبير، هي ما قرره الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا؟! أليست الصفات التي تطلبها المرأة في الرجل هي «القوامة» ذاتها التي جعلها الإسلام للرجل؟! ونحن نعلم أن القوامة تقتضي من الرجل حماية زوجته والإنفاق عليها..!

* * *

حتى يستمر عملك

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». رواه مسلم.

أختي المؤمنة:

أيامنا في هذه الدنيا قليلة مهما طالت، ونحن راحلون عنها مهما امتد بنا العمر، أفلا نعمل لحياتنا الأخرى ونعدّ لها؟ أفلا نزيد في رصيد حسناتنا فيها؟

إذا مات الواحد منا انقطع عمله، وما عاد يستطيع أن يكسب حسنات زائدة. إلا من ثلاث، كما أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ.

وأريد أن أقف بك عند الأخيرة: «**ولد صالح يدعو له**». وتأملي في وصف النبي ﷺ لهذا الولد: «**صالح**» ولم يقل فقط: «ولد يدعو له»، فالولد غير الصالح أبعد ما يكون عن الدعاء، حتى وإن دعا فإن دعاءه غير مجاب، في الأغلب، لعدم صلاحه.

فهلا عملت أختي الأم المؤمنة، على استمرار تسجيل الأجر في صحيفة أعمالك، عن طريق تربية أولاد صالحين، يدعون لك بعد موتك، يدعون لك بالرحمة، ويستغفرون لك الله سبحانه؟!

ثم إن حسن تربيتك لأولادك ينفعك في الدنيا أيضًا، فحين يكون أولادك

صالحين فإنهم يكونون بارين بك، مطيعين أمرك، وما تقرّ عين امرأة كما تقر عين أم بأولادها الصالحين البارين.

فلا يشغلنك.. أختي الأم المؤمنة، عن تربية أولادك زيارات وحفلات، ولا تكلي بتربيتهم إلى الخادمة، فأنت أولى بهم، وأقدر على حسن تربيتهم.

❁ ❁ ❁

المحجبة متميزة بهدوئها النفسي ووعيها الكامل

جاء في رسالة نالت بها صاحبتها درجة الماجستير حول الآثار النفسية والسمات الشخصية للحجاب، أن أهم نتيجة ارتبطت بالسمات الشخصية للفتاة هي أن غير المحجبات أكثر قلقًا من الفتيات المحجبات، أي أن فئة غير المحجبات أكثر انفعالية وتوترًا وإحساسًا بالقلق، وأنهن أقل اتزانًا وجدانيًا من فئة المحجبات.

وتفسر الباحثة، واسمها آمال حسن، هذه النتيجة، بأن التقرب والتوجه إلى الله يحقق للفرد نوعًا من التوافق والارتياح الداخلي أو النفسي. كما أن الالتزام بالأخلاق الدينية يسهم في تحقيق خير وسعادة الشخص ويضفي على الشخصية نوعًا من الاتزان.

وتوضح الدراسة أن من أهم السمات الاجتماعية للفتيات المحجبات أنهن أكثر تمسكًا واهتمامًا بالنواحي والقيم الدينية من غير المحجبات.

وتشير الدراسة إلى أن الفتيات غير المحجبات يسعين وراء الاستثارة التي تحقق لهن الاستمتاع بالحياة، مما يدفعهن إلى الكذب الذي هو نوع من المجاراة أو التشكيل الاجتماعي. وفي الوقت نفسه يحاولن أن يظهرن متمسكات بالقيم والتعاليم لإقناع أنفسهن ـ قبل الآخرين ـ بذلك، مما يزيد حدة الصراع الداخلي الناشئ بين رغباتهن الدنيوية.. وبين إحساسهن بالذنب والتقصير.

وتنهي الباحثة دراستها مؤكدة أن الفتاة المحجبة متميزة عن قرينتها غير

المحجبة باتساقها مع نفسها، وهدوئها النفسي، ووعيها الكامل بأهداف الحياة، وتحديد أولويات هذه الأهداف لخدمة المجتمع الذي تعيش فيه.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحثة حصلت على درجة الامتياز على رسالتها التي تقدمت بها إلى كلية الآداب بجامعة عين شمس في القاهرة، وكانت قد أجرتها على مائتين وخمسين طالبة محجبة وغير محجبة تم اختيارهن من سبع كليات مختلفة.

❁ ❁ ❁

من يسبق من؟!

قبل خمس سنوات أصدر البرلمان الاتحادي في «بيرن» في سويسرا تعديلات على قانون الزواج الذي كان قد مضى عليه ستة وسبعون عامًا، وذلك بأغلبية ٧٣ صوتًا مقابل ٢٧.

أعطى القانون الجديد المرأة الحق في الاحتفاظ باسمها الأصلي بدلا من الانتساب إلى زوجها، وأعطاها الحق مع الرجل، في اختيار بيت الزوجية، بعد أن كان هذا الاختيار من حق الرجل وحده. وأعطى لكلا الزوجين الحق في أن يعرف كل منهما الدخل الحقيقي للطرف الآخر. ومثل هذه الحقوق الجديدة مازالت غير موجودة في بريطانيا أو ألمانيا الغربية.

في الثمانينيات من القرن العشرين تحصل المرأة السويسرية على حق الاحتفاظ باسمها بعد أن كانت تنسب إلى زوجها، أي أنها كانت تحتفظ باسمها الأول فقط بينما تتخلى عن لقب أبيها وأسرتها لتحمل لقب زوجها، فإذا كان اسمها قبل الزواج «ماري اسبنسر» واسم زوجها «جان روكار» مثلا، فإنها تصبح بعد الزواج «ماري روكار».

وإذا كانت المرأة السويسرية قد تحررت من هذا وأصبح من حقها الاحتفاظ باسمها الكامل بعد زواجها، فإن المرأة البريطانية والألمانية ما زالت خاضعة لهذا.. بحكم القانون..

أما المرأة المسلمة، فلها حق الاحتفاظ باسمها بعد زواجها منذ بزوغ الإسلام، فهي تسبق غيرها من الأوروبيات والأمريكيات بمئات السنين.

وإذا توقفنا قليلاً عند الحق الثاني الذي حصلت عليه المرأة السويسرية وهو حق مشاركة الرجل في اختيار بيت الزوجية، ونظرنا في مجتمعاتنا المسلمة، وجدنا أن المسلمة لا تشارك في اختيار بيت الزوجية فحسب، بل كثيراً ما تختاره هي بنفسها ويترك لها زوجها اختيار ما تحب.

أما «الحق الثالث» الذي أعطاه القانون السويسري للمرأة فالمسلمة تتمتع بما هو أفضل منه بكثير، فزوجها أو أبوها أو أخوها أو ابنها.. مُلزم بالإنفاق عليها.. حتى ولو كانت تملك ما تملك.. وليس له أن يسألها مالها.. إلا بطيب نفسها..

من يسبق من؟ أليست المسلمة تسبق غيرها وتفضلها؟

❁ ❁ ❁

هل يدعون إليها.. ونحن نهجرها؟!

أعلن رئيس وزراء سنغافورة «لي كوان يو» أن شباب بلاده الذين ترتفع فيهم نسبة المتعلمين عازفون عن الرغبة في الزواج بسبب طموح الكثيرين منهم في البحث لا عن الزوجة المناسبة بقدر العثور على نموذج للحسناء المثالية (!).

ويحذر رئيس الوزراء مواطني بلاده من الشباب من مغبة السعي وراء الكمال في العلاقات الاجتماعية التي يندر توفرها عادة، ويطالبهم بتخفيف شروطهم وقبول شريكة الحياة التي تتوفر لديها الرغبة في بناء الأسرة، والرضا بمن حصلت على قدر معقول من التعليم.. بدلاً من أوهام العثور على الحسناوات حاملات الدرجات العلمية العالية.

من جهة أخرى دعا وزير الصحة السنغافوري الأزواج إلى زيادة إنجاب الأطفال باعتباره هدفًا قوميًا تعمل الحكومة على تحقيقه.. من أجل إحداث تغيير في ثبات معدلات السكان منذ عدة سنوات.

يأتي هذان التصريحان من الوزيرين السنغافوريين في الوقت الذي تعرب فيه المصادر السنغافورية عن قلقها من تفشي ظاهرة إقبال المتعلمين على بناء علاقاتهم الاجتماعية خارج رباط الزواج الشرعي.. والإحجام لسنوات طويلة عن إنجاب الأطفال.

وبدأ المسؤولون التنفيذيون عن السياسات السكانية في سنغافورة في الآونة الأخيرة القيام بحملات شعبية مكثفة ترفع شعارات الحث على الزواج

والإنجاب المبكر لعدد من الأطفال (٣ أو ٤ على قدر الإمكان) وبمعدلات لا تقل عن ٥٠ ألف طفل كل عام.

هل تأملت في الكلام السابق الذي اقتطعته لك من خبر طويل نقلته وكالة الصحافة الفرنسية؟ إنهم يدعون إلى المبادىء الإسلامية وهم لا يشعرون.

- الحث على كثرة الإنجاب.

- الحث على عدم الاشتراطات الكثيرة في مواصفات الزوجة.

- الحث على الزواج وجعله الرابطة الأساسية بدلاً من العلاقات غير الشرعية.

إنهم يدعون إلى مبادئنا وقيمنا.. فما أقبح أن يطبقوها هم.. وننصرف نحن عنها؟!

❊ ❊ ❊

موقف خالد لأم حبيبة رضي الله عنها

حين نقض حلفاء قريش «بنو بكر» صلح الحديبية، جاء أحد «بني خزاعة» حلفاء النبي ﷺ مستجيراً به فوعده خيراً وطمأنه.

وأدرك أبو سفيان زعيم قريش مغبة الأمر، فجهز نفسه وقصد إلى المدينة المنورة ليثبت مع رسول الله ﷺ عقد الصلح ويمدده.. فلما انتهى إلى المدينة دخل على ابنته «أم حبيبة» زوج النبي عليه الصلاة والسلام يوسّطها لدى رسول الله ثم أراد أن يجلس على فراش النبي ﷺ، فطوته عنه، فقال لها:

يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟

فأجابت قائلة: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ.

فقال لها: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر.

فقالت: بل هداني الله للإسلام. فأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يغيب عنك الدخول في الإسلام، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر!

هذا الموقف الخالد من أم المؤمنين أم حبيبة «رملة بنت أبي سفيان» ـ رضي الله عنها ـ يذكرك أختي المسلمة بما يلي:

١ ـ امتلكت أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ تصوراً إسلامياً سديداً لطهارة الإيمان ونجاسة الشرك، فحالت دون جلوس أبيها المشرك «والشرك نجس»

على فراش رسول الله ﷺ، الطاهر.

٢ ـ على الرغم من هذا فإنها ـ رضي الله عنها ـ لم تغلق الباب في وجه أبيها، واستقبلته، لكنها لم تفوّت الفرصة ولم تنس دعوة أبيها إلى الإسلام، مذكرة إيّاه بسيادته لقريش.. والشأن ألا يسود قريش إلا عاقل حكيم، فكيف يغيب عن العاقل الحكيم دخوله في الإسلام ويستمر في عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر؟!

٣ ـ لقد أكدت ـ رضي الله عنها ـ عزة إيمانها وانتماءها إلى الإسلام قبل انتمائها النسبي إلى أبيها، فكانت نعم المسلمة المؤمنة الحكيمة. رضي الله عنها وأرضاها.

أيها الآباء.. كيف ترغمونهن؟!

«عن خنساء بنت خدام أن أباها زوّجها وهي ثيّب، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها» أخرجه الجماعة إلا مسلمًا.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن جارية بكرًا أتت رسول الله ﷺ فذكرت له أن أباها زوّجها وهي كارهة.. فخيّرها النبي ﷺ. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارقطني.

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء». رواه ابن ماجه ورجاله رجال الصحيح.

أحاديث واضحة المعاني، ظاهرة الدلالات، على أنه ليس للآباء أن يرغموا بناتهم على الزواج ممن لا يرغبن فيهم، وأنه لا بد من استشارتهن وأخذ موافقتهن.

للآباء والأمهات أن يرشحوا لبناتهم الخاطبين، ويزكوهم لهن، ويبينوا ما فيهم من صفات حسنة أو صفات غير حسنة، ولكن ليس لهم أن يختاروا لهن ثم يرغموهن على الزواج منهم إذا رفضن.

والمحزن حقًا، أن بعض الآباء المحافظين يفعلون هذا باسم الدين والدين مما يفعلون براء.

فاعرفي، أختي المسلمة حقك هذا، ولكن احرصي على ألا تختاري بقلبك فقط. . بل أشركي عقلك معك في الاختيار.

* * *

الاغتصاب
الثمرة المرة لخروج المرأة

حين هاجم الداعون إلى التحرر «بل التحلل» خلق العفة، قالوا: إنها - أي العفة - تسبب الكبت، والكبت يسبب العقد النفسية.

وحين يحاربون هذا الكبت، لينقذوا المجتمع منه، دفعوا المرأة إلى الخروج من بيتها سافرة، بزينتها، ودعوا إلى الاختلاط، وقالوا: إن الاختلاط يجعل الأمور عادية، فلا ينظر الرجل إلى المرأة نظرة شهوة، فهي معه في كل مكان، في الشارع والعمل، وسيارة المواصلات العامة.

وصدّق من صدّق، فبعد أن كان من يدعو إلى هذا واحدًا أو اثنين، صاروا خمسة وستة، ثم صارت لهم مجلات وصحف وجمعيات، تحمل دعوتهم وتروّج لها.

وتصدى لهم أهلُ الصلاح والتقوى، من الشيوخ والعلماء، حذروا من مغبة هذه الدعوات، وذكّروهم بأنها تخالف شرع الله، وكل ما خالف شرع الله فهو باطل... ولا يأتي بخير.

ومضى أهل الباطل في دعواتهم الفاسدة، يمدهم شياطين الإنس والجن، يمدونهم بما يعينهم على ما مضوا فيه، وذهبوا إليه، حتى مكَّنوهم مما أرادوا..

وكان ما كان من نتائج مفزعة، أيقظت من كان غافلاً، ونبهت من كان

سادرًا، فبدأت دعوات الخير تقوى، وأصوات الحق ترتفع، وعادت ملايين المسلمات إلى دينهن، وحجابهن، قبل فوات الأوان. والصحوة الإسلامية ماضية إن شاء الله، حتى يقوم المجتمع الإسلامي كما أراده الله.

ونريد هنا، أن نبين لدعاة الباطل أي كارثة كانوا يسوقون إليها مجتمعاتنا، وأي غابيّة رهيبة كانت ستؤول إليها.. لولا لطف الله وعنايته. سنحيلهم إلى المجتمع الغربي الذي انطلقت، أول ما انطلقت، دعواتهم فيه، فمنه صدرت نظريات فرويد في ردّ كل شيء إلى الجنس، والكبت الجنسي، ومنه - من الغرب - انطلقت دعوات الحرية الجنسية، والاختلاط، والتحلل.. فهل نجحوا في تهذيب المشاعر، وتلطيف الغريزة الجنسية، كما كانوا يزعمون؟!

الاختلاط عندهم في المدارس والجامعات، في المؤسسات والشركات، في المحال والمنتديات. والمرأة عندهم تخرج كما تشاء، وتلبس ما تشاء، تستر ما تشاء وتكشف ما تشاء. والقانون لا يحاسبها إذا زنت ما دامت راضية، كما لا يحاسب الشاب كذلك. أليس هذا ما أرادوه؟

حسن. النتيجة التي أرادوها لهذا، وهي تلطيف المشاعر الجنسية، لم تتحقق! بل العكس، اكتسبت طبيعة حيوانية بشعة في صورة: الاغتصاب.

في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من نصف مليون عملية اغتصاب سنويًا. وفي مدينة لوس أنجلوس التي أصبحت تشتهر بأنها «عاصمة حوادث الاغتصاب في العالم» تشير الإحصائيات إلى أن واحدة من كل ثلاث فتيات في سن ١٤ عامًا معرضة للاغتصاب في تلك المدينة. وفي عام واحد أدخل إلى غرف الطوارئ، في مستشفيات المدينة، ٣٦٤٦ ضحية اغتصاب. أي

عشر حوادث اغتصاب كل يوم في مدينة واحدة!

لقد بلغت الحالة ذروتها من السوء إلى حد دفع بحاكم ولاية كاليفورنيا أن يعلن في حديث تلفزيوني حربًا لمدة عشر سنوات بكلفة خمسة مليارات دولار لمكافحة الجريمة.

وقال: «إن مستوى الخوف، ودرجة العنف البشعة ضد الصغار والكبار على حد سواء، أوجدت جوًا من شأنه تقويض حقنا الأساسي في أن نكون أحرارًا في مجتمعنا».

وتأملوا عبارته الأخيرة: «أن نكون أحرارًا في مجتمعنا»، فهذا هو المفهوم الحقيقي للحرية، فحين تكون آمنًا فأنت على قدر كبير من الحرية، أما حين تكون زوجتي مهددة، وابنتي مهددة، وأختي مهددة بالاغتصاب، فأي حرية هذه؟!!

ولننتقل إلى أوروبا، لنقرأ في ملفات الأمن عن بعض حوادث الاغتصاب، إنهم يقولون: إن مرتكبي جرائم الاغتصاب كثيرًا ما يكونون أناسًا عاديين، سنحت لهم الفرصة فلجأوا إلى الاغتصاب أي إنهم لم يكونوا ليغتصبوا لو لم تكن المرأة قريبة منهم.

وأقرأوا هذه الأمثلة كما يوردها تقرير من البوليس الفرنسي:

«... المغتصبون ليسوا دائمًا من الشاذين أو المتخلفين عقليًا، ومن هنا يزداد حجم الرعب في أوساط النساء من كل الأعمار، حتى أولئك اللواتي تجاوزن سن الأربعين. وتزداد معه حيرة علماء النفس وعلماء الاجتماع أو خبراء الجريمة خصوصًا

وهم يأخذون ـ كعينة ـ ذلك المواطن في مدينة غرينوبل «٣٧ سنة» فهو أب لتسعة أولاد، ومع ذلك اشتهر في سجلات البوليس كمدمن على الاغتصاب فقد ارتكب في عام ١٩٦٧م أربعين حادث اغتصاب منها أربعة حوادث في يوم واحد.

وهناك المواطن الفرنسي بول. ك مثلاً، يعمل صرافًا في باريس، ولا يمارس أي عمل من أعمال العنف، ومع ذلك فقد وقف بسيارته أمام محطة سكة الحديد في «ليون» عندما عثر على مسافرة أضاعت العنوان الذي تريد الذهاب إليه، فعرض عليها المساعدة وأخذها في سيارته، ثم كان هناك حادث اغتصاب دون مبرر.

وهناك جان د. الذي اعتدى على أربع فتيات منهن قاصرتان في عمق إحدى الغابات قرب مدينة مونيليه.

وجميع المغتصبين أناس عاديون لا يشكون أي مرض، ومع ذلك استطابوا الجنس القهري، وكأنه أصبح موضة العصر.

ترى هل هم كثيرو العدد أولئك المجرمون بالمغامرة؟

تجيب «كوليت دومار غريبة» المحامية المتخصصة في جرائم الاغتصاب بقولها: «لم يعد هناك حالات استثنائية. . إن الأمر يكاد يكون موجة واسعة الانتشار».

والبوليس الفرنسي يلاحق آلافًا من مرتكبي جرائم الاغتصاب كل عام، ولكنه لا يلقي القبض في النهاية إلا على نسبة ضئيلة، كذلك فإن ثماني فتيات من كل عشر فتيات يرفضن الادعاء على المغتصب. وهناك تقرير مبدئي

يقول: إن عدد النساء المغتصبات في فرنسا كل عام أكثر من مائة ألف امرأة.

وهناك أزمة غطاء أمني إزاء ترويع النساء وخطفهن والاعتداء عليهن. فقد تقدمت الفتاة الباريسية «سيلفي» إلى قسم البوليس في المنطقة السابعة من باريس بشكوى ضد مجهول اعتدى عليها بقوة السلاح، وبدلاً من أن يقول لها المفوض: اعطينا أوصافه ودعي الأمر لنا، إذا به يواجهها قائلاً: أنت السابعة منذ الصباح.. فتشي بنفسك عن مهاجمك.. وعندئذ نتدخل!!!

هذا هو الاغتصاب في الغرب.. إحدى الثمار الفجة المرة.. لخروج المرأة من بيتها، سافرة متبرجة، يراها كل الرجال.

فأين مزاعم الزاعمين بأن الاختلاط يخفف من حدة الغرائز الجنسية، أين دعاوى المدعين بأن خروج المرأة من بيتها يهذب الشهوات الجنسية..؟!

❁ ❁ ❁

وجه من وجوه الإكرام

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «**هل نظرت إليها فإن في عيون الأنصار شيئًا**»؟! قال: قد نظرت إليها، وقال: «**على كم تزوجتها؟**» قال: على أربع أواق، فقال له النبي ﷺ: «**على أربع أواق؟! كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل! ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه**»، قال: فبعث بعثًا إلى بني عبس، بعث ذلك الرجل فيهم. رواه مسلم.

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج**». رواه مسلم.

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ في الذي يعتق جاريته ثم يتزوجها: «**له أجران**». رواه مسلم.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار. والشغار أن يزوّج الرجل ابنته على أن يزوجه ابنته. وليس بينهما صداق. رواه مسلم.

وعن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر فيها وصوّبه، ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه. فلما

رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله، إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها. فقال: «**فهل عندك من شيء؟**» فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «**انظر ولو خاتمًا من حديد**»، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزاري (قال سهل: ماله رداء)، فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ «**ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته(أنت) لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته (هي) لم يكن عليك منه شيء!**». فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله ﷺ موليًا، فأمر به فدُعي له، فلما جاء قال: «**ماذا معك من القرآن؟**» قال: معي سورة كذا وسورة كذا (عدَّدها) فقال: «**تقرأهن عن ظهر قلب**»؟ قال: نعم. قال: «**فاذهب فقد ملّكتُكها بما معك من القرآن**». رواه مسلم.

تلاحظين أختي المسلمة، في هذه الأحاديث الصحيحة، تكريمًا للمرأة أوجبه الإسلام لها، وأعني «المهر» أو «الصداق» **ففي الحديث الأول**، على الرغم من استكثار النبي ﷺ للمهر الذي تزوج به الرجل امرأة من الأنصار، فإنه لم ينقصه، ولو كان عنده لأعطاه، وحين جاءت فرصة بَعْثٍ إلى بني عبس جعل رسول الله ﷺ الرجل معهم ليصيب منه من المال ما يسد به الصداق.

ويجعل النبي ﷺ الصداق في مقدمة ما يجب الوفاء به، قبل كثير من العقود والشروط، وفي هذا أيضًا تأكيد لحق المرأة في الصداق، وتحذير من أكله بغير حق: «**إن أحق الشروط أن يُوفى به ما استحللتم به الفروج**».

ويعدُ ﷺ **بأجرين لمن أعتق جارية وتزوجها**، وإنما الأجران لأنه أكرم

المرأة مرتين، مرة حين حررها من الرقّ، ومرة حين تزوجها، والزواج لا يكون إلا بمهر، وفي هذين العملين - عتقها والزواج منها - إكرام عظيم للمرأة؛ لأن الرجل ينال منها وهي زوجة ما كان يناله منها وهي جارية.

وفي الحديث الرابع ينهى ﷺ عن نوع من الزواج؛ لأن فيه بخسًا لحق المرأة في الصداق، وهو زواج الشغار، وهو أن يقوم رجل بتزويج ابنته - أو أخته - رجلاً آخر، شريطة أن يزوجه الرجل الآخر ابنته أو أخته، بدون صداق للبنتين.

ثم في الحديث الخامس لا يُزوّج النبي ﷺ الصحابي حتى يحضر صداقًا، وعلى الرغم من فقره الشديد، حتى إنه لم يظفر حتى بخاتم من حديد، فإن النبي ﷺ لم يزوّجه، ثم لما قام الصحابي موليًا ناداه ﷺ وزوّجه على سور يحفظها من القرآن الكريم.

وفي هذا كله تأكيد على حق المرأة في الصداق، الصداق الذي يحمل معاني الإكرام للمرأة.

يقول عبد الرحمن راضي في (الأسرار الإلهية في الأحكام الشرعية):

«. . . إن مقاصد النكاح لا تتحقق إلا بالدوام عليه، والدوام لا يكون إلا ببذل المال فيه ودفع ثمن ما تملكه من بضعها، فإنه قد يقع الشقاق بين الزوجين، ويتلبس الزوج بعوامل الوحشية والخشونة مدفوعًا بها إلى الطلاق، فلو لم يجب المهر لا يبالي الزوج بإزالة هذا الملك، ولا يشقّ عليه طلاقها، فتضيع المقاصد. وأيضًا في ابتغاء الزوجة بالمال تشريفًا لشأن البضع يجعلها عزيزة مكرمة عند الزوج. . ولا تحصل الموافقة إلا بذلك».

والمهر ملك المرأة تتصرف فيه كيف شاءت، بلا أمر زوجها مطلقًا، وبلا

إذن أبيها، فيجوز لها بيعه، أو رهنه وإجارته وهبته بلا عوض من زوجها ومن والديها ومن غيرهم.

ولا تجبر المرأة على فوات شيء من مهرها لا لزوجها ولا لأحد من أوليائها ولا لوالديها. وإذا ماتت قبل أن تستوفي جميع مهرها فلورثتها مطالبة زوجها أو ورثته بما يكون باقيًا بذمته من مهرها بعد إسقاط نصيب الزوج الآيل له من إرثها.. إن عُلم موتها قبله.

رسالة إلى أختنا الحبيبة

طلبت مني أخوات في إحدى اللجان النسائية توجيه رسالة على لسانهن إلى الفتاة السافرة، فكانت هذه الرسالة.

أختنا الغالية:

كما أحببناك في الله، وأحببنا لك الخير، وأحببنا لك النجاة، وأحببنا لك الطمأنينة في النفس والقلب والوجدان.

أليس مصداق الحب أن يريد المحب الخير لحبيبه؛ أن يظفر بما ظفر به، وينال ما ناله، ويكسب ما كسبه؟!

لماذا نريدك أن تتحجبي مثلنا؟ أمن أجل مالٍ سنأخذه منك؟ أم من أجل شكر نريده أن يصدر عنك؟

والجواب طبعاً لا. لا نريد جزاء ولا شكوراً. إنما نريد لك الخير الذي أتانا من الحجاب في الدنيا. وفي الخير الأكبر الذي سيأتينا من الله تعالى في الآخرة.

نريد لك خير الدنيا المتمثل في أشياء كثيرة: راحة نفسية عظيمة بدل القلق الذي يشيع في نفس السافرة، واحترام الناس لنا.. بدل معاكسات الشباب المستهتر، وتميز إيماني يشعرنا بالعزة.. بدل تقليد يمحو كل عزة وكرامة.

ونريد لك خير الآخرة الكبير.. جنة عرضها السموات والأرض.. فيها

ما لا عين رأت . . ولا أذن سمعت . . ولا خطر على قلب بشر .

ورضا من الله أكبر . ونظر إلى وجهه الكريم . ونجاة من النار . . نجاة هي أعظم من كل نجاة .

أي والله يا أختاه . . لا نريد لك إلا الخير . . والخير وحده . . ولو كنا نريد لك الشر . . لتركناك تجرين وراء الهوى .

ونريد أن نسألك ـ أختنا الحبيبة ـ : لوترك عزيز عليك طفلاً عندك أمانة . . أما كنت تحفظينه وترعينه وتصونينه؟

وهل أعزّ من الله . . وقد ترك لك أمانة حفظ نفسك ، وستر جسدك ، وحجاب رأسك؟

فهيا يا أختاه . . هيا لتنعمي بما ننعم به . . هيا لتشاركينا في أجر طاعة الله ورسوله . . هيا لتكوني معنا في ركب الصالحات المحجبات . . هيا لنكسب رضا الله . . رضا الله الذي نحفظ به أنفسنا في الدنيا . . وننجو ونفوز في الآخرة .

عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنهما ـ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « **من كانت له حاجة إلى الله تعالى ، أو إلى أحد من بني آدم ، فليتوضأ وليحسن وضوءه ، ثم ليصل ركعتين ، ثم يثني على الله تعالى ، وليصلّ على النبي ، وليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين . اللهم إني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والعصمة من كل ذنب . لا تدع لي في هذه الساعة المباركة ذنبًا إلا غفرته ، ولا همًا إلا فرَجته ،**

ولا كربًا إلا نفَّسته، ولا حاجة هي لك رضًا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين. ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء، فإنه يُقَدّر». أخرجه النسائي والترمذي وابن ماجه.

* * *

حين انتقل راغب إلى قسم المبيعات

كان «راغب» عاملاً فنياً في مصنع ينتج سلعًا رائجة في السوق، وكانت وظيفة راغب هي إعداد المواد الأولية لإنتاج السلعة بمقادير محددة، لا تزيد ولا تنقص، ومراقبة مستوى الإنتاج بقدرة فنية عالية. . لا يتقنها غيره من العمال.

زار راغبًا في بيته مجموعة من رفاقه، قالوا له: أنت مدفون في عملك داخل المصنع، وغيرك من موظفي المبيعات في الواجهة: يستقبلون الزبائن، ويعقدون معهم الصفقات، ويروجون منتجات المصنع. . مع أنك أقدر منهم على التسويق والبيع. . فأنت تعرف قيمة السلعة ومواصفاتها أكثر منهم.

اقتنع راغب بكلام الرفاق، وتقدم في اليوم التالي بطلب إلى مدير المصنع يطلب فيه السماح له بمشاركة موظفي المبيعات أعمالهم في البيع والتسويق والترويج.

حاول مدير المصنع أن يثني راغبًا ويقنعه بأن عمله الفني أهم وأجدى من عمل موظفي المبيعات؛ لكنه لم يقتنع وهدد بالاستقالة إن لم يُستجب لرغبته.

بدأ راغب يشارك زملاءه في التسويق والبيع، وصار غيابه عن عمله الفني في مراقبة مستوى الإنتاج. . يزداد يوماً بعد آخر. ومع ازدياد بعده عن عمله الفني. . تناقصت جودة إنتاج السلعة. . ومع تناقص جودة السلعة. . تراجعت مبيعاتها. ونتج عن تراجع المبيعات انخفاض الأرباح. . ثم: تحقيق

الخسائر!

أختي الفاضلة:

ما حدث في هذا المصنع نتيجة غياب راغب عن عمله الفني فيه.. بضعة ساعات في اليوم.. يشبه كثيراً ما حدث في مصنع الحياة - أعني المجتمع - حين صارت المرأة تخرج لتشارك الرجل عمله.. غائبة عن عملها «الفني» الهام داخل البيت.

وقسم المبيعات الذي أغرى راغبًا بترك عمله الفني.. يقابل العمل خارج البيت.. الذي أغرى المرأة أيضًا بترك بيتها.. ظنّاً منها أن عمل الرجل أهم من عملها في مراقبة الأطفال ورعايتهم.

وكما أثّر غياب راغب عن مراقبة جودة السلعة ومستواها.. أثر غياب المرأة عن أولادها على صحتهم النفسية والعقلية.. فبدأت تخرج إلى المجتمع أجيال يكثر فيها المعوقون عاطفيّاً، والمنحرفون، والمرضى النفسيون، وغير المؤهلين.. بل والمجرمون.

ومثلما صار المصنع يخسر.. صار المجتمع يخسر.. يخسر هؤلاء الشباب الذين كانت تُعقد عليهم الآمال العراض.. والأماني الكبار.. يخسر حين صار ينفق الملايين على الأمراض البدنية الناتجة عن الانحراف.. والأمراض النفسية الناتجة عن الإعاقة العاطفية.. والأمراض الاجتماعية التي تسبب جرائم خطيرة.

وإذا كانت الخسارة في المصنع قد أصابت كل العاملين فيه، بعد أن كان الربح يشملهم جميعاً، بسبب غياب راغب عن عمله المهم.. فكذلك

الخسارة في مجتمع الحياة.. ستصيب كل أفراده.. خسارة مليارات تنفق على المستشفيات والسجون ورعاية الأحداث.. و.. و.. وكان يمكن أن تنفق على رفاهيتهم، وتحسين مستواهم المعيشي!

هل تقنع المرأة بضرورة عودتها إلى بيتها.. كما اقتنع راغب بضرورة عودته إلى عمله الفني؟!

❁ ❁ ❁

اغتصاب.. اغتصاب!

قالت منظمة العفو الدولية: إن جنوداً ورجال شرطة في جميع أنحاء العالم يلجأون بانتظام إلى استخدام الاغتصاب والتعديات الجنسية لتخويف النساء في حين تغض الحكومات الطرف عن ذلك.

وقالت منظمة حقوق الإنسان في تقرير جديد: «العديد من الحكومات يصر على رفض اعتبار الاغتصاب انتهاكاً خطيراً لحقوق الإنسان».

ودعت المنظمة الحكومات إلى وضع حد لهذه الممارسات قائلة: «نادراً ما تجري تحقيقات مستفيضة، والجناة القلائل الذين يتعرضون لإجراءات تأديبية أو المحاكمة لا يلقون عادة أكثر من مجرد توبيخ ومعظمهم يعرف أنه يستطيع الإفلات دونما عقاب».

وعددت المنظمة حالات نساء تعرضن لتعديات جنسية من جانب جنود ورجال شرطة وضباط سجون في العديد من الدول من إيرلندا الشمالية وحتى الفلبين وأمريكا الجنوبية.

وفي إحدى تلك الحالات في كشمير بالهند تعرضت عروس صغيرة السن، وخالتها الحامل في أشهرها الأخيرة، للاغتصاب الجماعي من جانب رجال شرطة عند حاجز على الطريق بعد أن أوقفوا الحافلة التي كانت تقل موكب العرس.

وقالت منظمة العفو الدولية: إن أربعة جنود أوقفوا عن العمل ولكن لم يتخذ أي إجراء تأديبي أو قضائي آخر ضدهم فيما يبدو.

وقالت المنظمة: إن التعديات الجنسية على النساء تكون مخيفة أكثر عندما يكون الجناة هم أنفسهم رجال الشرطة أو القوات المسلحة المكلفين بحماية أفراد الشعب.

أولاً: ليت دعاة تحرير المرأة يقرؤون أمثال هذا الخبر ليعملوا على تحرير المرأة من خطر الاغتصاب.. أبشع أذى يلحق بها، بدلاً من سعيهم لتحريرها من البيت والحجاب وعدم الاختلاط.!

بل إن هذه الثلاثة (البيت، والحجاب، وعدم الاختلاط) هي أسوار الحمايةالتي تُبقي خطر الاغتصاب بعيداً عنها.

ثانيًا: علينا أن ننتقل من موقف الدفاع عن مكانة المرأة في الإسلام بالرد على الشبهات التي يثيرها خصوم الإسلام.. إلى موقف الهجوم ـ إذا صح التعبير ـ ببيان شقاوة الحياة التي تعيشها المرأة غير المسلمة.

فهذا الاغتصاب الذي يهدد أمن المرأة، وكرامتها، وإنسانيتها.. هو ثمرة من الثمار الفجة.. لخروجها من بيتها متبرجة، مختلطة بالرجال، متفلتة من القيم.

ثالثًا: هذا الخبر شهادة للعقوبات الإسلامية التي يراها أعداء الإسلام قاسية شديدة.. ولا يرون قساوة وبشاعة الجرم الذي هو هنا الاغتصاب.

وظهرت هذه الشهادة في عبارة منظمة العفو الدولية: «والجناة القلائل

الذين يتعرضون لإجراءات تأديبية، أو المحاكمة، لا يلقون عادة أكثر من مجرد توبيخ. ومعظمهم يعرف أنه يستطيع الإفلات دونما عقاب»!

* * *

يا دعاة تحريرها من يحميها؟

قالت الحكومة الفرنسية: إنها قررت التخلي عن قوانين دامت قرنًا من الزمان تحظر عمل النساء ليلاً. وسرعان ما ثارت احتجاجات نقابية.

وقررت فرنسا ذلك التزامًا بمطالب المجموعة الأوروبية لتصبح آخر دولة أوروبية تتخلى عن مثل هذه القيود. وكانت أعلى محكمة في ألمانيا قد تخلت عن قوانين مماثلة ترجع إلى عصر بسمارك الشهر الماضي كما قررت سويسرا في الأسبوع الماضي إسقاط هذا الحظر.

وأسقطت فرنسا هذا الحظر الذي كان يهدف إلى حماية النساء من تعرضهن لاعتداءات في الليل بتخليها عن معاهدة دولية وقعت عام ١٩٤٨م يحظر عمل النساء في منشآت صناعية ليلاً.

وقالت وزارة العمل: إنها ملتزمة بقرار محكمة العدل الأوروبية العام الماضي الذي ذكر أن القوانين الفرنسية تتعارض مع توجيهات المجموعة الأوروبية بشأن المساواة في المعاملة بين الرجال والنساء.. وقد هاجمت بعض النقابات قرار الحكومة الفرنسية.

وقال الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين: «بناء على رغبة الشركات الكبرى والحكومة المتحالفة معها سيعمل الرجال والنساء ليلاً ونهارًا».

وتساءل بقوله: «من سيرعى الآن هؤلاء النساء اللاتي شئن أم أبين

سيقمن بوظيفتين . . وظيفة الأم نهاراً وعاملة في مصنع للمعادن أو الكيماويات والمنسوجات ليلاً»[١] ؟!

أولاً : «توجيهات المجموعة الأوروبية تقضي بالمساواة في المعاملة بين الرجال والنساء» .

هذا ما جاء في الخبر! والمساواة ليست دائمًا في صالح الفريقين اللذين نساوي بينهما ، فإذا كان هناك عبء على فريق . . ثم حمّلت هذا العبء فريقًا آخر ، فإنك بهذه المساواة تظلم الفريق الآخر الذي كان معفيًا من ذاك العبء ومن ثم فإن هذه المساواة ظلم له .

وهكذا المرأة التي كانت محمية بمنعها من العمل ليلاً ، فلما زال هذا المانع . . زالت تلك الحماية .

ولعل هذا ما دفع بعض النقابات إلى الهجوم على قرار الحكومة الفرنسية .

ثانيًا : يؤكد ما ذهبنا إليه تساؤل الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين : «من سيرعى الآن هؤلاء الأمهات اللاتي ـ شئن أم أبين ـ سيبقين بوظيفتين : وظيفة الأم نهاراً . . وعاملة في مصنع للمعادن أو الكيماويات والمنسوجات ليلاً»؟!

أليس قيدًا نكبل به المرأة المسكينة حين نضطرها إلى العمل داخل البيت وخارجه معًا؟! بينما الرجل يعمل خارج البيت فحسب! أليس تحميل المرأة عملين نقضًا للمساواة؟ لأن المساواة الحقيقية أن تعمل المرأة في البيت فقط . .

---

(١) نشر الخبر في جريدة صوت الكويت في ٢٩/ ٢/ ١٩٩٢م .

كما يعمل الرجل خارجه فقط. فاختلاف طبيعة العمل لا ينفي المساواة قدر ما ينفيه تعدده في جانب.. وتفرده في جانب آخر.

ثالثًا: نرجو أن تتأمل المسلمة في مثل هذه الأخبار لتدرك كم يكرمها الإسلام ويحفظها ويحميها حين يعفيها من العمل خارج البيت؛ لأنه - أي الإسلام - يلزم الرجل - أبًا، أم زوجًا، أم أخًا، أم ابنًا - بالإنفاق عليها.

أين الحرية؟

«قالت المدرسة فيرا اندريغا ـ ٢٩ سنة ـ: منذ عام ١٩٨٩م وأنا لا أخرج وحدي أبدًا بعد التاسعة مساء. وحيث إنني أعيش وحدي.. فقد استبدلت بابي الرئيسي وركَّبت قفلين إضافيين».

جاءت هذه الفقرة ضمن تقرير نقلته وكالة أنباء رويتر عن مراسلها نيكولاس أنطونوف في أوديسا بجمهورية أوكرانيا.

والعبر الثلاث التي نخرج بها:

أولاً: أليس لنا أن نسأل أين الحرية التي تتمتع بها المرأة حين تخشى الخروج من منزلها بعد الساعة التاسعة مساء؟

وأين الأمان الذي تشعر به حين تضع قفلين إضافيين على الباب الرئيسي.. بسبب خوفها ممن يقتحم بيتها.. بقصد سرقتها أو الاعتداء عليها؟

ثانيًا: ولنتأمل في عبارتها: «وحيث إنني أعيش وحدي».. فهي تشير إلى نموذج من النساء اللواتي فقدن حماية الأب أو الزوج أو الأخ أو الابن.. فاضطررن إلى العيش بمفردهن.. دون حماية أقرب المقربين إليهن؟! أليس هذا نتيجه التفكك الأسري الذي يزداد انتشاره في المجتمعات الحديثة.. وتساعد عليه القوانين الوضعية البشرية؟!

ثـالـثًا: تُرى.. لو عُرض حال المرأة في الإسلام.. من إلزام الرجل (زوجها، أو أبيها، أو أخيها، أو ابنها، أو حتى عمها وخالها) بالإنفاق عليها وحمايتها.. ماذا كانت تقول:

ليت بعض الصحفيين المسلمين يقومون بمثل هذا الاستطلاع الصحفي.. وسط مجموعة من نساء الغرب اللواتي يأسرنهن الخوف.. وتذلهن الحاجة.. عن آرائهن في وضع المرأة في الإسلام؟

❋ ❋ ❋

هل نلغي المخالفات
على تجاوز الإشارة الحمراء؟

في الكويت، وقبل مدة، جربت إدارة المرور في الكويت آلة تصوير أوتوماتيكية، تركب في أعلى الإشارة، فتلتقط صوراً لأرقام لوحات السيارات التي تتجاوز الإشارة الحمراء.

أحصيت السيارات التي تجاوزت الإشارة الحمراء، بعد انتهاء التجربة فتبين أنها وصلت إلى ١١٢ سيارة في الساعة الواحدة، في الجهات الأربع.

هذا في تقاطع واحد، وعند إشارة واحدة، فلو قدرنا أن في الكويت ثلاثمائة إشارة مرورية، على الأقل، فإن السيارات التي تتجاوز الإشارة الحمراء تتعدى ثلاثًا وثلاثين ألف سيارة في الساعة الواحدة. ولو قدرنا أن الحركة المرورية النشطة لا تقل عن عشر ساعات في اليوم؛ فإن عدد السيارات التي تتجاوز الإشارة الحمراء في الكويت في اليوم الواحد تصل إلى ثلاثمائة وثلاثين ألف سيارة!!

كم عدد الحوادث التي تنتج عن هذا التجاوز للإشارة الحمراء؟ إنها لا تتعدى - في أكثر المعدلات - عشر حوادث في اليوم.

وكم يبلغ عدد الناس الذين يقتلون في هذه الحوادث؟ إنهم لا يتجاوزون ٣٥٠ شخصًا في العام الواحد؟ أي شخصًا واحدًا في اليوم!

والآن . . لنفترض أن كاتباً في صحيفة، طلع علينا ذات صباح وهو يدعو إلى التسامح في تجاوز الإشارة الحمراء، وحجته في دعواه أن ضحية واحدة في اليوم لا توجب عقاب ٣٦٠,٠٠٠ (ثلاثمائة وستين ألف) سائق مخالف!

ولا نحسب أن عاقلاً واحداً يقبل منه هذا المنطق، أو يرضى منه هذه الدعوة إلى التسامح مع المخالفين!

كم تشبه دعوة هذا الكاتب . . دعوات الذين يرون أن حادثة اغتصاب امرأة في اليوم الواحد . . لا توجب منع تبرج النساء، ومنع اختلاطهن بالرجال!!

إذا كان اغتصاب امرأة واحدة في اليوم يوجب علينا سن تشريعات، ويلزم بها جميع النساء، فكيف إذا كان عدد النساء المغتصبات في اليوم الواحد في ألمانيا مائة امرأة، أي امرأة كل ربع ساعة، بينما تقع حادثة اغتصاب كل ست دقائق في الولايات المتحدة، على الرغم من أن المحللين يقولون إن ٩٠ في المئة من حوادث الاغتصاب لا تصل إلى سجلات الشرطة! وعلى هذا فإن العدد يتضاعف ٩ مرات، أي إن تسع نساء يغتصبن كل ست دقائق . . أو ثلاث نساء كل دقيقتين .

ألا تحتاج هذه التجاوزات المرورية، عفواً أعني هذه التجاوزات البشرية إشارات حمراء تمنعها . . وتحول دون وقوعها؟!

أليست هذه الإشارات الحمراء هي ما شرعه الإسلام حين منع المرأة من التبرج والسفور . . والاختلاط بالرجال؟

أليست هذه الإشارات الحمراء الإسلامية هي التي تمنع وقوع حوادث الاغتصاب؟!

فيا دعاة «نحر» المرأة . . لماذا لا تستخدمون عقولكم؟!

❁ ❁ ❁

العودة إلى المدارس النسوية

بعد نحو ثلاثين عامًا من إلغائها؛ تبحث وزارة التعليم في مصر في إمكان إعادة المدارس النسوية التي كانت مؤسسات تعمل على إعداد الأمهات وتزويدهن بالثقافة الأسرية.

وزير التعليم المصري الدكتور حسين كامل بهاء الدين قال خلال اجتماع لجنة التعليم بالحزب الوطني الحاكم: إنه ثبت بالتجربة أهمية هذه النوعية من المدارس التي ألغيت في بداية الستينيات حيث كانت تقوم بتخريج مدرسات للتدبير المنزلي، إضافة إلى تعليم الفتيات فنون الطهي، والتطريز، ورعاية الأطفال.

أولاً: هذا الخبر يحمل شهادة بيّنة على أن المجتمع أحوج إلى ربات يُحسنَّ الطبخ، وينجحن في تربية أطفالهن ورعايتهم، وتوفير سكن مادي ونفسي لأزواجهن، أكثر من حاجته إلى عاملات في مصانع، أو موظفات في مكاتب، أو مهندسات في ورش ومشروعات.

ثانيًا: ثلاثون سنة مضت على إلغاء المدارس النسوية.. كانت كافية لبيان مدى الحاجة إليها، وإلى أمثالها، مما لا يفسح مجالاً أمام من يقول: إن علينا أن ننتظر حتى تخرج أجيال جديدة.. فالسنوات الثلاثون خرجت خلالها أربعة أوخمسة أجيال على الأقل.

ثالثًا: لم تصدر هذه الشهادة عن شيخ أو جماعة.. بل صدرت عن وزير تعليم يقول بنص العبارة: «ثبت بالتجربة أهمية هذه النوعية من المدارس».. ولنضع خطًا تحت كلمة «بالتجربة».. والتجربة - كما يقولون - أكبر برهان.

* * *

مخدرات عاطفية

«أكد خبراءعلم النفس أن قراءة المرأة للقصص العاطفية تؤثر في حياتها العقلية؛ لأن هذه القصص تتحول إلى نوع من الإدمان الذي يجعل المرأة مكتفية بالرابطة العاطفية النظرية، وهي حالة لن تساعد المرأة في حياتها الصحيحة مع الرجل بعد الزواج؛ لأنها ستحلم بالاتحاد العاطفي الذى لا يمكن أن يكون كاملاً في الواقع الجديد».

هذا الخبر الذي نشرته مجلة غربية، ربما يكشف بعض أسباب ارتفاع نسب الطلاق في مجتمعاتنا هذه الأيام، ومعها مجتمعات الغرب أيضًا.

فالفتاة التي تقرأ روايات عاطفية، وتسمع مسلسلات مثلها من الإذاعة، وتشاهدها ممثلة على شاشات التلفزيون، تحلم بأن تعيش أجواءها في حياتها الزوجية المقبلة.. فإذا ما تزوجت، ووجدت أن الزواج أيضًا تبعات، ومسؤوليات، وواجبات نحو الزوج.. وليس كما صورته تلك الروايات والمسلسلات والأفلام.. حسبت المسكينة أنها لم توفق في زواجها.. وأن الصورة الحالمة، الغنية بالمشاعر العاطفية، والتي عاشت طويلاً في خيالها قبل الزواج.. كان يمكن أن تتحقق لو تزوجت غير زوجها الحالي.

وتنشأ هوة بينها وبين زوجها.. وتبدأ هذه الهوة بالاتساع يومًا بعد آخر.. مع كل صحوة على واقع الزواج.. صحوة توقظها من الخدر الذي تنامى وكبر طوال سنوات قراءتها وسماعها ومشاهدتها تلك القصص

والروايات العاطفية.

ومع اتساع هذه الهوة بين الزوجين.. يقترب الطلاق منهما.. يقترب مع تلاشي أوهام بَنَتْها في ذهن الزوجة مسلسلات وأفلام تدخل البيوت كل يوم.. لتصوغ التصورات وتشكل الأفكار.. في عقول الأولاد والبنات.. مع انشغال الآباء والأمهات.

وإذا كنا نمنع مخدرات تشكل خطراً على صحة أبنائنا.. أفلا ينبغي أيضاً أن نمنع مخدرات سمعية وبصرية تشكل خطراً على عقول ونفوس بناتنا؟!

* * *

شهادة جديدة للبيت

«يسعى نواب بريطانيون إلى إقرار مشروع يسمح بازدياد التوليد في البيت . . وإعطاد دور أكبر للقابلات القانونيات» .

«ويرى النواب ، أن التوليد في المستشفى ليس أكثر أماناً من خارجه ، وهم ينتقدون أطباء الأحياء ؛ لأنهم لا يدعمون الولادة في البيوت . كما ينتقدون لجوء الأطباء النسائيين إلى التدخل في عملية الولادة ، بتسريعها أو إعطاء حقن مخدرة ، وهما طريقتان تؤديان إلى مضاعفات حقيقية أحيانًا» .

«من جهة أخرى فإن بريطانيات كثيرات يؤيدن المشروع . . ويفضلن الولادة في البيت . . خصوصًا إذا كان قريبًا من المستشفى ، وهن يُشِرْن إلى حرية الحامل في فعل ما يريحها بدلاً من الخضوع لأوامر الأطباء والممرضات التي لا تُناقَش» .

إيما جونز قالت إن أمّها ولدتها مع شقيقتها في البيت ، وأنها ولدت طفلها الأول في منزلها ، وستكرر التجربة عند ولادة طفلها الثاني ، وذكرت أنها عندما أحست بالأوجاع ، قبل ولادة طفلها ، بقيت في المغطس الدافئ ساعتين ؛ فخفّ ألمها وأحست براحة . . ولم تكن تستطيعُ أن تفعل ذلك لو كانت في المستشفى . . حيث يفعل العاملون فيه ما يريحهم هم ، ويتبعون إجراءات واحدة مع جميع الناس وإن اختلفت أوضاعهن .

كلام واضح لا يحتاج إلى تعليق كثير . كلام يظهر حقيقة الراحة التي

تشعر بها المرأة في بيتها . . أكثر من أي مكان آخر .

لكني، مع هذا، أريد الوقوف عند عبارتين وردتا في الكلام السابق . . لهما دلالتهما البالغة ؛ الأولى جاءت على لسان البريطانيات اللواتي يشرن إلى «حرية الحامل في فعل ما يريحها (في البيت) بدلاً من الخضوع لأوامر الأطباء والممرضات التي لا تناقش».

العبارة الثانية وردت على لسان إيما جونز التي قالت: إن من في المستشفى «يفعلون فيه ما يريحهم هم».

العبارتان تشيران إلى أن حرية المرأة الحقيقية هي في بيتها، مملكتها التي تشعر فيها بالراحة، والطمأنينة، والرضا، والأمان.

إنها شهادة جديدة للبيت الذي دعا الله المرأة إلى القرار فيه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولن تشعر أي امرأة بسعادة الاستقرار وراحته . . إلا في البيت .

❁ ❁ ❁

مئات المليارات يأخذها الإيدز من الاقتصاد العالمي

أفادت دراسة نشرتها مجلة «يو اس نيوز اند وورلد ريبورت» الأمريكية أن الإيدز قد يكلف الاقتصاد العالمي بين ٣٥٦ و٥١٤ مليار دولار من الآن وحتى العام ألفين.

وجاء في الدراسة التي قام بها خبير اقتصادى من مؤسسة «دي ار أي/ مك غرو هيل» استناداً إلى إحصائيات منظمة الصحة العالمية أن الكلفة بالنسبة للولايات المتحدة بين ٨١ مليار دولار و١٠٧ مليارات أي حوالي واحد بالمائة من ناتجها الوطني الخام.

أولاً: هذا الخبر يؤكد أن الصلة وثيقة بين الأخلاق والتنمية، فالإيدز مرض ينتشر في أكثر من ٩٠ في المائة من حالاته عن طريق الاتصال الجنسي الطبيعي أو الشاذ، وعن طريق تعاطي المخدرات بحقن ملوثة بالإيدز.

أليست المجتمعات المتمسكة بالأخلاق.. هي المحصنة ضد انتشار الإيدز؟ وأليست المجتمعات الإباحية هي التي ينتشر فيها الإيدز انتشار النار في الهشيم؟ ومن ثم، ألا ترون كيف أن الأخلاق توفر مليارات الدولارات؟

ثانيًا: قالت الدراسة المشار إليها في الخبر: «إن الإيدزقد يكلف الاقتصاد العالمي بين ٣٥٦ و٥١٤ مليار دولار من الآن وحتى العام ألفين».

ومتوسط الرقمين: ٤٣٥ مليار دولار! نعم ٤٣٥ ألف مليون دولار

سينفقها العالم وربما أكثر على هذا المرض. وهي خسارة ليست قليلة، وليست محسوبة فيها خسارة ملايين الناس الذين سيموتون، ولنا أن نتصور ماذا يمكن لهذه المليارات أن تفعله فيما لو أنفقت على الزراعة، أو على رعاية الأطفال، أو على مشروعات إنسانية أخرى!

ثالثًا: لعل هذا الخبر يجيب عن تساؤل بعضهم: كيف يمكن للمسلمين أن يلحقوا بركب العالم المتقدم؟

فإذا تمسك المسلمون بدينهم في الوقت الذى تفتك فيه الأمراض والعلل البدنية والنفسية والاجتماعية بالآخرين، فإنهم سيتقدمون عليهم، لا بل يصبحون هم الأطباء الذين يحملون العلاج الشافي لكل هاتيك العلل والأمراض القاتلة.

* * *

حتى لا يظلمها.. ويظلمنا معها!

انتهت الانتخابات الأمريكية التي شغلت الناس في العالم زمنًا ليس قصيرًا. ولا أريد الوقوف هنا عند نزاهة هذه الانتخابات، أو ما أنفق على الحملات الإعلامية فيها، أو حول نتائجها.. أو غير هذا وذاك وذلك. أريد الوقوف عند «المرأة الأمريكية في الانتخابات الأمريكية» لأسجل الملاحظات التالية:

١ ـ منذ أن كانت هناك انتخابات أمريكية، أي منذ عشرات السنين، هل سمعتم أو قرأتم، أو علمتم أن هناك امرأة رشحت نفسها لتلك الانتخابات؟

لماذا لم ترشح أي أمريكية نفسها لانتخابات الرئاسة على الرغم من أن القانون لا يمنعها! وعدد النساء الأمريكيات لا يقل عن عدد الرجال الأمريكيين إن لم يزد عليه! والأمريكية متعلمة، ومتحررة (بمفهومهم)، ومختلطة بالرجال، وتعمل في أعمالهم!!

٢ ـ جميع المرشحين الأمريكيين الذين فازوا في انتخابات الرئاسة وأصبحوا رؤساء للولايات المتحدة ـ منذ أن كانت هناك انتخابات الرئاسة في أميركا ـ لم يغيّر أحد منهم مهنة زوجته.. لم يجعلها نائبة للرئيس.. أو وزيرة.. أو يسند إليها أي منصب سياسي لم تكن تتقلده من قبل.. بل كان كل منهم يفخر بأن زوجته ربة بيت قديرة.. وأم لأولاده ماهرة.

فلماذا نسمع في بلادنا من يعيب أن تكون المرأة ربة بيت، ويرى التأخر

في أن تكون الزوجة متفرغة لتربية أولادها، ويردّ كل بطء في التنمية إلى قعود المرأة في بيتها؟!!

هؤلاء هم رؤساء أكبر دولة، و«زعيمة العالم» كما يصفها بعضهم، لا يتحرجون - إن لم يكونوا يفخرون - من أن زوجاتهم ربات بيوت!!

٣ - في مقدمة ما كان يصطاده كل مرشح لمنافسيه في انتخابات الرئاسة: ماضيه غير الخلقي مع النساء. فهذا مرشح يُتَّهم بأنه كان قد تحرش بزميلة له منذ عشرين عامًا، وذاك كان على علاقة مع سكرتيرته حين كان مديرًا للشركة الفلانية.. وثالث..

إنهم إذن يحترمون الأسرة، ويحرصون عليها، ويرفضون الخيانة الزوجية، ويستهجنون «قلة الأدب» مع النساء، ومغازلتهن، والتحرش بهن.

لماذا إذن يثور بعض من بني جلدتنا على مسلم غيور؟!

❁ ❁ ❁

من يخرجهن من وحدتهن؟

عشرة ملايين ومئةُ ألف امرأة فرنسية تعيش وحيدة. خمسةُ ملايين و٨٠٠ألف منهن بدون زواج. ثلاثة ملايين و٢٠٠ ألف أرملة. مليون ومائة ألف مطلقة.

أرقام أخرى، قد تبدو بعيدة الصلة بالأرقام السابقة: مئة وستون مليون علبة حبوب منومة باعتها الصيدليات الفرنسية في عام واحد.

لكن الأرقام الأولى والأرقام الثانية تعني، فيما تعنيه، أن النساء الفرنسيات يشكين وحدة قاتلة!

عشرةُ ملايين امرأة فرنسية بدون زوج.. لماذا؟

أولاً: القوانين الفرنسية، مثل غيرها من القوانين الأوروبية، لا تحرّم الزنا ما دام برضا الطرفين! لماذا إذًا يلزم الرجل نفسه بمسؤولية الزواج وتبعاته مادام كان قادرًا على قضاء وطره مع كثير من النساء في ظل حماية قانونية؟! ودون إحساس منه بالإثم؟!

ثانيًا: القوانين تحرم تعدد الزوجات. فلو أراد متزوج أن يتزوج ثانية وثالثة من هؤلاء الأرامل أو المطلقات أو اللاتي لم يتزوجن من قبل ومن ثم تتخلص هذه الزوجة الثانية من وحدتها لما استطاع الزواج.. وإلا تعرض لمحاسبة قضائية.

ثالثًا : القيم المادية السائدة في المجتمع الفرنسي، وغيره، تجعل الزواج خاضعًا لها. أي أن النظرة إليه نظرة مادية، تحسب ماذا تدفع لقاءه.. وماذا تجني منه مقابل ما تدفعه فيه. وهذه النظرة تضعف الدافع إلى الزواج.

هذه الثلاثة: إباحة الزنا، وتحريم تعدد الزوجات، والنظرة المادية، كانت سببًا في زيادة النساء الوحيدات.. التعيسات في فرنسا.. وفي كل مجتمع تسود فيه هذه الثلاثة.

بينما الإسلام يمحوها تمامًا من مجتمعه، فهو يحرم الزنا ويبيح التعدد، ويجعل من الزواج نبعًا للخير والأجر للزوج، فهو مثاب إن أنفق على زوجته، وإن وضع اللقمة في فمها، وإن أتى فيها شهوته، ويستمر أجره من الزواج حتى بعد موته.. في الولد الصالح الذي يدعو له.

من يوصل هذه الحقائق إلى النساء الفرنسيات.. وغيرهن من الأوروبيات والأمريكيات..؟ ألن يسرعن إلى الإسلام إذا نقلت إليهن نقلاً صحيحًا واضحًا؟!

❋ ❋ ❋

تداركي هذه الأرباح الضائعة كل يوم

لو افترضنا، أختي المؤمنة، أن جهاز كمبيوتر جديدًا طرح في الأسواق، يمكن من خلاله كسب دولار في رصيد مالكه، إثر كل لمسة على مفتاح من مفاتيحه؛ أفلن يقبل الناس على شرائه وامتلاكه إلى درجة تنفد فيها ملايين الأجهزة من الأسواق خلال أيام، بل خلال ساعات قليلة؟!

ستقولين: نعم، بكل تأكيد. لأن مشتري الجهاز، سيسترد ثمنه، خلال دقائق قليلة بمواصلة اللمس على مفاتيحه. ثم يكون اللمس مدرًا لأرباح صافية.. تتضاعف أضعافًا مضاعفة.. لا تتوقف مادام لا يتوقف اللمس على مفاتيح الكمبيوتر. ولو قلت لك: إنك تملكين أفضل من هذا الجهاز، وتستطيعين أن تربحي منه أكثر من تلك الدولارات وأعظم وأفضل؛ أفلن تقولي لي: بربك دلني عليه؟

إنه جهاز صغير، لا يحتاج إلى كهرباء ولا صيانة، وأنت تحملينه معك. هبة من الله أينما ذهبت وحيثما حللت!

إنه لسانك الذي في فمك، تسبّحين به الله تعالى وتحمدينه، فلا تأخذ منك التسبيحة والتحميدة أكثر من ثانية أو ثانيتين، ولا تكلفك من الجهد شيئًا، فما أكثر ما تستخدمين لسانك في كلام لا طائل وراءه إن لم يكن مجلبة للسيئات إذا كان غيبة أو نميمة أو كذبًا.

قد تقولين: صحيح أن التسبيح والتحميد لا يأخذ من وقتي.. ولا

يكلفني من الجهد الكثير . . ولكن أين الأرباح؟

لست أنا من يخبرك بأرباح هذا التسبيح والتحميد، وغيرها من ذكر الله تعالى، بل إنه الحبيب المصطفى ﷺ فاستمعي إليه معي:

قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في كل يوم مائة مرة. كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي. ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به. إلا أحد عمل أكثر من ذلك**». أخرجه البخاري ومسلم.

تعالي أختي المؤمنة، نحسب كم ربحت من هذا التهليل والتحميد. لو أردت أن تحسبي ثمن عشرة رقاب، أي عبيد اشتريتهم لتعتقيهم وتنالي بإعتاقهم أجرًا من الله؛ ألن يكون المبلغ كبيرًا، وكبيرًا جدًا؟ هذا هو الربح الأول.

ثم بكم ستتصدقين على الفقراء والمساكين حتى تنالي مائة حسنة؟ لا شك في أنه مبلغ لا بأس به! وهذا هو الربح الثاني.

ثم بكم ستتصدقين أيضًا حتى تنالي حسنات تذهب بمائة سيئة عليك؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤] ؟ إنه مبلغ لا بأس به أيضًا. وهذا هو الربح الثالث.

وأخيرًا: كم تدفعين أجرًا في اليوم . . لحارس يحميك من عدو يتهددك ويتوعدك؟

وهل هناك عدو أخطر من الشيطان؟ لقد أخبرنا الرسول ﷺ أن كلمات

الذكر السابقة، تكون لمن يكررها مائة مرة، «**حرزًا من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي**». والحرز كما جاء في قواميس اللغة: هو الموضع الحصين.

ويؤكد الرسول ﷺ أن هذه الأرباح حقيقية وليست مبالغات، وذلك في قوله ﷺ في نهاية الحديث: «**ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به.. إلا أحد عمل أكثر من ذلك**». أي أحد أعتق عشر رقاب، وعمل بما جلب له مائة حسنة، ودفع عنه مائة سيئة، وصرف عنه الشيطان فلم يوقعه في معصية طوال ذلك اليوم.

فما أعظمه من كسب، وما أربحها من تجارة؛ رأس مالها قليل، وجهدها سهل، وربحها مضمون!

هل تريدين أحاديث أخرى تعدك بالأجر العظيم على الذكر والتسبيح والتحميد والتهليل؟ اقرأي معي هذه الأحاديث: «**من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة، حُطّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**». أخرجه البخاري ومسلم.

«**من قال عشرًا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد. وهو على كل شيء قدير، كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل**». أخرجه البخاري.

«**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده**». أخرجه البخاري.

عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة**». فسأله سائل من

جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «**يسبح مائة تسبيحة.. فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة**». رواه مسلم.

فاحسبي يا أختي كم أضعت، وكم أضعت أنا معك من الفضل والخير والحسنات، بتقصيرنا في ترطيب ألسنتنا بذكر الله تعالى؟

مئات الأيام، بل آلافها، مضت دون أن نكسب فيها تلك الحسنات الكثيرات. فهل نترك الأيام الباقية من أعمارنا تمضي كما مضت أيامنا الماضيات؟

لماذا لا نملأ أوقاتنا بذكر الله؟ لماذا نتركها تضيع؟ والفرص كثيرة، والأوقات وافرة؟

إليك بعض الأوقات الضائعةالتي يمكن أن تملئيها بذكر الله:

- وأنت تنظرين دورك في عيادة الطبيبة، أو في أي مكان آخر.
- وأنت تركبين باص المدرسة، أو سيارة أبيك أو زوجك.
- وأنت تنظرين عودة زوجك من عمله أو أولادك من المدرسة.
- وأنت مضطجعة في فراشك تبغين النوم.. وهكذا.

واعلمي يا أختي المؤمنة، أن الحسنة قد تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة، قال ابن كثير في تفسيره: «الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي؛ من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة (أو زوج حسن) وولد بار، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل. وغير ذلك مما شملته عباراتهم؛ فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا. وأما الحسنة في الآخرة، فأعلاها دخول الجنة، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر

في القبر، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة».

هل رأيت إلى آلاف الحسنات في اليوم كم يقابلها في الدنيا من نعم مادية ومعنوية، وكم يقابلهافي الآخرة من نجاة من هول يوم القيامة وجهنم وعذابها؛ ومن نعيم مقيم في الجنة؟

لو أحصينا الكلمات التى تصدر عن أفواهنا، وتتحرك بها ألسنتنا، لكانت هناك آلاف مؤلفة، لعل كثيراً منها لا أجر عليه.. إن لم يكن فيه إثم، كما قال الله تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [النساء: ١١٤].

أفنبخل على أنفسنا بهذه الأجور الكبيرة، والحسنات الكثيرة، فنغفل عن ذكر الله تعالى وتسبيحه وتحميده وتهليله وتكبيره؟

هلا بدأت، أختي المسلمة، منذ اليوم بتدارك هذا الخير العظيم الذي كان يفوتك، كما كان يفوتني؟ لنبدأ بتسجيل أرصدة عظيمة في صفحات أعمالنا.. فكم نحن بحاجة إلى حسنات الله، في الدنيا وفي الآخرة.

﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [البقرة: ٢٠١]

❋ ❋ ❋

الفهرس

مقدمة الطبعة الرابعة ٥
مقدمة الطبعة الثالثة ٦
مقدمة الطبعة الثانية ٨
مقدمة الطبعة الأولى ٩
تمهيد ١١
زوجة السفير ١٤
سيدة المجتمع! ١٦
لا أحب زوجي! ١٧
وداعًا عصر الحرية! ١٩
حواء.. كم أنت عظيمة ٢٠
أعيش عندكم ٦ أشهر.. ثم اقتلوني ٢١
المرأة.. وحبّة الدراق ٢٣
الطريق إلى السعادة ٢٥
الغربية.. وتوفيق الحكيم ٢٧
امرأة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ٢٩
حين تكونين عظيمة! ٣١
لقاء الخطيب والخطيبة بين الإفراط والتفريط ٣٢
امرأة.. وأية امرأة! ٣٤
مفتاح القلوب! ٣٦
الحجاب ٣٨
تزغرد لموت ابنها! ٤٠
حواء تكتب إلى حواء! ٤١
الرجال مساكين! ٤٣
الرسول والمرأة! ٤٥
حيرة ووحشة! ٤٧
هل المرأة.. إنسان؟! ٤٩
النوم على حكايا التاريخ ٥١
لا تعجبوا.. إنه الإسلام ٥٣
الحق.. والحب ٥٤
من حقوق المرأة في الإسلام ٥٦
اعرفي حقك هذا! ٥٨
حق إعطاء الأمان ٥٩
عندما تشارك المرأة في معركة الحق ٦٠
حافظات للغيب ٦٢
قوّامون على النساء! ٦٤
شباب ذئاب ٦٦
ليست مسؤولية حواء وحدها! ٦٨
ثالوث السعادة ٧٠
«مارلين مونرو».. أيضًا ٧٢
أتريدين الطلاق؟! ٧٣
حين تشرق الشمس من الغرب! ٧٥
المرأة الباريسية ٧٧
قاضية سويدية.. مفهوم الحرية ٧٩
الاختلاط والجريمة! ٨٠
أمهات + خمرة = أطفال مشوهون ٨٢
ماذا في السويد؟ ٨٤

الأطفال . . هؤلاء المساكين	٨٦
أكبادنا تمشي على الأرض	٨٧
همسة من أم!	٨٨
ليس كل ما يلمع ذهبًا	٩٠
المرأة والمجتمع والسياسة	٩٢
ثبات امرأة	٩٤
آباء . . وأبناء	٩٦
تزيّن لها، وتزيّني له	٩٨
الإنفاق!!	١٠١
وليتك تحلو . . والحياة مريرة	١٠٣
مع السيدة «هارليك»	١٠٥
شاهد من الغرب	١٠٧
الاغتصاب؟!	١٠٩
لماذا أسلمت؟	١١١
عودة . . إلى ضرب الزوجات	١١٢
أيتها الشرقية	١١٤
رسالة إلى آدم	١١٦
هل يساعدك زوجك في البيت	١١٨
حواء هي حواء	١٢٠
تكامل لا مساواة	١٢٢
هل تتبدل حواء	١٢٥
باروكات	١٢٦
فلسفة السعادة	١٢٩
٨ نصائح من فيرجينيا	١٣٢
الغربية المضروبة	١٣٥
المرأة الغربية تفتقد الأمن	١٣٧
نداء الفطرة	١٤٠
بريجيت باردو تبحث عن الإسلام	١٤٣
مساواة مزعومة	١٤٨
امرأة عاقلة وامرأة غبية	١٥٠
متى تقلدك الغربية	١٥٣
المرأة أقوى من الرجل	١٥٦
قوة أخرى للمرأة	١٥٨
حين تضرب الأم طفلها	١٦١
حواء في الغرب	١٦٤
ألا يعلم من خلق!	١٦٦
ضعي خطًا أحمر	١٧١
المرأة وسيلة تجارية	١٧٣
امرأة بشلنين	١٧٦
قاطمة هيرين	١٧٨
بريجيت باردو ما تزال تبحث عن الإسلام	١٧٩
قصر الأحلام	١٨٢
لا تبار ولا مقابل . . في الأسرة المسلمة	١٨٤
من يكون؟	١٨٧
احذري الطلاق	١٨٩
صيحة تحذير . . من بريطانيا	١٩١
يتقدم الزمان . . وتتأخر المرأة	١٩٣
الوزيرة الفرنسية ومزاعم الحرية	١٩٥
من يبلغ بروك شيلدز؟	١٩٦
سيدة يوغسلافية يبكيها القرآن	١٩٩
زوجك المدخن	٢٠١
أزواج مستبدون	٢٠٣
المرأة والبطالة	٢٠٤
امسحوا الغبار . . عن فطرتها	٢٠٧
متى تخاف المرأة؟	٢١١
المرأة . . والتدخين	٢١٥
الأمومة سفاحًا	٢١٧

حين تعصف الريح	٢١٩
لتهزمي الجاهلية	٢٢١
شمس تدعو لزميلاتها	٢٢٣
زوجي والخادمة	٢٢٥
رغبة أبدية	٢٢٧
صرخة في أمريكا	٢٣٠
آية جديدة	٢٣٢
افتقدوا المنطق العقلي	٢٣٤
ألوان القردة	٢٣٧
حين تشهد أم انتحار ابنها	٢٣٩
المسلمة ومؤتمر موسكو	٢٤٢
أدركوا أولادي	٢٤٤
موسيقاهم قتلت ابنها	٢٤٦
المرأة ومجلس العموم	٢٤٧
موغابي والمرأة	٢٤٩
الأطفال وغياب الأمهات والآباء	٢٥١
ميريل ستريب	٢٥٣
الأمم المتحدة والمرأة المسلمة	٢٥٦
من ينصر هذه الأخت؟	٢٥٨
البقرة المطاردة	٢٦١
أختي الحامل	٢٦٣
هذا هو المجتمع الذي يدعونك لتقليده	٢٦٥
بريطانيا وتعدد الزوجات	٢٦٨
دعوة من أديبة إلى تعدد الزوجات	٢٧١
كيف تختارين الألعاب لأطفالك	٢٧٢
أجل . . أنت تقدمية	٢٧٤
ومن اليابانية درس آخر	٢٧٦
ثروة المرأة المهدرة	٢٧٩
فتشي عن الرجل	٢٩٢
رومانسية زائلة أم مودة دائمة	٢٩٥
أستاذة الجامعة الأمريكية . . الرجعية	٢٩٨
أيها الخاطبون . . تعلموا	٣٠١
لا تحرميه حنانك	٣٠٤
محشي أم مكرونة	٣٠٧
احذري الوأد الخفي	٣٠٩
ميريل ستريب (٢)	٣١١
لو قرت المرأة في بيتها	٣١٣
يا مسكينة . . !	٣١٥
المتزوجة ذات مناعة قوية	٣١٧
هل تريدين أن تبكي؟	٣٢٠
موعظة من ألمانية مسلمة	٣٢٢
والبقية تأتي	٣٢٥
أمهات جاحدات	٣٢٧
من تسلط . . إلى تسلط . .	٣٢٩
اعتراف ليلى	٣٣١
أخطاء وتصحيحات	٣٣٥
حين يتغاضب الزوجان	٣٣٧
توددي . . ولو تكلفًا	٣٣٩
اهتمام سويسري بالمرأة المسلمة	٣٤٣
لو كان الطلاق بيدك	٣٤٧
أعظم من الأمومة!!	٣٤٩
أمهات بلا أبناء!	٣٥٢
سكن لا شقة	٣٥٥
أعطوا أكثر مما تأخذون . . تسعدوا	٣٥٦
الخطأ العظيم	٣٥٩
ادفعي بالتي هي أحسن	٣٦١
ما أبعد ما بينهما	٣٦٤

احذري مخالطة الأقارب	٣٦٦
حتى لا تكوني امرأة سوء	٣٦٨
صحوة جين فوندا	٣٧٠
مازال التاريخ يكشف	٣٧٢
إحسان عبد القدوس	٣٧٤
امرأة غير طبيعية	٣٧٦
حين تشهد صحفية أمريكية	٣٧٩
السمكة.. والصنارة..	٣٨٢
استبشروا بالأنثى	٣٨٥
الزوجة ينبوع الأجر والثواب	٣٨٧
لاتخضعن بالقول	٣٩١
لا تغالي.. حتى في العبادة	٣٩٥
مؤتمر وجائزة ومجلة للمسلمة	٣٩٩
ارفعي صوتك ضد الخلاعة	٤٠١
أيتها النساء.. تعلمن من أسماء	٤٠٥
اعترافات نوال السعداوي	٤٠٩
اعترافات أخرى لنوال السعداوي	٤١٤
هل تتحجب نوال السعداوي؟	٤١٨
انظري إليها من عل!!	٤٢٠
أريد أن أعمل مدرسة - وزوجي لا يرضى	٤٢٤
للجميع حرة.. لواحد مستعبدة	٤٣٠
انتحار أم	٤٣٣
أيها الرجل.. ماذا تفعل بالمرأة؟	٤٣٦
المرأة سكن منذ البويضة	٤٣٩
إنهن يبحثن عن القوامة	٤٤١
حتى يستمر عملك	٤٤٣
المحجبة متميزة بهدوئها ووعيها	٤٤٥
من يسبق من؟!	٤٤٧
هل يدعون إليها.. ونحن نهجرها؟	٤٤٩
موقف خالد لأم حبيبة	٤٥١
أيها الآباء.. كيف ترغمونهن؟!	٤٥٣
الاغتصاب. الثمرة المرة لخروج المرأة	٤٥٥
وجه من وجوه الإكرام	٤٦٠
رسالة إلى أختنا الحبيبة	٤٦٤
حين انتقل راغب إلى قسم المبيعات	٤٦٧
اغتصاب.. اغتصاب	٤٧٠
يا دعاة تحريرها.. من يحميها؟	٤٧٢
أين الحرية؟	٤٧٥
هل نلغي المخالفات على تجاوز الإشارة الحمراء؟	٤٧٧
العودة إلى المدارس النسوية	٤٧٩
مخدرات عاطفية	٤٨١
شهادة جديدة للبيت	٤٨٣
مئات المليارات يأخذها الإيدز من الاقتصاد العالمي	٤٨٥
حتى لا يظلمها ويظلمنا معها	٤٨٧
من يخرجهن من وحدتهن	٤٨٩
تداركي هذه الأرباح الضائعة كل يوم	٤٩١
الفهرس	٤٩٧

كتب متميزة من إصدارات دار الوطن

اسم الكتاب	المؤلف	المحقق
◆ أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة ـ رسالة ماجستير ـ محقق على نسخة خطية	أحمد بن زهير بن حرب	إسماعيل حسن حسين
◆ البطلان . ضابطه وتطبيقاته في فقه العبادات رسالة [illegible] دكتوراه	د. [illegible] المتيمي	
◆ الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة ـ تقديم الشيخ حماد الأنصاري ـ رسالة ماجستير	الحسن العلوي	
◆ كتب تراجم الرجال بين الجرح والتعديل	الشيخ صالح اللحيدان	
◆ مسند ابن أبي شيبة [١ : ٢] يطبع لأول مرة على نسخة خطية	الإمام عبد الله بن أبي شيبة	عادل العزازي وأحمد المزيدي
◆ فضيلة العادلين من الولاة ومن أنعم النظر في حال العمال والسعاة . بتخريج الإمام السخاوي ـ محقق على نسخ خطية	الشيخ الإمام أبو نعيم الأصبهاني	الشيخ مشهور حسن سليمان
◆ فتاوى نور على الدرب ـ العقيدة ـ ج١ لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز		أد. عبد الله الطيار والشيخ محمد الموسى
◆ القدرية والمرجئة الحلقة الخامسة من سلسلة الأهواء والافتراق	أ د . ناصر بن عبد الكريم العقل	
◆ كتاب الإيمان من كتاب إكمال المعلم للقاضي عياض [١ : ٢] ـ رسالة دكتوراه ـ يطبع لأول مرة	الإمام القاضي عياض	د.الحسين بن [illegible] شواط
◆ تفسير القرآن [١ : ٦] يطبع لأول مرة محقق على نسخ خطية	الإمام أبو المظفر السمعاني	غنيم عباس وياسر ابراهيم
◆ كتاب الشريعة [١ : ٦] كاملاً مع الفهارس العلمية ـ رسالة دكتوراه ـ محقق على نسخ خطية	الإمام أبو بكر الآجري	د. عبد الله بن عمر الدميجي
◆ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية [١ : ٥] النسخة المسندة ـ يطبع لأول مرة	الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني	غنيم عباس وياسر إبراهيم
◆ شيخ الإسلام ابن تيمية والولاية السياسية في الإسلام	أد فؤاد عبد المنعم أحمد	
◆ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة [١ : ٢] طبع على نسخ خطية تلافت السقط [illegible] الطبعات الأخرى	الإمام ابن حجر الهيتمي	الشيخ عبد الرحمن التركي وكامل الخراط
◆ فتاوى الطلاق الصادرة عن سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز		أد. الطيار و الشيخ الموسى
◆ منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ـ رسالة ماجستير	محمد السحيباني	
◆ الإغراب في أحكام الكلاب يطبع لأول مرة على نسخ خطية	الإمام ابن عبد الهادي الحنبلي	أد . الطيار و د . الحجيلان
◆ الإفصاح عن معاني الصحاح [١ : ٤] للعالم الوزير ابن هبيرة وهو شرح للجمع بين الصحيحين للحميدي ـ يطبع لأول مرة		أد. فؤاد عبد المنعم أحمد
◆ الأعمال بالخواتيم	الشيخ سعد الحجري	
◆ الخوارج [أول الفرق في تاريخ الإسلام]	أد. ناصر بن عبد الكريم العقل	
◆ الاستغاثة في الرد على البكري [١ : ٢] محقق على نسخ خطية ـ رسالة ماجستير	شيخ الإسلام ابن تيمية	الشيخ عبد الله السهلي
◆ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك ـ محقق على نسخ خطية	الإمام الموصلي الشافعي	أد . فؤاد عبد المنعم أحمد
◆ درر السلوك في سياسة الملوك ـ محقق على نسخ خطية	الإمام أبو الحسن الماوردي	أد . فؤاد عبد المنعم أحمد
◆ الصلاة ـ وصف مفصل للصلاة ـ	أ د عبد الله بن [illegible] الطيار	
◆ الرسائل والمتون العلمية [١ : ٣]	الشيخين السعدي و العثيمين	
◆ دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رسالة ماجستير	د . عبد العزيز آل عبد اللطيف	

◆ المستصفى من علم الأصول [١ : ٢] محقق على نسخ خطية تلافت السقط الذي بالطبعات السابقة	الإمام أبو حامد الغزالي الطوسي	د . محمد سليمان الأشقر
◆ شرح رياض الصالحين [١ : ٧] للإمام النووي	الشيخ محمد العثيمين	أد . عبد الله الطيار
◆ الروض المربع شرح زاد المستقنع [١ : ٣] محقق على نسخ خطية	الإمام البهوتي	أد الطيار ،د المشيقح د إبراهيم وعبد الله الغصن
◆ رسائل ودراسات في الاهواء والافتراق والبدع [١ : ٤]	اد . ناصر بن عبد الكريم العقل	
◆ العزلة والانفراد ـ على نسخ خطية ـ يطبع لأول مرة	الحافظ الإمام ابن أبي الدنيا	الشيخ مشهور بن سلمان
◆ فتاوى اسلامية [١ : ٤]	سماحة الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين و ابن جبرين	جمع الشيخ محمد المسند
◆ فتاوى إسلامية [ج٤]		
◆ فقه العبادات	الشيخ محمد العثيمين	أد عبد الله الطيار
◆ مجموع فتاوى العقيدة [١ : ٣]	سماحة الشيخ ابن باز	أد عبد الله الطيار
◆ مجموع فتاوى الطهارة والصلاة	سماحة الشيخ ابن باز	أد عبد الله الطيار
◆ لقاء الباب المفتوح [٤١ : ٥٠] مجلد	الشيخ محمد العثيمين	أد عبد الله الطيار
◆ لقاء الباب المفتوح [٥١ : ٦٠] مجلد	الشيخ محمد العثيمين	أد عبد الله الطيار
◆ وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق ـ رسالة ماجستير	د . جمال بن بشير بادي	
◆ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية	الشيخ فالح بن مهدي	د . عبد الرحمن المحمود
◆ الإمام المروزي ومنهجه في العقيدة ـ رسالة ماجستير	الشيخ موسم بن منير النفيعي	
◆ تفسير الجلالين [من سورة غافر حتى الناس]	الإمام السيوطي والمحلي	الشيخ عبد الرزاق عفيفي
◆ تفسير جزء عمّ ـ للإمام ابن كثير تقديم الشيخ ابن الجبرين	الإمام الحافظ ابن كثير	خالد أبو صالح
◆ الآثار الواردة عن أئمة السلف في الاعتقاد [١:٢] ـ رسالة دكتوراه	د . جمال بن بشير بادي	
◆ الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة ـ رسالة دكتوراه	د . عبد الرحمن الخليفي	
◆ رسالتان للحافظ ابن رجب ـ مخطوط يطبع لأول مرة	الحافظ ابن رجب	سامي بن جاد الله
◆ آداب دخول الحمام ـ مخطوط يطبع لأول مرة	الحافظ الإمام ابن كثير	سامي بن جاد الله
◆ تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	الشيخ عبد الله القصير	
◆ الذكرى بخطر الربا	الشيخ عبد الله القصير	
◆ الإعلام بكفر من ابتغى غير الإسلام	الشيخ عبد الله بن جبرين	علي بن حسين أبو لوز
◆ الرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى	عبد الحميد السحيباني	
◆ الكبـــــائر	الإمام محمد بن عبد الوهّاب	خالد أبو صالح
◆ المنـــــاظرة ـ مخطوط نادر ينشر لأول مرة	الإمام جعفر الصادق	الشيخ علي الشبل
◆ الملل والنحـل الواردة في كتاب الأنساب	الإمام أبو سعد السمعاني	الشيخ عبد الله البراك
◆ مذكرة ببعض كتب أهل السنة والجماعة في العقيدة	سليمان بن محمد الشويهي	
◆ منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم	الشيخ أحمد الصويان	
◆ هلم نخرج من ظلمات التيه	الشيخ محمد قطب	
◆ حوار مع سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي	السعيد صابر عبده	
◆ الشيخ عبد الله الجار الله ـ حياته وجهوده العلمية والدعوية	مناحي بن محمد العجمي	
◆ الغـــلو في الدين ـ نشأته ،آثاره ـــ تقديم د . صالح الفوزان	الشيخ علي الشبل	

التحقيقات الصادرة عن دار الوطن

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	اسم المحقق
١	تفسير القرآن [١ : ٦]	للإمام أبي المظفر السمعاني	غنيم عباس و ياسر إبراهيم
٢	كتاب الشريعة [١ : ٦]	للإمام المحدث أبي بكر الآجري	د . عبد الله بن عمر الدميجي
٣	المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية [١ : ٥]	للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني	ياسر إبراهيم و غنيم عباس
٤	مسند ابن أبي شيبة [١ : ٢]	للإمام الحافظ ا بن أبي شيبة	عادل العزازي و أحمد المزيدي
٣	الإفصاح عن معاني الصحاح [١ : ٤]	للوزير العالم إبن هبيرة	أ. د/ فؤاد عبد المنعم أحمد
٤	إبن خلدون ورسالته للقضاة	للعلامة ولي الدين ا بن خلدون	أ. د/ فؤاد عبد المنعم أحمد
٥	الإغراب في أحكام الكلاب	للإمام / جمال الدين يوسف ابن عبد الهادي المعروف بابن المبرد	أ د/ عبد الله الطيار د / عبد العزيز الحجيلان
٦	تفسير " جزء عم "	للإمام الحافظ عماد الدين بن كثير	الاستاذ / خالد أبو صالح
٧	حسن السلوك الحافظ دولة الملوك	للإمام / محمد بن عبد الكريم الموصلي	أ. د / فؤاد عبد المنعم أحمد
٨	درر السلوك في سياسة الملوك	أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي	أ. د / فؤاد عبد المنعم أحمد
٩	حجة الوداع	للإمام الحافظ عماد الدين بن كثير	الاستاذ / خالد أبو صالح
١٠	رسالتان لابن رجب ١ - شرح حديث شداد بن أوس ٢- البشارة العظمى	للحافظ إبن رجب الحنبلي	الاستاذ / سامي جاد الله
١١	ابن تيمية والولاية السياسية في الإسلام	أ د / فؤاد عبد المنعم أحمد	
١٢	الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة [١ : ٢]	أبو العباس أحمد ابن حجر الهيثمي	الشيخ / عبد الرحمن التركي والشيخ / كامل محمد الخراط
١٣	العزلة والأنفراد	لابن أبي الدنيا	الشيخ مشهور إبن حسن آل سلمان
١٤	كشف الشبهات في التوحيد	للإمام محمد عبد الوهاب	الحسين عمر مزوزي
١٥	الكبائر	للإمام المجدد/محمد بن عبد الوهاب	الاستاذ / خالد أبو صالح
١٦	كتاب الآداب والأحكام المتعلقة بدخول الحمام	للإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير	سامي جاد الله
١٧	المناظرة للإمام جعفر الصادق	الإمام جعفر الصادق	الشيخ / علي الشبل
١٨	المستصفي من علم الأصول [١ : ٢]	لأبي حامد الغزالي	د / محمد سليمان الأشقر
١٩	النصيحة الولدية	أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي	إبراهيم باجس
٢٠	اخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير	ابن أبي خيثمة	إسماعيل بن حسن بن حسين
٢١	الاستغاثة في الرد على البكري [١ : ٢]	شيخ الإسلام ابن تيمية	عبد الله بن دجين السهلي
٢٢	تفسير الجلالين من سورة غافر إلى الناس	جلال الدين السيوطي والمحلي	فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي
٢٣	دفع الملامة في استخراج أحكام العمامة	جمال الدين ابن عبد الهادي	أ د . عبد الله بن محمد الطيار
٢٤	الروض المربع شرح زاد المستقنع [١ : ٣]	الإمـــام البهـــــوتي	اد عبد الله الطيار ، د إبراهيم الغصن ، د خالد المشيقح ، د عبد الله الغصن
٢٥	فضيلة العادلين من الولاة	الإمام أبي نعيم الأصبهاني	الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان
٢٦	الوجل والتوثق بالعمل	لابن أبي الدنيا	الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

توزيع : مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان ـ الرياض ص ب ١١٤٣١ ـ ✉: ١٤٠٥ ـ ☎: ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس : ٤٠٢٣٠٧٦